مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

محمد الفايز

الأعمال الشعرية الكاملة

المجلد الثاني

أشرف عليه وراجعه وقدّم له

د. عبدالله أحمد المهنا

الكويت

2014

Book9.indd 457 3/8/14 4:02 PM

التدقيق الطباعي

محمود إبراهيم البجالي

الصـف والتنـفيـذ

أحـمـد متـولـــي

أحـمـد جاسـم **عــلاء محـمود**

الإخراج وتصميــم الغلاف

محـمـد العــلي

صدر هذا الديوان بمناسبة مهرجان ربيع الشعر (الموسم السابع)

لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

مارس ٢٠١٤م

حقوق الطبع محفوظة

مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

هــاتــف: ٢٢٤٣٠٥١٤ ٩٦٥ +

فاكــس: ٢٢٤٥٥٠٣٩ ٩٦٥ +

E-mail: kw@albabtainprize.org

Book9.indd 458 3/8/14 4:02 PM

الديوان التاسع

تسقط الحرب(*)

نشرت هذه القصائد في جريدة الأنباء الكويتية
في سنة ١٩٨٢ حتى سنة ١٩٨٧

(*) هذا الديوان نشره المركز العربي للإعلام بالكويت عام ١٩٨٩م.

Book9.indd 459 3/8/14 4:02 PM

القميص ودم الكذب

من الصعب أن تفهميني
فلا تسأليني
فليس لديّ جوابٌ يريحك
ليس لديّ حديثٌ يسرّك
إن غثاءِ السيولِ
أشدّ عتوًّا من السيل والقابعين وراء الطلولِ

☆☆☆☆

من الصعب أن تقرأي ما قرأتْ
وأن تلمسي ما لمستْ
كأني أرى الأرضَ زاحفةً أو تميدْ
يُزلزلها الليلُ والسيلُ والواقعُ المستحيل

☆☆☆☆

من الصعب أن تفهمي ما أقول
وماذا بفكري يجول
لذاك نظل غريبين
نبقى بعيدين
بيني وبينك درب بعيد
ووقت طويلْ
على الرغم منا وقعنا
بأحبولة العصرِ حتى خضعنا

Book9.indd 461 3/8/14 4:02 PM

نعاني انعطافاتهِ حيث كنّا
ونخرج من محتوانا
كأنا لبسنا زمان سوانا

☆☆☆☆

تعالي أُريكِ جوانبهمْ..
وانتفاخاتِهمْ والذي يُضمرونا
هم اثنان. بعض يصول
لينتهبَ الأرضَ والبعضُ همٌ ثقيل
ويتضح الأمر. ينكشف السر..
إن دماءَ القميص ملفقةُ الكيد
والذئبُ منها براءْ
وإن الجناة هم الإخوةُ الأتقياءْ

☆☆☆☆

على الأرض مرميّة يا سطوحُ
على النار محذوفة يا سفوحُ
ويا جبلَ الزهر والنحلِ قوّسكَ الحزنُ..
لا عسلًا في الخوابي
ولا سامرًا في الروابي
فأين اتجاه اغترابي

☆☆☆☆

لقد فاجأوا الطيرَ والوردَ
حتى المظلاتِ ذات التطاريز
حتى النوافذَ ذات العصافير
حتى الطريقَ المؤدي إلى الشامِ
حتى الحوانيتَ ذات القواريرِ والتبغِ

Book9.indd 462 3/8/14 4:02 PM

حتى الصبايا اللواتي
خُلقن من العِشق والرقصِ
لا جدولًا في الخمائلْ
على العشبِ مقصوصةٌ يا جدائلْ

☆☆☆☆

وها همْ على ساحل الأرزِ
ها همْ على ساحل القطنِ
ها همْ على ساحل النّحلِ
إن الصراعَ طويلٌ طويلُ
ويجتمع الشرُّ بالشرِّ والخيرُ بالخير
حتى يلاقي المثيلَ المثيلُ
وتدخل أرضٌ بأرضٍ
كما يدخلُ الناسُ بالناس.. كلٌّ لديه سبيلُ
وكلٌّ لديه رحيلُ

☆☆☆☆

ويا ربوةً أجهضتها الأعاصيرُ
حتى تحاشتْ هواها الفصولُ
ويا نجمةً خسفوا أفقها
ويا نخلة قرروا شنقَها
ويا شجرَ الأرز يا شجرَ الدمعِ
أين الفوانيسُ في الليل
أين هزيجُ الصبايا
وأين وميضُ الثياب الندية
أين تحايا العيون المضاءةِ
أين أعتكافُ الزوايا

Book9.indd 463 3/8/14 4:02 PM

وأين السجاجيدُ ذات النقوش الشهيةِ
أين حريرُ التكايا
وقادمةٌ من حقول الفواكه والنحل
حافلةً بالهدايا
على الأرض مرميةٌ يا نقوشَ الثرياتِ
يا مهرجانَ المرايا

☆☆☆☆

ويا بيتَها في سفوح الجبالِ
على الأرض مرميةٌ يا عروشَ الجمالِ
ومسبحةٌ يا ضفافَ القرنفلِ والبرتقالِ

☆☆☆☆

لقد ركبوا البحرَ والناسَ طُرّا
لقد ركبوا الأرضَ والأفقَ
جاؤوا مع الريح والماء
جاؤوا بشتى السياساتِ
جاؤوا بشتى الدياناتِ
جاؤوا بشتى الحبائلْ
وشتى الوسائلْ
على الأرض مذبوحةٌ يا بلابلْ

☆☆☆☆

وها هم يُغيرون
ليسوا أناسًا
وليسوا وحوشًا
ولكنهم واقع مستحيلُ
لقد زحفوا مثلما يزحف السيلُ والنملُ

Book9.indd 464 3/8/14 4:02 PM

وانتشروا مثلما قد تصابت وعولُ

☆☆☆☆

وكلُّ السياسات كانت تُؤدي
إلى الأرض ذات النبوءات والشِّعرِ
جاؤوا ذئابًا على هيئة المالِ والجنسِ
جاؤوا قوافلَ تتلوا قوافلْ
وقد سكنوا بعضنا في جميع المراحلْ

☆☆☆☆

ومدّوا من الأُفق أعانقَهمْ
يستشفون «بيروت» و«الشام»
والأرضَ ذات الجبالِ القديمةِ
واستفروا جندهم
والسياساتِ ذاتِ التعاريجِ
كي يشعلوها حروبًا
وقد حشدوا في الحدود التي
فقسوها الحديدَ الرَّهيبا

☆☆☆☆

ومن قبل أن يعلنوا الحربَ كنتم حروبا
على بعضكمْ ثم صرتم شعربا
وكانوا يسيرون سيرَ النعاس ببلدانكم
أو يدبّون فيكمْ دبيبا

☆☆☆☆

لقد وجدوا أرضَكم تُنبت النار فاستوقدوها
وما استضاؤا بها أشعلوها بكمْ
أو بكمْ جدّدوها

☆☆☆☆

Book9.indd 465 3/8/14 4:02 PM

وما كانت الحربُ سرًّا علينا
قرأنا ملامحها في العيون التي طاردتنا
وتحت الوجوه التي فاجأتنا
وكنا نواجهها
في الذين استطاعوا الوصولَ بشتى الوجوه
وإغلاقَ كلِّ الوجوه علينا
كذلك كنا نواجهها في الذين استكانوا إليهم
ورنّحهم مكرُهم
بئس مكرُ الذين استحالوا خرائطَ شتى
فهل كانت الحرب سرًّا علينا
لقد كانت الحرب سرًّا عليهم
فقد حاصروهم بأسيجةٍ لم يروها
وأسيجةٍ صنّفت حزننا

☆☆☆☆

وبدلت الحرب أزياءها أو تمادت فصارت حروبا
وواقعة قال لي واقع الحال
قال اهتراء الموازين
قال الدخان على الأفق
قال الهواءُ المبطن
قالت جميعُ الوكالات
قال الحديد الذي درّبوه
وقال التناقض بين الوجوه وبين الخفايا
وقال التباعد بين الكلام وبين النوايا
وقال التقارب بين الدناءات.. قالوا جميعًا
عن الحرب: أن سوف تأتي

Book9.indd 466 3/8/14 4:02 PM

ومازلت نشوانةً حيثُ كنتِ

☆☆☆☆

تقولين فاجأنا الطيرُ
والحوتُ والذئبُ
قولي مكثنا بعزلتنا
وانتشار النقائض فينا
ونوباتنا والضياع الذي يعترينا
ولن تنتهي الحربُ.. جدَّدت الحربُ أنيابَها
وأثوابَها
وساحاتِها.. والسلامُ الذي يدّعون هو الحربُ
وحشٌ من الحرب.. شكلٌ من الحرب
إن السلام الذي يزعمون مراوحةٌ
واختراعُ سلاحٍ جديد
كأني أصيخ فأسمع طيرًا
يُلقنني سورةُ الحرب
هم جددوا آلة الحرب.. ما جددوا الحربَ
ليس غريبًا عليك الجراحاتُ
ليس غريبًا عليك المناحات
فابكي كثيرًا
ونوحي نواحًا مريرًا
وهم علموك التسكعَ في نشوة الحزن
أعطوك حريةَ الدمع واحتجزوا الأفقَ
والأرضَ.. أين اتجاهُك
صارت شعائرهم في اللِّحى وانتحال الشعارات
صارت شعائرهم أن يكونوا جسورا

☆☆☆☆

Book9.indd 467 3/8/14 4:02 PM

وما جاءت الحربُ
جاء الذين انتميت لأزيائهم
وأشيائهم
وكنت أفقتِ أخيرا
رأيتِ أساطيلهم في المحيطاتِ والأفقِ
جددت الأرضُ بنيانَها
وإنسانَها
واستحالت نشورا
وفتحًا كبيرا

☆☆☆☆

ومرّت سنينُ عجافُ.. ومرّوا
على أول الزحف للأرض
حيث الينابيع سودٌ وخضرُ
وحيث الجنان الفسيحاتُ
حيث الكنوزُ القديمةُ
حيث الزمان المدثر
تستيقظ الأرض.. تأتي
على طُرق الماء تأتي
على طُرق النار تأتي
فأين المفر؟

☆☆☆☆

وما سكنوا القدسَ في أول الأمرِ
بل سكنوا الناسَ حتى استقرُّوا
ولبنانَ لم يرجموه
ولكنهم عبّأوه

Book9.indd 468 3/8/14 4:02 PM

بشتى السياسات والغدر ثم استقرُّوا

☆☆☆☆

أطلوا على عَورة الجبلِ المنحني
أطلوا على غسقِ الناسِ
حيث الشعاراتُ منحولةٌ
وحيث الطموحاتُ مغلولةٌ
وحيث البطولاتُ غدرُ

☆☆☆☆

ومن ذا يعيدُ الصوابَ إلى الأرض
من ذا يعيد توازنها
إنها أوشكت أن تميدا
وللأرضِ أحلامُها
وللأرض ميعادُها
ونوباتُها حيثُ تعتادها
ومن بحر (يافا)
تمد البواخرُ أعناقَها الشاخصاتِ
لكل الجهاتِ
وتستعرُ الحربُ تمتد حتى
تصيرَ شعارَ الحداثةِ
أو أنها دابةُ الأرض
خارجةً من مخاضِ العفوناتِ
أو جاءنا العالم المستعارُ
وما كنت أدري بأن التماسيح في الماء
مثل التماسيح في الأرض.. هذي صغار
وهذي كبار

Book9.indd 469 3/8/14 4:02 PM

من «القدسِ» يبتدئ الإنبهار
من القدس مرّ علينا النهار
رأينا انطلاقَ الزواحف من بشرٍ والفرارَ الرّهيبا
وخارطةً عبّأوها حدودا
فمن ذا يغربل هذا الخليط المريبا
ألم تنظري كيف صاروا علينا شهودا
وقد حاصروا الحربَ حتى استحالت حروبا

☆☆☆☆

وتبقى الحقيقةُ مطموسةً
ومهتزةً
كظلِّ الكواكبِ في الماءِ
غادرت الأرضُ ميناءها
وبدّلت الأرضُ أسماءَها

✶✶✶✶

Book9.indd 470 3/8/14 4:02 PM

الأشباح وأنوثة الأرض

شاهدتُ في الأحلامْ
مدينةً شطآنها سلامْ
وأرضها حدائق
وأفقُها حمامْ
ينبتُ في مياهها اللؤلؤُ والمرجانْ
والمسكُ في ترابها
والظّل والريحانْ
كانت على البحر الذي يرسو على ضفافه الزمانْ
فمن هنا متاحفٌ كأنها عصارةُ الأيامْ
أحجارُها الأعضاء في الأجسامْ
وأرضُها موائدٌ
يغرف من صحونها الأنامْ
ومن هنا العيون والأنهارْ
تنبع من عاطفة الصخر
ومن منابعٍ كأنها الأرحامْ
وفجأةً باغتها الإعصار
وزلزلت من تحتها الأرض التي
قد بدأت تنهار
كأنها سقيفةٌ من قصبٍ
تشبُّ فيها النارْ

Book9.indd 471 3/8/14 4:02 PM

وحُوصرت شطآنها بالغضبِ

وطُوقت أرجاؤها باللهبِ

وحاقَ فيها الخسفُ..

والتفّت على حيزومها الأخطارْ

وهاجر الحمامُ من حقولها

والعطرُ والعصفورْ

من يوقف الحرب التي تدورْ

من يطرد الشرورْ

عن جنةٍ فاجأها العالم في حديده المسحورْ

من يُطفيء الحريقْ

في هذه الجنان ذات الشجر العريقْ

من يطرد الذئابَ عن ناعورة الريفِ

وعن ساقية الطيورْ

☆☆☆☆

هم حاصروا الإنسانَ كي يثورْ

وأخرجوا الفتنةَ من زمانها المطمورْ

وليلها الملعونِ والمرجومِ والمدحورْ

واستبدلوا سلاحها المكسور

وظفرَها المنخورْ

من تكلمُ البلدان ذاتِ القمر المدحورْ

والبشر المقهورِ والمغرورْ

بلدان بيعِ الفكر والجنسِ وقولِ الزورْ

Book9.indd 472 3/8/14 4:02 PM

هناك في عواصم البلّور

☆☆☆☆

هم ملأوا الأرضَ بما يجيشُ في القبور

واستنبطوا الأحقادَ في الصدور

واخترعوا خرائط الحديدِ

واختاروا لهم جسورْ

في المدن الأخرى التي تنمو على القشور

وبعدها تسقطُ في حبائل العصرِ الذي

تجاوزَ المنظورْ

واختبأتْ أشباحُهُ

في هذه الدمى التي تدورْ

☆☆☆☆

لو يملكُ العصفور

مخالبَ الصقر الذي تخافه الطيورْ

لكفّ عن غنائه ولطفهِ

وعاش في شراسةِ الطيورْ

☆☆☆☆

هأنذا اكتشف الينبوع

كأنني ألمح إنسانًا من النُّحاس

أو مدائنًا تموع

فاجأها الأعصارُ من جوانب الأرض التي

تخرج من حالاتها الأولى

Book9.indd 473 3/8/14 4:02 PM

ومن زمانها المخدوع

☆☆☆☆

لابد من غربلةِ الإنسان والأشياء من
جوانبِ الإشراق والسطوعْ
لكنهم تقاسموا الأرضَ
وهزُّوا ليلَها المخلوعْ
سطوا على بكارة الذّرّاتِ...
أو تجاوزوا الضحك على الأذقان
وهكذا يبتدئ السقوطُ والخسرانْ
وتنشأ الحربُ التي تعددت أشكالها
واختلفت أهوالها
فبعضُها صامتةٌ
هادئةٌ سائبةٌ
وبعضُها ناطقةٌ
منذرةٌ غاضبةٌ
وتلكمُ الأخرى التي
تهدّ ما بناه هذا الدهر في أسبوع
وربما في عطلة الأسبوع
حين يقوم الموتُ من مكانهِ المرفوعْ
وحصنهِ الممنوع
مقتحمًا أنوثةَ الأرض
وهذا العالم المصنوعْ
من رغوةِ المال الذي يمتلك الأذهانْ

☆☆☆☆

لابدّ من غربلةِ الإنسان من رواسب الإنسان

Book9.indd 474 3/8/14 4:02 PM

لابد من غربلة العالم ذي الطُّوفان والطوفان

☆☆☆☆

تورطوا بالهوس الحربي وانحازوا مع المغول
قد وافقت أحلامُهم شراهة العصر الذي...
استقال عن حروبه للهوسِ الفكري...
وانضمّ إلى حرب الأساطيل
ومن قد سلّحوا الشرّ الذي تكسرت..
أنيابهُ الأولى. وقد جاؤوا بفكين من الدلفين..
أو من خطبة يقولها (البهلول)

☆☆☆☆

لو أن من قد ملكوا سفائنَ الذرة
والأخرى التي تجول
في الأفق كالطير انحرافي الذي
يخرج من عناصر الأرض
ومن مخاضةِ العقول
لو أن من قد ملكوا زمامَ هذا العالم المغلول
قد وضعوا الحلول
لهذه الحروب ذات الغول
لحققوا شيئًا. وما هُدِّمت الأرضُ
ولا اختلّ بها الميزان
وقُوِّضت منازل الفكر الذي
يكتب عن صيرورة الأرض
وعن مسيرة الأكوان
لم يدخلوا الحرب كما يدخلها الفرسان
أو مثلما يثأر إنسانٌ إلى إنسان

Book9.indd 475 3/8/14 4:02 PM

لكنها من لعبةِ الشيطان
وإنه أوحى لهم
بأنهم
سيملكون الشرقَ بالزور وبالبهتان
ومدّهمْ
بكل ما تحتاجه الحروبُ من نيران
وسائر الطبول
جاءوا على النهج الذي تخطه السيول
في دربها المرسومِ والمعمول
جاءوا مع الغدر الذي ينتحلُ الأسباب
أو ينساب في تسرُّب الأشياءِ
من عالمها المنقولْ

☆☆☆☆

بعضُهمُ يمارس الوعيدَ والقولَ الذي يقول
وبعضهمْ كالعفن المحمولْ
يسكن في النفوس والجلود والأذهان
وهكذا تجتمع المحاور الأخرى التي
تدور في الكتمان
وبعدها تصب في الحروب والعدوان
وهاهمُ نوازعُ شتى بها نوازع تجول
تحلمُ في ملك سليمان وفي عباءة الرسول
وبعضهمْ يحلم أن يدحرج الجبال أو يُطشّر البحارَ
أو يجمع في قبضته الفصولْ
وسيفه من خشبٍ
وجيشه أرانب معارة الذيول

Book9.indd 476 3/8/14 4:02 PM

أو جثث تأكلها الطيور في الوديان

☆☆☆☆

كأننا في زمن غير الذي قد كان
قد خلعت ثيابها الأرضُ وألقت حملَها الأزمان
وهاجرت شواطئ عن مائها وهاجرَ المكان
أواه لو يحتكم الناسُ إلى سلطان
لو يُوضع الميزان
إذن لما بُعثرت الأرضُ
ولا استولت على بحارها الحيتانْ

☆☆☆☆

همْ هؤلاءْ
تعلموا قراءة الأشياء
ومنطقَ الطير وما يجول في الخفاءْ
واكتشفوا الأرحامَ. فكُّوا طلسمَ الهواء
وارتطموا بكمْ. رأوا أمثالهم فيكم. رأوا
قرابةَ الدماءِ للدماءْ

☆☆☆☆

ها هم على حقول لبنان وقد تجاوزوا القدسَ..
وخلوا خلفهم سيناء
ويمموا متاحف الجبال في البقاعِ
والحجارةَ الخضراءْ
واستشرفوا عمَّان والصحراءْ
والتُّحفَ التي بدتْ تخرجُ من عزلتها
ولم تجد شيئًا سوى أسلحة معارةٍ
والمدن المرجومة العزلاء

Book9.indd 477 3/8/14 4:02 PM

والزمن الواقف كالحجارة الصماءْ
وهجرة النمل الذي حاصرها
يحفر في عظامِها الصفراء

☆☆☆☆

يُربّبُ النحلُ على شراسة اللدغِ
كما تُروّضُ الوحوشُ والكواسرُ البلهاء
وتُحرثُ المفازةُ الجرداءْ
والبعضُ ما زال على أحقادهِ الأولى
وقد تجدّدت من حوله الأشياء

☆☆☆☆

سمعته يبكي على لبنان
وذلك العشق الذي فاض على الوديان
وشاع في كل نواحي الأرض والبلدان:
هل سقطت جميعها نوافذُ الريحانْ
هل هُدمتْ قصورُها
هل هاجرت طيورُها
هلى هفتت نجومُها
وانخسفت بدورُها
وأين تلك أهلُها
وأين تلك دورُها
خاوية حقولُها
نائحة طلولُها
كأنها الضياعُ في الميزان
دمٌ على أرائك النّدمان
دمٌ على الرمال والشطآن

Book9.indd 478 3/8/14 4:02 PM

دمٌ على الأفنان
دمٌ على ناعورةِ البستان
دم على العصفور والأوكان
دمٌ على ساقيةٍ تنوح
تبكي على حمامةٍ مغصوبةٍ
أو قمرٍ مذبوحْ

✶✶✶✶

Book9.indd 479 3/8/14 4:02 PM

الفتنة والأسلحة المعارة

كنتُ أدري أنهم حولكِ ثعبانٌ وغولُ
جرفتهم مدنُ الخسف التي انهارت وزجّتهم سيولُ
كنتُ أدري أنهم شتى وأعواني قليلُ
ليس عندي ما أقولُ
غير أني أقرأ البرقَ الذي يعزفُ
أو يرسم من حيث يجولُ
لم يكونوا غير أعشابٍ تزولُ
حملتها الريحُ من شتى بقاع الأرضِ
واستذرى بها البعضَ
كما تكتظ في الجرف الوحولُ

☆☆☆☆

ولقد شاء لنا الحظ بأن نُرضعَ أفعى
تأكل الناسَ إذا جاعت
وثعبانًا نعولُ
والطبولُ
كلها تقرع والناسُ على الناس تصولُ
ولقد جاءوا مع التيار والحمّى
وجاءوا بالذي لا يفهم الناس كما انهارت طلولُ

☆☆☆☆

Book9.indd 480 3/8/14 4:02 PM

ولماذا شرّدوا سلمى؟

وإن عادت ففي حارتها الحربُ التي ليست تزولُ

ولقد كانت قبيلَ الحرب في حربٍ

ولكن لم تكنْ حربًا كهذي الحربِ

أو جُندًا كهذا الجندِ

أو رجمًا كهذا الرجمِ

بل حربًا بلا صوتِ

وللقاتل ينحاز القتيلُ

☆☆☆☆

هاجرتْ سلمى مع النحل الذي هاجرَ

أو ضجّت فسارتْ

هاجرتْ سلمى مع الطير وطارت

فلقد غاروا عليها

مثلما الذئبان غارتْ

حاصرتها العاصفة

في الليالي الواقفة

ودخلنا أول الشِّعرِ وفي أبحره الأُخرى

سليمى علمتنا الشعر سوّته مضيئًا وجديدا

خلعت أثوابه الأولى التي رثت

وأعطتهُ وشاحين من البرقِ

وسوّته صراعًا وهديلا

☆☆☆☆

آه يا وادي الراحينْ

Book9.indd 481 3/8/14 4:02 PM

ويا سفحَ السفرجلْ
صارت الدنيا ميادين قتالٍ تتنقلْ
وحروبًا تتوغل

☆☆☆☆

ولماذا تكذبونْ
زمنُ التفاح لم يرجعْ وظلُّ الزيزفونْ
خلعت خضرتَها الأرضُ التي تنبت طيرًا وغصونْ
والمواويلَ التي تسهر في الليل وألوانَ العيون
والصبايا حين يرقصن على إيقاع عشق لن يكونْ
وسلالَ العنب الناضجِ لما يعصرون
كان لبنانُ كطفلٍ أزرقَ العينين ينمو
تحت أفياءِ حريرٍ ولحونْ
كان يُسقى لبنَ الأرض التي باركها الله
وسوّاها رسومًا وفنون

☆☆☆☆

كان لبنانُ بلا سورٍ وفيه ألفُ بابْ
كان كنزًا من كنوز الشرق
في الأرض التي تزهو عصافيرًا وورودًا وشراب

☆☆☆☆

كان لبنانُ نبيذًا وقمرْ
وترابًا كسجاجيد من المخمل
تأوي عندها الأرض
وتستلقي كأنثى ترتدي معطفَها الأزرقَ

Book9.indd 482 3/8/14 4:02 PM

والأخضرَ. والعطرَ الذي يخرج من قلب الحجر

☆☆☆☆

من رأى «عاليه» في الليل

وأضواءِ الحوانيت التي تسهرُ

والعشقَ الذي يأتي من الريف شهيًّا وسريعًا

ومن الأرض جميعًا

«وبحمدون» مع العصر وقد فاض شموعًا

من رأى فاكهةَ الفجرِ «بسوق الغرب»

والدنيا التي تبقى ربيعا

وبيوتًا تصنع الأعياد والحلوى

وحاراتٍ من القرميد والزعتر

والليلَ الذي يدخل في الفجر رقيقًا وبديعا

☆☆☆☆

اسمحوا لي أيها السادة أن أذكرَ لبنانَ

وما سوف يكون

كان ما كان. وجاءت هذه الحربُ وأيامُ الجنون

والأساطيل التي يأتي بها البحرُ

وما تقذفه الأرضُ على ساحله الوردي

والدنيا التي اهتزت فألقت

من غشاواتِ قرونٍ وقرون

☆☆☆☆

قرويًّا كان لبنان

وريفيًّا على فطرته الأولى وبحّارًا قديما

Book9.indd 483 3/8/14 4:02 PM

فاجأته مدن العالم سوّته رمادًا وهشيما

☆☆☆☆

زحفوا من جانب الأرض التي اهتزت

وجاءوا في زيوت البحر

والبعض توارى كسمومٍ في الطعام

خدعوه بالتقارير التي تكذب

والفسق الوظيفي. وبالنمل الذي صار حمامًا

ونساءً تتقن الجنس وتدريبَ العصابات..

التي تدخل في شتى العصابات

وفي شتى اتجاهات الظلام

همْ أحاطوه بغشّ الأرضِ

والفتوى التي تخرج من حقد الإمامْ

☆☆☆☆

ها هم الآن على الأنهار

والبحر الذي يخرج من زُرقته الأُولى

لكي يدخلَ في الأسود والأحمر

أو يسري ولا يسري به الماء

وتأتيه طيورُ الأرضِ والذئبُ وأسرابُ النعام

☆☆☆☆

واستمرتْ هذه الحربُ وقد سلّحها الفكر السياسيُّ

وأشباهُ الرجالاتِ وأبناءُ الحرامْ

ذاب من تحتهم الصخر وما ذابوا

كأن الحربَ قد أمست قِمارًا دُوليًّا

Book9.indd 484 3/8/14 4:02 PM

والذي يحترف الفتنةَ والشرَّ سيعطي
سببًا للبطشِ كي يبقى قويّا

☆☆☆☆

كلُّ شيء ينتمي للحرب في هذا الزمان
فالإشاراتُ التي تنبضُ في الأفقِ
وهذي السفنُ الذريةُ الأطوارِ
والفكرُ السياسيّ المهان
والشعارات التي تهذي وعنقاءُ السلام
حالةٌ تنذر عن حربٍ ستأتي
ونزاعاتُ كراسٍ ورهان

✶✶✶✶

Book9.indd 485 3/8/14 4:02 PM

المصابيح وجسد النعناع

من الصعب أن يعشقَ الناسُ في زمن الحربِ
لكنني قد تجاوزتُ هذه الحروبا
وهذا الزمانَ الكئيبا
وهذا التّسكعَ في الموتِ.. إني امتشقتُك جسمًا مضيئا
وخصرًا عجيبا
وإني ألوذُ بزرقة عينيكِ
حين يصير المكانُ حزينًا مريبا
وإني قرأتكِ
ترجمت عينيكِ لما تفيضانِ عشقا
كأنك صرتِ هديلاً وبرقا
وأصبحتِ جاهزةً للقاء
سلام لعينيك ذات الضياء
وما تختبي في ملامحكِ البيض ذاتِ التوهج والكبرياء
تعالي فإني تصبرتُ كي تصبحي هكذا مثلَ ظني
ومثل اشتهائي
وكنتُ توقعتُ خاتمة البرقِ
قبل التماعاتِ عينيكِ كالصحف الزُّرقِ
في جانبٍ من سماء
وكنتُ تصورت كيف تجيئين لي هكذا
كحورية البحر خارجةً من جيوب المساء
وأُنشئ محارةً تسع الأرضَ كي تدخليها

Book9.indd 486 3/8/14 4:02 PM

لنسكنَ فيها
كلؤلؤةٍ أحتويها
كأنك مشتقةٌ من بهاء السواحل في الصيف
أو من حقول الفواكهِ والطير أو من ليالي الأغاني
كأن بصوتكِ صوتُ العصافير في الماء
أو أنه طائف قد أتاني
كأنك أشهى حنين أُعاني
ويبقى حديثك أشهى حديثْ
وتبقى معانيك أحلى المعاني
لماذا تجيئين ما بين آنٍ وآنِ
نُعاسًا يُحلِّق في يقظتي
ويطلقني من حدود المكان
كأني أعيشك كلّ الثواني
ولم أدرِ ما حالتي مذ أراكِ
ولكنني ساكنٌ في حماكِ
فسبحانَ من قد هداني
إليكِ وسبحان من قد هداكِ
ومكّنني أن أعاني هواكِ
كأني اهتديتُ لترجمة الحلم أو سالكٌ في مداكِ
كأني اتكأتُ على جانبِ الأفق أستشرفُ الأرضَ
هذا مكانُك حيثُ مكاني
وهذي مصابيحُ عينيك ذاتِ التوهجِ والعنفوان
أفسرُّ فيك اتجاهي إلى الغيب
أسري على زُرقة النجم في مقلتين
تطيرانِ بي أو هما نجمتان
وثوبكِ جوقُ حمامٍ يفاجئه الرعدُ

Book9.indd 487 3/8/14 4:02 PM

أو من نثارة ورد
فحينَ تكونين عندي
أحسُّ كأني تجاوزتُ حدّي
وأني انتميتُ لعشقك
أني انتميت لعصفورة الرعد وهي تنقر جلدي

☆☆☆☆

ويمتزجُ العشقُ والشّعرُ في مقلتينِ
يقولان كن عاشقًا مرتينِ

☆☆☆☆

وتوضأتُ بأقداحٍ من البلورِ
أو من نشوةِ الأزرقِ مذ يرغو
وتحت الشفق الممتد أهدابًا أوينا
فالتقينا
لم تكن برقًا ولكنْ
ضوءُ خديها من البرقِ وعيناها مدائنْ
وخزائنْ
لم تكن عطرًا وتفاحَ جنائنْ
أو تهاويل مفاتنْ
لم تكن عشقًا ولكنْ
من حضورٍ ساكنٍ في وَسَني
إنها فاتحةُ العشق الذي أدخلني
غرفةً من جسد يسكنني
وبساتين من التبغ الذي أشعلني
وهي ما كانت من الوردِ
ولا ما يُشبه الضوءَ اذا اهتزّ على الماء

Book9.indd 488 3/8/14 4:02 PM

ولا جوقَ خلاخيلٍ وأعناقِ حمائمْ
ذهبت صورتُها الأولى وصارت صُورًا أخرى
وعيناها بداياتُ سلالمْ
يدفقُ المسكُ إذا اشتدّت
وتنقاد كطاووس مسالمْ

☆☆☆☆

لم تكن زرقةُ هذا البحرِ من عينيكِ
بل زرقةُ عينيكِ من البحر ومالي عنك برُّ
كل شيءٍ واضحٌ فيك ولكنكِ سرُّ
أتهجاك رسوما
ثم أتلوك نجوما

☆☆☆☆

ولماذا يستحيل الشاي مسكًا ونبيذا
وله عزفٌ إذا جاء
وقد صِرتِ كمن تسكُنكِ الأرضُ
أو استوعبتِ عطر الأرض
أو صرتِ شرابًا وحريرا
طالما راقبتُ عينيكِ إذا جئتِ
وراقبتك خصرًا مثل فتح الكف
أو صرتِ نعاسًا وفتورا
إنني أنقل عن عينيك صوتًا
وكذا أسمع في مشيكِ هزّ الشجرِ المثمرِ
ما أدناكِ من رسمٍ ومن صوتٍ
وعيناك ثرياتٌ دهاليزٍ
لماذا تجعلني الصمتَ إحساسًا مُثيرا

Book9.indd 489 3/8/14 4:02 PM

وكأني أمتطي النجمةَ نشوانًا
وأجتاز بعينيك البُحورا

☆☆☆☆

لم تكن فُلاًّ. ولا زورقَ نعناعٍ على الماء
وما كانت فتوحات من المخمل
بل كانت تُعد الشاي والثوبَ الخرافيَّ القصيرا

☆☆☆☆

دلني البرقُ على النبعِ وقد كان خفيًّا
وهبوطُ القمر الخارج من وجهك
والهابطِ في أنحائك البيضاء
والماكثِ لا ينقصُ أو يكبرُ شيّا
وتظلين غموضًا ووضوحًا
وأنا بينهما أنتظرُ الوقتَ الذي يدنو
ويرتدُّ عصيّا
وتظلين ثيابًا تتبارى وحُليّا

☆☆☆☆

كأنها تدفّقٌ من ينبوعْ
يسكنها الحسنُ كما تسكن في الضلوعْ
عيونها صحائفُ العشقِ وفي قوامها السطوعْ
ويلي من عشق ومن ولوعْ
قد هيأت أصباغها وعطرها
وليلها وشعرها
وانتظرت كأنها سفينة تهمُّ بالقلوعْ

☆☆☆☆

يقولون «هندًا» أم بلادًا إلى «هند»

Book9.indd 490 3/8/14 4:02 PM

عشِقتَ فقلت العطرُ من شهوة الورد
وثوبٍ لها فيه حراك أصابعٍ
أظافرها الريحان ينمو على جلد

☆☆☆☆

أكلت لها حلوى بلوزٍ وسُكرِ
وعطّرتُ ثوبي من قميصٍ معطرِ
عليه نقوش تنتمي لنوازعٍ
وفيه خطوط من حرير مُفَكّرِ

☆☆☆☆

وفي بيتها أفوافُ حوضٍ ممرّدٍ
ولون زجاجٍ من بريق مُغرّدِ
ومنعطفٌ صخريةٌ حجراته
لها طُرقٌ مجهولةٌ لم تُعبَّدِ

☆☆☆☆

وأذكر أشياءً لها ثم أذكر
طروقًا لها في الليل والبدرَ مُقمرُ
وحالةَ عشقٍ عندها لا يُحسّها
سوى سامعٍ أفكارَها حين تنظرُ

☆☆☆☆

جاءت يعبق فيها الصندلْ
وعبيرُ المسكِ لقد جاءت أجملْ
يستعر الوجدُ بخدّيها
كمواقد أمطار الليل الأول
جاءت فمقاعدنا عطرٌ
وأوانينا أكثرْ

Book9.indd 491 3/8/14 4:02 PM

يا هيلَ الشاي ويا عطرَ الزعترْ
يا ثوبَ الليل. أيا ثوب الليل الأخضرْ
جاءت تنزف عشقًا قد ظرّمها
وحرير يدحو أعظمها
ونُعاس حمامٍ رنحها
ورشاقةُ عصفور رسمت فمهًا

☆☆☆☆

يا دعوةَ الشوق إلى الشوق إذا
تغامزت نوازع واتفقَ الاثنان
هل تذكرينَ نخلة (البرحي) ذات السعفِ النشوان
والرّطبِ المصْفّر كالمرجان
يُطل من أليافها البلبل والأوكان
مثل بيوت الشعر بين الليل والألوان
وكنتِ في قميصك المشتق من شهيتي
للأكلِ والنوم على أرائك الكتان
وأقرأ الغمز واستهدي بضوء الزُّخرف النعسان

☆☆☆☆

أُذكـــــري لـيـلـة المـصـابـيـح لما
رقّـص الـقـصـرَ ضـوؤُهـا المـتـهـادي
ومـكـانًـا بـجـانـب الـشـجـر الـشـا
حـــب لا يـهـتـدي لمـثـواه هـادِ
تـتـجـافـى دروبـــه نـافـراتٍ
كـنـفـور الـعـروق فـي الأجـسـادِ
وكـأن الـرمـالَ سـقـفٌ تـهـاوى
تحـت أقـدامِـنـا لـهـوة وادِ

Book9.indd 492 3/8/14 4:02 PM

لـــم يـــــزلْ واهـــــج الـــظـــهـــيـــرةِ فـيـه

ودجـــى الـلـيـل مـوغـلٌ فـــي الـــسّـــوادِ

اذكـــــري لـيـلـة الـــصـــــراعِ مـــع الـلـيـ

ـــــلِ جـمـيـعًـا وكـــنـــت كـــل عـتـادي

كـنـتِ ظـمـــأى وكـنـت أشـــــرب مـــن عـيـ

ـنـيـكِ. كـيـف ارتـــــواء صـــــادٍ بـصـاد؟

مـــلأ الـــشـــوقُ مـقـلـتـيـكِ وفـــي خـد

يـــك ضـــــوءٌ كـــالـــكـــواكـب الـــوقّـــاد

بـعـثـوا يـقـتـفـون خَـــطـــوَ هـوانـا

كـي يـثـيـروا الـشـكـوك فـي الحُـسّـاد

نـتـحـاشـى أصـــواتـــهـــم وهـــي جـــوقٌ

مـــن غـــنـــاء أو عـــــازف أو مـنـاد

وكـــأن الـسـمـار فـي سـاحـة الـقَـصْـ

ـــــرِ مـقـيـمـون فـــي جـنـائـن عـاد

☆☆☆☆

أيا عطشًا يحاورني ويُغريني

ويا وقتَ التفافي في زخارفك التي تبقى تناغيني

وتهديني

تعالي كي أضيفَك أضلُعًا أخرى

وشريانًا تغذيه شراييني

كأنك تسكنينَ الفكر في جسد من النعناعِ

يُنعشني

يُحاورني

Book9.indd 493 3/8/14 4:02 PM

ويوحي لي كتاباتٍ غريباتِ العناوين
كأنا نهتدي بغرائز الأزهار والنحل

☆☆☆☆

ماذا يقول قميصك الوردي. خلتُ فراشةً نسجت أعاليه. وعصفورًا خرافيًّا يمهّدُ من أسافله التي ركبت جنوني. ثم اكتشف الغريزةَ. أهبط النهرَ الذي حجزوه. أو مرّوا عليه ولم يقولوا عنه شيئًا. من هنا يمتدّ خط الأرض نحو السرّ. من عينيك تبتدئ القصائدُ والهواجسُ. لستِ إمرأةً ولا لهبًا يُساقيني الغرام.

✱✱✱✱

Book9.indd 494 3/8/14 4:02 PM

ويبقى القمر مُنعزلاً

وتظلُّ محتدمًا ومقتحما
وتبقى سيدَ الرؤيا التي لم تكتملْ
ومخاضَ أغنيةٍ
دبيبَ الرمز
أحجيةَ البريقِ
وتلتفتَ الجبل الذي يسري إلى الوادي العميق
ونبوءةُ الأحزان أنتَ
صهيلُ قافيةٍ
وأنت نوازف اللغة التي شقَّت لفائفها
وعادت للشروق

☆☆☆☆

هم حاصروا الإنسانَ قبلَ الأرض
حتى جاءها الغزو الذي لا يعلمون
فهمُ بما مكروا على أعقابهم يتقهقرون
قامت قيامتهم وها هم يُحشرون

☆☆☆☆

والأرضُ ما عادت كما كانت
وبُدلت السماء. وزُلزل المتغطرسون
أولا ترون الأرض غير الأرض
أين حدودها الأُولى

Book9.indd 495 3/8/14 4:02 PM

وأين جبالها الأُولى
وأين سماؤها الأولى
كأن الروح تخرج من حجارتها وطينتها
وتسكنُ في الحديد
نفخوا به سوُّوه من بشر جديد
جعلوه طيرًا يسكنُ الأجواء
أو حوتًا ببطن الماء
أو قمرًا يراقبهم
وصاروخًا على هاماتهم ينقضُّ من ركنٍ بعيد

☆☆☆☆

إني أحسُّ كأن شيئًا سوف يأتي
يمكث الإحساس أوسعَ من مدى التفكير
حين تُبدل الأشياءُ
حين تصير أكبر من توقعها
وأوسع من تصوّرها
وحين تجيء جاهزةً وغامضةً
وقاسية ككابوس عنيد

☆☆☆☆

حربانِ دائرتانِ. ظاهرةٌ وخافيةٌ. مسلحةٌ
وموعزةٌ. فأيهما تواجه
إنه زمن الحروب بكلّ أنواعِ الدمارْ
وبكل أنواع الشياطين التي تُطلى
وتُدهن بالمساحين القديمة والحديثة
بالسياسات التي صارت مخاضَ الفكر

Book9.indd 496 3/8/14 4:02 PM

صارت محورَ الأشياءِ والأحداث والصنمَ المعارْ

☆☆☆☆

حربانِ دائرتانِ طاحنتان
وأصخةٌ مسلحةٌ
وخافيةٌ ملبّدةٌ
تعوم بكل ميناء
وتدخل كلَّ عاصمةٍ وبينهما حِوار

☆☆☆☆

تتطور الأشياء والإنسان يسقط
أو تجاوز كونه وحشًا
ويخرج من ملامحه ليدخل في أظافره
وكلٌّ حوله حرب تُدار

☆☆☆☆

بجوارنا حربٌ وفحوانا النقائضُ والحروب
بجوارنا شجر بلا طير
وشطآن مهدمة كما شُقّت جيوب
وبلابل مخلوعة الأعناق
امرأة بثديٍ واحد
ومنازل مخلوعة الأبواب
في جدرانها الدم والثقوب
وعويل عاشقةٍ كأن بصوتها صفصافةً تبكي
وساقيةً تلوبْ

☆☆☆☆

ماذا تقول خمائلُ الليمون في (يافا)

Book9.indd 497 3/8/14 4:02 PM

وشطآنُ القرنفل
ماذا تقول حدائقُ التفاحِ في لبنان
والجبلُ المهشمْ
وسواحلُ المتوسط الممتد في الدنيا
وميناءُ «بيروت» معطل
ورمال «سيناء» التي رجعت وما كادت
وأرضٌ تُنبت الأزهار في «الجولان»
والأحجار ذات النقش والشجر المدلل
ماذا تقول شواطئ الأسماك في (الأهواز)
والنخل الذي يمتد مثل سلالم
من فوقها ظل ومائدة تنزل
والأرض كالانسان تَرحل
من يوقف الأنهار قبل رحيلها
من يطلق العطش المكبَّل؟

☆☆☆☆

إن الأشياءْ
تتجدّدُ كالأنسانْ
وتموت وتحيا كالإنسان
ولقد علمنا غربلةَ الألوانْ
والسيرَ على الأسنانْ

☆☆☆☆

كلُّ الألوان إذا ذبلت تُصبح صفراء
كل الأشياء لها
حركات تنبض أو تزحف فيها

☆☆☆☆

Book9.indd 498 3/8/14 4:02 PM

لغةٌ في الألوانِ
لغةٌ في الحركاتِ
وكأني أسمعُ أشياءً تزحفُ
تنمو
تحتلُ الأشياءَ الأخرى
ولغاتٍ أخرى أرسمها
وأُعاقرها

☆☆☆☆

ليس العالم ما ننظره
ليس العالم ما نلمسه

☆☆☆☆

كلُّ الأشياء تجيء كما شاؤوا
فالحربُ كما شاؤوا
والسلمُ كما شاؤوا
والتاريخُ دماءُ
لا يسح الجسمُ سوى دمهِ

☆☆☆☆

تعتزل العالمَ أو تدخلُ معركةً فاشلةً
تعتزلُ العالمَ أو تلبسُ ألسنةً
ووجودها شتى
تعتزلُ العالمَ أو تتقمص أشباحًا
تعتزلُ العالمَ أو تعزلُ نفسَك عن نفسِكَ
عن حسِّكَ
عن جلدِكَ

Book9.indd 499 3/8/14 4:02 PM

عن أرضِكَ حتى تتبدلْ
تعتزلُ العالمَ أو ترحلْ

☆☆☆☆

فاختر حالاً من حالين
أن يأكلك التمساحُ أو الذئبُ
أو أن تحيا في المابينِ

☆☆☆☆

أنهارٌ باغتها النملُ
ونجومٌ يرشقها الوحلُ
ويظلّ يُسائل عن زرقته البحرُ
وتبحثُ عن خضرتها الشطآنُ
فمتى يعقل هذا الحقدُ الوثني
وتُطفأ تلك النيرانُ

☆☆☆☆

يتموّلُ من جثث القتلى الطيرُ
وتميدُ من الموت الأرضُ
ويضجُّ الإنسانُ

☆☆☆☆

تتجمع أسلحة الدنيا
وخرائطُها
ووسائلُها
في الأرض كما يَجمعُ
من ذريته الشيطانُ
في زمنٍ غادر حالته الأولى

Book9.indd 500 3/8/14 4:02 PM

وتجاوزَ أقبية الظلماتِ الانسانُ
وتُجدد من هيبتها الأوثانُ

☆☆☆☆

جثثٌ تحت جذوع النخلِ
وتحت رماد الأشجارْ
جثثٌ ينهش أعينها الطيرُ
ويسكنها النملُ
جثثٌ فوق مياه الأنهارْ
جثثٌ تحت الأنقاضِ
وبين حطام الصخر المتناثر كالأشلاءِ
جثثٌ وأكاليلٌ تحت الأحجارْ
وكأن العالم خارطة واحدة في كف الأعصارْ

☆☆☆☆

لا غالب الا المالُ
وإلا القوة في هذا الزمن الغدّار

☆☆☆☆

أفي كل يومٍ وعيدُ
إليكم وقصف جديدُ
وجيشٌ تضيق به الأرض من زحفهِ والفضاءُ المديدُ
تعود بقاياه أو لا تعودُ
أفي كل يومٍ لكم نارُ حربٍ تشبُّونها
أو هجومٌ به يستغيث الحديدُ
تُعار خرائطه والسلاح المبيدُ
أفي كل يومٍ تدكون أرضًا بواطنها من كنوزٍ

Book9.indd 501 3/8/14 4:02 PM

وظاهرُها جنةٌ أو خلودُ
يُبدّل خضرتَها راشح الدم
فهي من الهول حمراء سوداء
لم يبقَ عود
بأشجارها أو مكان سعيد
فأين المفكرُ أين الرشيدُ
لماذا التورط في الحربِ
والحربُ أحبولةُ العصرِ
قاهرةُ الناسِ والأرضِ
فاتحةُ النار أنتم عليها قعود
وأنتم إليها الوقود

☆☆☆☆

سواقٍ مهدمة مثلما شُققت
جيوبٌ. وفُضّتْ بكارة أرضٍ بتول
يبادر مثلُ عيون العصافير
تبرق بين الشباكِ
وسنبلة كاللسان الهزيل
نخيل على ضفة النهر مَحنيَّةٌ
خِلتُها تستقي من شماريخها
أو تُصلّي صلاة الأصيلِ
ثقوب بمئذنةٍ
فاجأتها الصواريخُ في الفجر
واخترقت قبةً فوقها آية الفتح
إنّا فتحنا لكمْ مدن الشرق فلتدخلوها

Book9.indd 502 3/8/14 4:02 PM

بيوتًا عليها حجارُ التّنانير
أو أنها من حطام الطلولِ

☆☆☆☆

بماذا تُنابزُنا أيها الوغدْ.. ماذا تقولُ
لماذا تحمّلُنا خطأة الدهر والدهر غرٌّ جهولُ
توافق أحلامَه هوسُ الوغدِ. والدهر وغدٌ يصولُ
وتمكث خارطة الفكر تبقى العقولُ
تُصححُ أخطاءه أو يزولُ
وأنت ناهبكَ السيلُ
والليلُ، أوقد حواك الذبولُ

☆☆☆☆

لو جاءني نهرٌ من الياقوت
يدفق بين شطآن الذهب
وفتحت لي مقصورةً في جنة الأعناب والرمانِ
أو قصرًا به حوضٌ من المرجانِ
ما أطفأت في صدري اللهب

☆☆☆☆

مهَّدتَ نحوي هجرةَ الغربانِ
والنملِ الذي ينمو على الديباج والكتّان
والأفعى التي طارت بأجنحة الفراشة
والشياطين التي صارت قياصرةً
وقد بوأتموها في سلالات النبوة والعربْ

☆☆☆☆

في الرملِ تفتحُ زهرةٌ أخرى أضالعَها

Book9.indd 503 3/8/14 4:02 PM

ويبتدئ التوهج والتوغل
في المغاليق التي فُقست
سوى هذي القواقع والعُلبْ
والواقفين بكل مفترق لنا
والغاضبين بلا سببْ
والآكلين لحومنا أكلاً
وقد نُفخت بطونهم كمن أكلوا الحجارةَ والحطبْ
غصّوا بنا. لكنهم مضغوك وابتلعوك
إلا هذه الأحجار والأطيان
والمدن التي تنمو بصخرتِها كديدانِ الخشب

☆☆☆☆

قمرٌ تحاصرهُ الزواحف والعناكب
نجمةٌ تتسلق الأسوار
نهر يرفس الشطآن
أو شجر تحرك عن كثب
وحجارة رجموا بها الشيطان ثانيةً
وقافية بها غضبٌ ولكن ليس من هذا الغضب

☆☆☆☆

«أسماءُ» تخرج مرةً أخرى
تعاود من توغلها لتدخل في تفاصيل الوجود
«أسماء» تمتشق الهوى المحجوز
تخرج من رماد الليل
والعطش الذي رفسَ السدود
«أسماءُ» ثانيةً تعود

Book9.indd 504 3/8/14 4:02 PM

لتناقش الأشياء حين تراكمتْ

وتواجه الأحداث حين تداخلتْ

وتفك أحجية القيود

«أسماء» تخرج من حريق الورد

من محّارة غصتْ بلؤلؤة

وظلت في حنين البحر أزمانًا

إلى أن جاءها وجع المخاضِ

كأنها اجتازتْ خرائطَ هذه المدن التي انتفخت

وما وضعت. سوى الأحزان والنار القديمة والوقود

هي ذي تعيدُ تناسق الأنهار

تأوي عند نخلتها التي اهتزّت

وحرّك جذعها البرق الذي

قَدَحتهُ أحجارٌ من الياقوتْ

والرملُ الذي ينشقُّ عن كنزٍ يجود بما يجود

☆☆☆☆

هي ذي على الكثبان ذات الوقد

والشطآن ذات القند

تهزج

توقظ الأرض التي ظلت مدثرةً

ومغلقة كصندوقٍ قديمْ

وتُعاود الأشراق في الزمن البهيم

☆☆☆☆

لا ترفعوا رأسًا

وكونوا مثل أشجارٍ أناختها حمولتها

Book9.indd 505 3/8/14 4:02 PM

وأعشاشُ الطيور

☆☆☆☆

لا ترفعوا رأسًا

فتحتكمُ مفاتيحُ الكنوز

وتحت أرجلكم تساقطت الشواهق كالقشور

وخزائن الأرض التي امتدت لها كل الجسورْ

☆☆☆☆

لا ترفعوا رأسًا

وهل تعنيكمُ نزعات هذي الأرض

إن وقفت وإن ظلتْ تدور

☆☆☆☆

والأرضُ تزحف نحوكم

عبرت سواحلَها القديمةَ أو تجاوزت العبورْ

جاءت لكم بموائدٍ فيها من الريحان والحلوى

وما صنعته طاهية العصورْ

☆☆☆☆

لا ترفعوا رأسًا

ستنزلق الأواني من على هاماتِكم

ولسوفَ تنكسرُ الصحونْ

☆☆☆☆

لستُ ذا علمٍ بما يأتي به الغيب وما سوف يصيرْ

بيدَ أني أقرأ الحربَ التي دارت وما فيها يدور

إنها الحربُ التي من خلفها الحرب..

التي لم ترها العين وتسري مثلما النار تسير

Book9.indd 506 3/8/14 4:02 PM

إنها حربُ السياساتِ وما تنفثُ في الناس

وقد طوّقت الآفاق

أو شنّجت الأرض

وقد عمّت كما امتدتْ جسور

وشِباكٌ تلقفُ الماكثَ في فطرته الأولى

كما تمكث في الزرع القشور

والذي يقتاده العصر ولا يدري إلى أين

ولا يسمع قولاً

كبرت من حوله الأشياء والتاثَتْ

ولا يملكُ حلاً

غيرَ أن يفتعلَ الحربَ التي يَصلِي بها الناس ويُصْلى

☆☆☆☆

ولماذا يُحرقون القببَ الخضراء

والوادي الذي فاض قبابًا ومُصلّى

ورمالاً لم تكن رملاً كهذا الرمل

أو صخرًا كهذا الصخر

بل مائدة أنبتها الله على الأرض

وقد باغتها الغول

ومَن يرقى بأسبابٍ من البطش

وأسباب من الحرب وقد خاب وضَلا

✶✶✶✶

Book9.indd 507 3/8/14 4:02 PM

الديوان العاشر

خرائط البرق(*)

(*) نشر هذا الديوان بدعم من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب عام ١٩٩٨م.

Book10.indd 509 3/8/14 4:03 PM

لبنان وهموم العاشق

هـل تـذكـريـنَ شـمـوعَـنـا فـي الـوادي
أو فـي الـسّـفـوح بِـلـيـلـةِ المـيـلادِ
ومـقـاهـيَ الـعـشّـاقِ فـي «عـالـيـه» أو
«بـيـروتَ» بـين مُـنـادمٍ أو شـاد
وقـوافـلَ الـرَّقـصِ الـذي يـأتـي لـنا
مـن كـلِّ نـاحـيـةٍ وكـلِّ بـلاد

☆☆☆☆

فـكـأنـه لـغـةٌ تجـيء مـع الـهـوى
تـوحـي بـهـا الأجـسـادُ لـلأجـسـاد
مـن كـلِّ فـاتـنـةٍ كـأن قـوامَـهـا
مـتـدفـقٌ مـن كـوكـبٍ وقّـاد
و(مُـرَبِّـبِـيَن) مـع الـكُـروم كـأنـهـمْ
نَـبـتـوا مـع الأعـنـابِ والـفِـرْصَـاد

☆☆☆☆

يـتـشـابـكـونَ أضـالـعًـا بـأضـالـعٍ
مـلـهـوفَـةٍ وأيـاديًـا بـأيـادِ
سـكـن الجـمـالُ بـيـوتَـهـم وجـسـومَـهـم
ونـفـوسَـهـم فـهـمُ بـهـاءُ الـضَّـاد
بـيـضُ الـسّـرائـرِ والـوجـوهِ تـروَّضـوا
بمـدائـنٍ وتـطـهَّـروا بـبـواد

Book10.indd 511 3/8/14 4:03 PM

مـا عـادَ سـمّـارُ الـضِّـفـافِ كـعـهـدهـمْ
يـتـجـمَّـعـونَ بمـوسـمٍ وحـصـادِ
وتـرمَّـدتْ جـنـاتُـهـمْ مـن بـعـد مـا
كـانـت قـديمًـا مـن جـنـائـنَ عـاد
جُـمـعـتْ شـرورُ الـنـاسِ فـي دعـواهـمُ
أن الحـروبَ طـريـقُ كـلِّ جـهـاد

☆☆☆☆

والـسِّـلـمُ لـم يـبـرح صـراطَ مـفـكِّـرٍ
أبـدًا يـقـود ولـيـس بـالـمـنـقـادِ
ولـذاكَ قـيـلَ بـأن عـفَّـةَ عـالِـمٍ
تـبـقـى وتـذهـبُ نـزوةُ الأحـقـاد
لـيـس الـذي يـبـنـي كـمـن هـو هـادمُ
شـتَّـانَ بـين ضـلالـةٍ ورشـاد

☆☆☆☆

والـظـلـمُ كـان ولا يـزالُ مـطـيـةً
رعـنـاءَ ذاتَ تـخـبُّـطٍ وتمـادِ
هـا هـمْ تجـيـشُ بـهـم سـطـوحُ سـفـائـنٍ
تـرسـو عـلـى الـشـطـآنِ كـالأطـواد
وخـيـامُـهـم بـين المـروج كـأنـهـا
نـول الـعـنـاكـب أو تـلال جـراد
مُـتـبـايـنـاتُ الجـنـدِ مـخـتـلـفـاتـهُ
مـتـشـابـهـاتُ الـقـتـلِ والأمـداد
وكـأنمـا الأيـامُ تـفـقـدُ شـكـلَـهـا
وتـضـيـعُ بـين تـآلـفِ الأضـداد

Book10.indd 512 3/8/14 4:03 PM

والـشـرُّ يـقـتـلُ نـفـسَـه فـي نـفسـهِ
أبـــدًا وتـبـقـى الأرضُ لـلـرّوّاد

☆☆☆☆

قـالـوا ومـا لـبـنـانُ قـلـتُ حبيبةٌ
كـانـت مُـنـى نـفسـي وحـلـمَ فـؤادي
نـهـبَ الـغـزاةُ حـلـيَّـهـا وثـيـابَـهـا
نـهـبًـا وهـا هـي فـي ثـيـابِ حِـداد
قـالـوا ومـا لـبـنـان قـلـتُ جـنـائـنٌ
ومـنـاهـلٌ نـامـتْ عـلـى الأصْـفَـاد
قـالـوا ومـا لـبـنـانُ قـلـتُ سـواحـلٌ
زرقٌ خـضـرٌ فـي يـدِ الجـلاّد

☆☆☆☆

قـالـوا ومـا لـبـنـانُ قـلـتُ رسـولـةٌ
بُـعِـثَـتْ لـتـتـلـوَ آيـةَ المـيـعـاد
بـل جُـذوةٌ أخـرى بـأرضٍ لـم تـزلْ
نـيـرانُـهـا مـرفـوعـةً بـعـمـاد
رُفِـعـتْ كـلافـتَـةٍ بـريـقُ ضيائـها
كـرسـائـلٍ ودخـانُـهـا كَـمِـداد
وكـأنمـا الحـجـرُ الـقـديمُ مـجـامـرٌ
وقـفـتْ لـهـذا الـلـيـلِ بـالمـرصـاد
والـنـارُ مِـن قـبـسٍ وكـلٌّ قـابـسٌ
مـنـهـا وبـئـس الـنـارُ تحـت رمـاد
يـتـبـجَّـحُـونَ بـأنـهـم نـفـخـوا بـهـا
وتـوغَّـلـوا فـي تـلـكـمُ الأبـعـاد

Book10.indd 513 3/8/14 4:03 PM

واستعمروا الأرضَ القديمةَ بالذي
قد جدّدوا من فتنةٍ وفساد
وبأنهم نصبوا حبائلَ مكرهم
وتدرّعوا من راسبٍ بعتاد

☆☆☆☆

ولقد شَجتني غرفةٌ محجوبةٌ
بسرادقِ الأشجارِ والأوراد
لا يُهتدي لطريقها إلا على
هادٍ. وكم قد ضاع فيها الهادي
في كلِّ آونةٍ لنا عيدٌ بها
ونَزورُها في موسم الأعياد
ولَكَمْ نشقنا من أزاهرِ «زينبٍ»
فيها وذقنا من نبيذِ «سعاد»
حلمٌ من الأحلام مرَّ ولم يزلْ
يأتي إليَّ بيقظتي ورقادي

✱✱✱✱

Book10.indd 514 3/8/14 4:03 PM

سلمى والبيت القديم

بـيـتٌ بـبـيـروتَ مـهـجـورٌ ومـحـتـرقُ
يـبكي عـلـى بـابـه الـعـصـفـورُ والـشَّـفَـقُ
وقـفـتُ مـنـه عـلـى بُـعـدٍ لأنـظـرَ مـا
أبـقـت بـه الـحـربُ حـتـى كـدتُ أختنق
مـا كـدتُ أعـرفـه لـولا نـوافـذُهُ
وسُـلَّـمٌ كـحـطـامِ الجِـذعِ مُنسحق

☆☆☆☆

عـلـى الجـدارِ ثـقـوبٌ مـثـلـمـا وثبت
أقـدامُ غـولٍ عـلـيـه فـهـو مُـنـخـرق
يـحـاذر الـطـيـرُ أن يـأوي لـه فبه
عـنـه انـحـرافٌ وفـي تحـلـيـقـهِ قلق
كـأنمـا الـحـجـراتُ الـبـيـضُ مـا فُـرِشـتْ
بـهـا الـمـقـاعـدُ أو تـهـوي لـهـا الـطـرق

☆☆☆☆

نـأتـي لـه حـيـث شـئـنـا أو يـجـيء لنا
تـفـاحُـهُ الـحـلـوُ أو جُـوريّـهُ الـعَـبِـقُ
كـأنمـا لـم تـعـشَ «سـلـمـى» بـه زمـنًـا
ولا انـطـلـقـنـا بـه مـن حـيـث ننطلق
وهـكـذا تـفـقـد الأيـامُ روعـتَـهـا
كـأنـهـا مـاخـضٌ قـد شـلَّـهـا الـطّـلـق

Book10.indd 515 3/8/14 4:03 PM

تماصَعُوا الأرضَ فاهتزَّتْ فرائضُها
من تحتهمْ واحتواها العالمُ النَّزِق
بعضٌ تهاوى.. وبعضٌ قائم وبهِ
شبه انهيارٍ وبعضٌ كاد ينزلق
صاروا جسورًا لمن يأتي وأكثرهم
مسالكٌ لغزاةِ الأرضِ أو شقق

☆☆☆☆

لو يشربونَ مياهَ البحرِ ما شرِقُوا
أو يعلكونَ صخورَ الشّوكِ ما زَهِقوا
وواقفون على اللاشيء تسلكهم
غيابة العصر أو بوابها الشَّبق
ومغلقون على اللاشيء تدخلهم
شتى الجهات بما سدوا وما غلقوا

☆☆☆☆

ولا يزال حصارُ الناس يضربهُ
بعضٌ على البعض مذْ صاروا ومذ خُلقوا
إذا أطاحوا بجدرانٍ لهم شهقت
أخرى يُنسّقُها بانٍ لها لبق
ويأخذ الشرُّ أشكالاً وأخبثُها
من يحرقُ الناسَ «يا سلمى» ويحترق
أرى الجسومَ رسومات تناقضُها
بواطنٌ والقليلُ النّزر مُتّفِق

Book10.indd 516 3/8/14 4:03 PM

يـــــأوونَ تحـــت شـــعـــاراتٍ مـلـفَّـقـةٍ
كـثـيـرةٍ واحـتـواهـمْ عـالـمٌ قَـلِـقُ
والـنـهـرُ يـصـنـع مـجـراه وسـاحـلَـهُ
ولا يُـعـارُ إلـى أشـجـارهِ الـوَرق
تُـعـكِّـرُ الـصـفـوَ أشـيـاءٌ نُـعـالجُـهـا
كـأنـنـا بـالـذي نجـلـوه نـخـتـنـق
تـكـادُ تـومـضُ فـي الآفـاق خـارطـةٌ
خـطـوطُـهـا مـن حـنـينِ الأرض تنبثق

****

Book10.indd 517 3/8/14 4:03 PM

الجبل والتابوت

لـم تـبـقَ فـي الجـبـلِ الحـزيـنِ بـيـوتُ
نـــأوي لـهـا وتـهـدَّمـتْ «بـيـــروتُ»
جـبـلٌ كـــأنَّ صُـــخـــورَهُ مـنـحـوتـةٌ
مـــن فـضّـــةٍ وبـسـفـحـهِ الـيـاقـوت
ومـديـنـــةٌ تـرسـو عـلـى شـطـآنـهـا
مـــدنٌ تجـيـش وروحـــهـــا مـكـبـوت
مـا بـــالُ هـذي الأرض ينـكـرُ بـعـضُـهـا
بـعـضًـا وتـقـتـل نـفـسـهـا وتمـوت
فـكـأنمـا أحـجـــارُهـــا مـرجـومـةٌ
بـحـجـارهـا والـنـاحـتُ المـنـحـوت
ألـقـتْ عـلـى إنـسـانِـهـا أثـقـالَـهـا
ووراءهُ وأمـــامَـــهُ الـطَّـاغـوت
أيـــنَ المـفـــرُّ؟ وكـــلُّ أرضٍ قـلـعـةٌ
وجـنـــودُهـــا وبـكـــلِّ بـحـــرٍ حـوت

****

Book10.indd 518 3/8/14 4:03 PM

الوحش الجديد

قـــد خـــــرجَ الـــعـــالَـــمُ مـــن كـهـفـهِ
وجـــــاء مـــثـــلَ الـــوحـــشِ فـــي زحـفـهِ
ولـــــم يـــكـــنْ وحـــشًـــا ولـكـنـهُ
كـــلُّ وحـــــوشِ الأرض مـــن صِـنـفـه
أغـــــراهُـــــمُ الـــبـحـــرُ ومـــرجـــانُـــهُ
ويـــقـــظـــةُ الإنـــســـــانِ فـــي جُـــرفـــه

☆☆☆☆

والـــشـــجـــرُ الـــــــوارفُ فـــي ظـــلّـــهِ
ورمـــــلُـــــه المـــســـــرفُ فـــي لـطـفـه
وتـــلـــكُـــمُ الأطـــــــوادُ ذات الـــــذُّرا
وصـــقـــرُهـــا الـــشّـــاخـــصُ فـــي طـرفـه
يـســتـقـبـلُ الأرضَ الـــتـــي أقـبـلـتْ
تـــنـــســـفُ مـــا تـــقـــوى عـــلـــى نـفـسـه

☆☆☆☆

كـــأنمـــا الأشـــــــــلاءُ مـــن فـوقـهـا
مـــا يـــتـــرك الـــعـــاصـــفُ فـــي عـصـفـه
والأرضُ كـــالأنـــثـــى إذا جـــاءهـــا
مـــخـــاضُـــهـــا لابـــــدَّ مـــن قـــذفـــه

Book10.indd 519 3/8/14 4:03 PM

كـــأنّـــهـــا تجـــــــاوزتْ أمـــسَـــهـــا

تَجـــــاوُزَ الـــرَّاسِـــفِ فـــي رَسْـــفِـــهِ

يمـلـكُـهـا الـــقـــارئ أوقـــاتِـــهـــا

كـالـشـجـرِ الـــدّانـــي إلـــى قـطـفـه

يمـلـكُـهـا المـــوغـــل فـــي عـمـقِـهـا

والـــثـــائـــرُ الـــســـاخـــرُ مـــن حـتـفـه

وحـــالـــةُ الإنـــســـانِ فـــي مـوتـه

كـحـالـةِ الإنـــســـانِ فـــي خـوفـه

☆☆☆☆

وقـــد تـكـون الحـــربُ أدنـــى إلـى

رُشـــدٍ مـن الـسـلـم ومـــن ضَـعـفِـه

ولـيـســت الحـــربُ عـلـى مـعـتـدٍ

فـي صـفَّـهِ كـالحـربِ فـي صـفِّـه

كـــأنـــه يـــأكـــل مـــن لحـمـهِ

أو أنـــه يـــشـــربُ مـــن نـزفـه

☆☆☆☆

تـعـقَّـدَ الـعـالـمُ حـتـى غـدَا

ظـــاهـــره أعـــمـــقَ مـــن جـوفـهِ

وصـــــارتِ الأشـــيـــاءُ تـــيّـــارَهُ

تجـــرُفُ مَـــن يـسـقـطُ فـي كـفِّـه

مـا أجـمـلَ الـعـالـمَ لـولا الـذي

فـيـه مـــن الـظـلـم ومـــن عُـنـفـه

Book10.indd 520 3/8/14 4:03 PM

لـــو أنـــه يمـــلـــكُ كـــلّ الـــذي
فـــي الأرضِ والـــبِـــحـــار لـــم يـكْـفـهِ
لـــو كـــانـــتِ الأنـــســـامُ مـــن مُـلـكـهِ
مـــا خَـــطَـــرتْ إلا عـــلـــى أنـفـه
ولا تمـــرُّ الـــسُّـــحْـــبُ فـــي أفْـقِـهـا
إلا إذا أومـــــأ فـــي طـرفـه
وإنمـــــا الأرضُ بـــإنـــســانِـــهـا
وفـــكـــرهِ ولـــيـــس فـــي عُـنـفـه
هـــا هـــمْ عـلـى الـبـحـرِ كـحـيـتـانـهِ
والأرضُ والـــطُّـــوفـــانُ مـــن خلفه

☆☆☆☆

واســتــعــمــروا الأفـــقَ ودبُّـــوا بـهِ
يـســتـشـرفـونَ الأرضَ مـــن سـقـفـهِ
تـــكـــشَّـــف الـــكـــونُ لـــــروادهِ
وبـعـضُـهُـم قـد ضـــاعَ فـــي زيـفـهِ

✱✱✱✱

Book10.indd 521 3/8/14 4:03 PM

النبض المختفي

قد ينضِبُ البحرُ ولا تنضبُ
حروفُهُ الخضرُ وما تكتبُ
في نبضها جِراكُ ما يختبي
خلفَ الحجاباتِ ولا تحجب
كأنها في كلِّ يومٍ لها
مسالكٌ تذهبُ ما تذهب

☆☆☆☆

تنقلُ ما تقذفُه أضلُعُ
يسطعُ في صميمِها كوكبُ
ليس الذي يَغْرِفُ من لجِّةٍ
كظامئٍ من وَشَلٍ يشرب
قد عجبوا من شعرِهِ. إنما
أنْ يكتبوا الشِّعرَ هو الأعجب

☆☆☆☆

من أين يأتي الشِّعرُ؟ ما مارسوا
فكرًا ولاعانوا ولا جرَّبوا
ولا رأوا تلك التي أُخرجت
من بيتها تلطمُ أو تنحب

Book10.indd 522 3/8/14 4:03 PM

يَـــهـــذونَ بـــالـــعـــشـــقِ ولـــم يـعـشـقـوا
وإن يـــقـــولـــوا فـــي الـــهـــوى يـكـذبـوا
وكـــــلُّ مـــا قـــالـــوه مـــن غـيـرهـمْ
يـــؤخـــذُ أو يُـــنـــســـخُ أو يُـنـهَـب
صـــــاروا طـــبـــولاً لـــلـــذي يـضـربُ
ولـــعـــبـــةً لـــكـــلِّ مَـــــن يَـلـعـب
جـــــوفٌ وفـــــي أوداجـــــهـــــم نـفـخـةٌ
وفـــيـــهِـــمُ رواســـــــــبٌ تَـــرســـب

☆☆☆☆

ســيــمــكــثُ الـــنَّـــسْـــرُ بـــأجـــوائـــهِ
يـــحـــومُ إن الـــنّـــســـرَ لا يَـتـعـب
يـــتـــرجـــمُ الـــريـــــحَ ويـــبـــنـــي لـه
مـــن ريـــشـــهِ عـــشًّـــا ولا يَـنْـعَـب
أعـــظـــمُ مِـــن أفـــراحـــهـــمْ حـــزنـــهُ
وصـــــــدرُه مـــن كـــهـــفـــكـــمْ أرحـــب

☆☆☆☆

وأيـــــن مَـــــن يـــنـــظـــر مـــا يـخـتـفـي
ومـــــا يـــــواري خـــلْـــفَـــه الـغـيـهـبُ
ومَـــــن إذا واجـــهـــتـــه بـــالـــذي
قـــد غـــاب عـــن عـيـنـيـه لا يـغـضـب
وبـــعـــضُـــهـــم فـــي غـــيّـــه يـــهـــتـــدي
وبـــعـــضُـــهـــم مـــن جـــهـــلـــهِ يـكـسـب

Book10.indd 523 3/8/14 4:03 PM

تـفـاهـمَ الـنـاسُ عـلـى بـاطـلٍ
يُـغـريـهـمُ بـريـقُـه الخُـلَّـب
يـسـكـرُ فـي ضـيـاعِـهـمْ حسُّـهـم
والحـسُّ فـي ضـيـاعِـه يُـسـلـب
إن جـاءتِ الأشـيـاءُ مـطـواعـةً
لـطـالـبٍ فـمـا الـذي يـطـلـب
وكـلُّـهـمْ يـعـيـش فـي يـومـهِ
ولـيـلِـه يـلـعـب أو يـطـرب

☆☆☆☆

وربمـا غـنَّـوا بـأبـيـات مَـن
يـكـتـبُـهـا وقـلـبُـه يـنـحـبُ
مـات «أبـو الـعـلاءِ» فـي سـجـنـهِ
ونـورهُ مـشـى بـه المـوكـب
«وأحـمـدٌ» هـام عـلـى وجـهـهِ
فـي سـبـسـبٍ مـن خـلـفـهِ سبسب

☆☆☆☆

كـحـافـرٍ بـئـرٍ بـأظـفـارهِ
لـيـشـربَ الـنـاسُ ولا يـشـربُ
كـأنمـا المـيـاه مـا أطـفـأتْ
صـداهُ أو فـاضَ بـهـا الـطـحـلـب
وجـاءنـا الحـاضـرُ فـي عـلـمـهِ
وعـنـفـهِ وكـلِّ مـا يـجـلـب

Book10.indd 524 3/8/14 4:03 PM

هـــذا عـلـى ألْـــوانِـــهِ عـاكـفٌ

وذاك مـــن ضـــروعِـــهِ يَـحـلِـب

وَرُجَّـــــتِ الأكـــــوانُ حـتـى بـدتْ

أعـمـاقُـهـا مـن هـول مـا تَـصْـخـب

وكـــلٌّ مـا نـــراه مـثـلُ الـصّـدَى

لآخـــــرٍ أو شـــــركٌ يُـنـصـب

بـعـضـهُـمُ يـأكـلـهُ الـذئـبُ والـ

ـبـعـضُ غـــدًا يـوقـعُـه الـثـعـلـب

كـأنمـا الانـســـانُ قـد بُـدّلـتْ

فـطـرتُـهُ أو أنـــه يَـكْـذِب

****

Book10.indd 525 3/8/14 4:03 PM

الأنهار والمنابع

خسئتمْ دمًا مرًّا كأن حروقَهُ
شِعَابُ وحُولٍ تستقيها الضَّفادعُ
تكاد تجفُّ الأرضُ حين يمسّها
وتنكرهُ أشجارُهَا والمزارع
كأن دماءَ الناس كالناس بعضُها
خبيثٌ وبعضٌ ذو بريقٍ وساطع

☆☆☆☆

وللأرضِ كالأنسان روحٌ يحسُّها
أُناسٌ لهمْ منها هوًى ونوازعُ
وما هذه الشطآنُ إلا هياكلٌ
وما هذه الآفاقُ إلا صوامع
كأن قتادَ البرِّ منكم أصولُهُ
وفي الماء أنتم طحلبٌ وقواقع

☆☆☆☆

إذا رُوِّضت أقدامُكمْ وظهورُكم
أبتْ فيكُمُ أن تستقيمَ الأضَالِعُ
تهاوت بكمْ أحلامُكم وتخاذلت
سواعدُكمْ أن تحتذيها الأصابع

Book10.indd 526 3/8/14 4:03 PM

لـكـمْ ألـسـنٌ لا تـقـتـدي بـقـرائـحٍ
وفـيـكـمْ نـفـوسٌ أنـكـرتـهـا الـشـرائـع
وقـد تجـمـعُ الأفـكـارُ كـلَّ مـشـتـتٍ
ولـيـس لأخـلاقٍ تَـنـاكـرنَ جـامـع
ولـن يـرفـعَ الأشـجـارَ إلا جـذورُهـا
كـذلـك مـا الأنـهـارُ إلا المـنـابـع

****

Book10.indd 527 3/8/14 4:03 PM

الذئاب ونوافذ القرميد

لـقـد هـجـمـتْ عـلـى «سـلـمـى» الـذئـابُ
تـــزجُّ بـهـا المـســالـكُ والـشِّـعـابُ
وكـــانـــت تحـتـمـي بـــــذرى جـبـالٍ
مـنـيـعـاتٍ ويـحـجـبـهـا حـجـاب
فـهـل يـبـكـي الـهـوى أيـــامَ «سـلـمـى»
وقـــد ذهـــبـــتْ كـمـا ذهـــب الـشـبـاب

☆☆☆☆

أمِ الأرضُ الـتـي جـفَّـتْ عـلـيـهـا
خـمـائـلُـهـا ودبَّ بـهـا الخـــرابُ
وحـــــــاراتٍ بـهـا نـحـل وطـيـرٌ
وجـــنـــاتٌ وســـاحـــاتٌ رِحـــاب
وشـــطـــآنًـــا يـظـلّـلُـهـا حـريـرٌ
يـبـاحُ بـهـا الـتّـسـكـعُ والـشَّـراب

☆☆☆☆

رأيـــتُ بـهـا «سـلـيـمـى» حـين شـعّـتْ
جـوانـبُـهـا كـمـا الْـتَـهـب الـشِّـهـابُ
تُـرنِّـحُ جـسـمَـهـا نـظـراتُ عـشـقٍ
أكـــرِّرهـــا فَـيـعـرُوهـا اضـطـراب

Book10.indd 528 3/8/14 4:03 PM

بـــزرقـــاءِ الـعـيـون مـشـتْ عـلـيـهـا
بـــــوادرُ صـــبـــوةٍ فـلـهـا الْـتـهـاب
وتـنـفـضُ عـــن ضـفـائـرِهـا رذاذًا
كـــأن رشَـــاشَـــهُ المـســكُ المـــذاب
وراحـــــتْ تـــرتـــدي ثـــوبًـــا قـصـيـرًا
وفـــي أمـثـالـهـا تـــزهـــو الـثـيـاب
فـمـا لـي والـهـوى مـن بـعـد «سـلـمـى»
يُـقـاضِـيـنـي، وكـــلُّ هـــوًى ســراب

☆☆☆☆

ذكـــــرتُ نـــهـــارهـــا فـــكـــأنّ طـيـرًا
يُـــغـــرّدُ بـــي وتـسـكُـنـنـي الـقِـبـاب
قِـــبَـــابُ يـــرســـمُ الـقـرمـيـدُ فـيـهـا
سـطـوحًـا مـثـلـمـا أحـمّـر الـسَّـحـاب
وأيـــــامٌ لـنـا فـــي الـصـيـف إنـي
لَـيـعـرونـي لِـذكـــرَاهـــا اكْـتـئـاب
تـنـاهـبَ أهـلَـهـا غـــزوٌ ودُكَّـــتْ
مـــنـــازلُـــهـــا وحـــارتُـــهـــا تـــراب

✱✱✱✱

Book10.indd 529 3/8/14 4:03 PM

الأرض ذلك الجسد القديم

تـأتـيـكَ مـن حـيـث لا تـــدري دواهـيـهـا
ديـنًـا لـهـا بـغـتـاتٍ فـي تَجنِّـيـهـا
ألا تـــرى كـيـف تـنـهـارُ الجـبـالُ بـها
كـمـا تـسـاقـطَ ثـلـجٌ مـن أعـالـيـهـا
وكـيـف تـنـفـرُ أرضٌ مـن مـواسـمِـهـا
وتـطـردُ الـطـيـرَ عـنـهـا حـين يـأتـيـهـا

☆☆☆☆

وكـيـف تُسـحـب مـن أقـــدام سـاكـنـهـا
كـمـا تـفـرُّ فِـــــرارًا مـــن أهـالـيـهـا
كـأنـهـا جـسـدٌ يـنـمـو فـــإن قـصـرت
ثـيـابُـه يـرتـدّ أخـــرى ويـريـهـا
والـنـاس فـي الأرض أزيـــاءٌ لـهـا. ولـكم
ألـقَـتْ ثـيـابًـا عـلـيـهـا لا تُـغـطِّـيـهـا

☆☆☆☆

كـأنـمـا الـكـونُ أفـكـارٌ تـفـسـرُهـا
حـــالاتـــه يـتـبـنَّـاهَـا ويُـلـغـيـهـا
وفـيـــه حـكـم قـــوانـــينٍ تـسـيّـره
كـمـا تـشـاءُ ويـبـقـى مـاكـثًـا فـيـهـا

Book10.indd 530 3/8/14 4:03 PM

وفـيـه كـالـنـاس حـــالاتٌ يُـعـالجُـهـا
إذا اسـتـجـاشـتْ وآلامٌ يُـعـانـيـهـا
لـو يملكُ الـنـاسُ هـذي الشمسَ مـا بزغتْ
أو الـنـجـومَ لـفـرَّتْ مـن لـيـالـيـهـا
يـا ربـوةً خـسـفـوا خـسـفًـا قـرارتـهـا
وطـشَّـروا عـالمًـا يـنـمـو بـواديـهـا
ويـا نـوافـذَ قـرمـيـدٍ مـهـدّمـةٍ
مـثـلَ الـتـمـاثـيـل خـرَّتْ مـن نـواصـيـهـا

☆☆☆☆

جـاء المـخـاضُ لأرضٍ طـالمـا عـقـمـت
حـيـنًـا مـن الـدهـر فـاهـتـزّت نـواحـيـهـا
يـرتـادهـا قـانِـصٌ حـتـى إذا امـتـلأتْ
شِـبـاكُـهُ أسـقـطـتْـهُ فـي مـهـاديـهـا

✱✱✱✱

Book10.indd 531 3/8/14 4:03 PM

كأني أراهم

كـأنـي أراهـــمْ يـنـتـشـون بـنـشـوتـي
وقـد سَـمِـعَـتْ أفـكـارُهـم هـمـسَ فِكرتـي
كـأنـي أراهـــمْ.. قـــادمـــونَ.. كـأنـهـم
مـن الجـــنِّ أو فـيـهـمْ مـسـالـكُ جِـنَّـة
وقـد سـكـنـوا شـتـى الـوجـوه وأوغـلـوا
بـكـلِّ طـريـقٍ وارتـــقـــوا كـــلَّ قـمَّـة

☆☆☆☆

كـــأن الـــذي يمـضـي مـقـيـمٌ بمـاكـثٍ
يـسـيـر عـلـى هَـــدْيٍ قـــديمٍ وسُـنَّـة
وإن الـــذي يـأتـي مـقـيـمٌ بـسـاكـنٍ
يَـحـــسّ بـــه قـبـل الـلـقـاء بمـــدَّة
فـيـا زمـــنَ الحـــرب الـــذي جـاء عـارمًـا
شـــديـــدًا وفـيـــه قـســـوةُ المـتـعـنِّـت

☆☆☆☆

ستـحـرقـك الـنـــارُ الـقـديمـةُ إنـهـا
إلـــى الآنَ مـــا زالـــت تـشـبُّ بـفـتـنـةِ
وكـانـت حـــروبُ الـنـاس ردًّا لحـرمـةٍ
تُـلـطّ ودفـــعًـــا عـن تـــراثٍ وحُـرمـة

Book10.indd 532 3/8/14 4:03 PM

فصارت (مطايا) يركبُ البعضُ نارَها

إلى غايةٍ يا بئسها من مطيّةِ

فكم خنقوا نهرًا وداسوا متاحفًا

ببيتٍ به تاريخُ وردٍ وجَنَّة

ذكرت دهاليزَ الهوى وفوانسًا

أضاءت وجوهًا طيّعاتِ التَّلفت

وحارةَ حبٍّ يطرقُ الناسُ أهلَها

طروقَ طيور البرّ تأوي لروضة

☆☆☆☆

ودارًا لسلمى في الضِّفاف وغرفةً

على السطح فيها من إشاراتِ نجمة

تضيق بها أثوابُها من تَوقُّدٍ

فتفتح من شباكها نصفَ فتحة

إذا دخلت في الحُسن صارت مخارجًا

إلى كلّ حُسنٍ بل إلى كل لذَّةِ

☆☆☆☆

وإنْ سكنتْ في الفكرِ فهْيَ انتشاءةٌ

تظلُّ إلى أن نلتقيْ بعد فترة

تنامُ لتصحو في طروقيْ كأنها

إذا غبتُ عنها لا تلذُّ بصحوةِ

ألا إنني في نشوةٍ من تذكري

وذو سكرةٍ من فرْطِ حزني وحسرتي

Book10.indd 533 3/8/14 4:03 PM

فلم يبقَ من «سلمى» سوى ما أحسُّه

بِأُخرى ولا من دارها غيرَ رِمَّة

ألا إن هذا العصرَ عصرُ تمزّقٍ

ألا إن هذا العصر عصرُ تَشتُّت

ولن يلتقي إلا الذين تجمَّعوا

على الحبِّ إن الحبَّ أعظمُ قُوَّة

****

Book10.indd 534 3/8/14 4:03 PM

الحرب وحطام الأشجار

مـــررتُ بـــالأرز فـاسـتـلـقـيـتُ مـن غـضـب
عـلـى جـــذوعٍ يـبـيـسـاتٍ وأحـــجـــارِ
يـحـومُ «حـسـونُـهُ» فـيـه عـلـى جـثـثٍ
مـن الـطـيـور عـلـى أنـصـافِ أشـجـار
فـقـلـتُ جُـــذَّتْ أيـــادٍ أو أصـابِـعُـهـا
تـلـك الـتـي هـدّمـت بـيـتًـا «لِـعـشـتـار»

☆☆☆☆

كـنـا نـلـــوذُ بـهـا حـيـنًـا وآونـــةً
نـأتـي لـنـسـكـن فـي غـيـطـان أزهـــار
كـانـت نـوافـيـرُهـا تحـدو جـداولَـهـا
إلـــى مـقـاصـيـر أشـــجـــارٍ وأوكـــار
يـرتـادُهـا كـلُّ مـفـتـونٍ وفـاتـنـةٍ
وتحـتـويـهـا عـيـونٌ ذاتُ أخـبـار

☆☆☆☆

يـــروحُ يـقـرأهـا أو يـقـتـفـي سـببًـا
فـيـهـا الـــذي يـتـقـصَّـى هـاجـسَ الـنـار
كـــأنَّ مُـلْـكَ «سـلـيـمـانَ» يُـطـالـعـنـا
مـن هـيـكـل الـقـصـر أو فـي مـدخـل «الـغـار»
أكـاد أسـمـعُ هـمـسَ الـــذرِّ أو رسـمـتْ
لـي الحـجـارةُ صَـوتًـا هـــزّ أقـطـاري

Book10.indd 535 3/8/14 4:03 PM

يا دار «سلمى» على الشطآن إن رجموا
تلك السواحلَ من للعابر السَّاري
فالأرض تُنذرُنا والناسُ تأكلُنا
وأهلُنا حذفونا بين أظفار
وقد ينال الذي يبغيه ذو غضبٍ
لو كان يملك تصريفًا لتيَّار

☆☆☆☆

وكم نقول بأن الأرضَ واسعةٌ
ولا تقاسُ بأمتارٍ وأشبار
لكنَّهمْ حاصروها فَهْيَ خارجةٌ
من الحصارِ وفيها همُّ ثُوَّار
لذاك قد وجد الشيطانُ لعبتَهُ
وراح يضربُ إعصارًا بإعصار

☆☆☆☆

إنْ يُكْرِهُوهمْ على حربٍ فإنهمُ
يا طالما زحزحوا من مُلك جبّار
وطالما أشعلوها وهي خامدةٌ
وواجهوها وكانت ذاتَ أخطار
وقايضوا الحربَ بالتقوى فما ربحت
فأردفوها بِشَرٍّ غيرَ أشرار
والشرُّ يكبحُ من شرٍّ يشابهُهُ
كما ستُكشف أسرارٌ بأسرار

✱✱✱✱

Book10.indd 536 3/8/14 4:03 PM

الحرب وحطام العواصم

حـــذفـــوكَ بـــالأضْـــدادِ ثـــم تـقـحّـمـوا
واســتــنــفــروا الــزمــنَ الــذي لا يـرحـمُ
ولـقـد أتَـــوا مـن قـبـلِ أن يـأتـوا بمَـنْ
يـتـعـلَّـقـونَ بـهـم. وبـعـضٌ مـنـهـمُ
وتـقـمَّـصُـوا الأشـيـاءَ وانـتـشـروا بـها
وتجـــهَّـــمُـــوا فـــإذا بـــهـــا تـتـجَـهَّـم

☆☆☆☆

وإذا بـهـا مـن بـعـدِمَـا فـسـحـوا لـها
مـــــدنٌ عـلـــى إنـســانـــهـــا تـتـهـدَّم
لـــم تـــدرِ مـــا يـــأتـــي وألـــف خـريـطـةٍ
رُسِـــمـــتْ لمـــا يـــأتـــي بمـــا لا تـعـلـم
رفـعـوا الـعـواصـمَ ثـم دسُّـــوا تحتها
زلـــزالَـــهـــا .. ولـكـلِّ خـسـفٍ مـوسـم

☆☆☆☆

وتـــداخـــلـــوا فـــي الآخـــريـــنَ كـأنـهـم
شـــرٌّ يـــؤلـــفُ بـعـضـه ويُـتـمِّـم
وكـأنـهـمْ لـم يـكـتـفـوا فَـتـسـرَّبـوا
فـي الـفـكـر حـتـى أوهـمـوا مـن أوهـمـوا

Book10.indd 537 3/8/14 4:03 PM

وتَـوغَّـلُـوا مـن حـيـثُ لا يـدري بـهـمْ
أحـــدٌ وقـــد يـــدري ولا يـتـكـلَّـم
هـيـهـاتَ مـا امـتـدتْ يـدٌ لـتـنـالَ من
أرضٍ تُـفـكِّـرُ أو دمٍ يستلهم
شـتـان بـين مـحـاربٍ فـي كـفِّـهِ
قـبـسٌ يـضـيء وآخـر يـحـلـم
مـتـجـهـمٌ فـي ظـاهـرٍ مـتـمـزقٌ
فـي بـاطـنٍ وبـه الـصـراعُ المبهم

☆☆☆☆

ومُـشَـوَّهٌ طُـمِـسَـتْ خـرائـطُ وجـهِـه
فـكـأنـه يـنـهـارُ أو يَـتـقـسَّـم
وكـأنمـا الأيـامُ تـنـمـو مثلما
نـنـمـو ونـهـرمُ مثلما هـي تـهـرم
هَـرِمـتْ لَـعـمـركَ أو كـمـا قـالـوا لـها
هَـزُلـت وإلا قـد بـدت تَـتـعـثَّـم

☆☆☆☆

وكـأن هـذي الأرضَ إنـسـانٌ لـهُ
نـزعـاتُـه وكـأنمـا هِـيَ تـفـهـم
نُـسـفَـتْ ظـواهـرهـا بمـا فـي جوفـها
فَـتَـحـدَّثَـتْ أو أن صـوتًـا يـرسـم
وتـقـاربـتْ مـن بـعـضِـهـا وتـبـاعـدتْ
نـصـفٌ بـه نـورٌ ونـصـفٌ مظلم

Book10.indd 538 3/8/14 4:03 PM

لـبـنـانُ إنـــي هـــائـــم بـــك عـــاشـــقٌ

حـيـثُ اتجـهـت وحـيـث كـنـتُ ومـغـرم

أَتـــقـــمَّـــصُ الأســـــــرارَ ثـــم أحـيـلُـهـا

شـــوقًـــا يـنـاغـي شـــوقَـكـم ويُـسـلِّـم

****

Book10.indd 539 3/8/14 4:03 PM

الثياب الأخرى

سكنتُ الرُّبى لا باركَ الله بالرُّبى
إذا ارتفعت أعناقُها فوق غيهبِ
وأصبحتُ مرمى كلِّ من كان هابطًا
كضفدعةٍ من فوقها ضوءُ كوكب
وذي غضبٍ من غير شيءٍ يُجيزهُ
سوى أنه حقدٌ وغيرُ مهذّب

☆☆☆☆

ولو شذَّبتْ حمقاءُ حقدًا بصدرِها
لنالتْ ولكنْ حقدُها لم يُشذَّب
كناهشةٍ من لحمِها في مجاعةٍ
طعامًا لأفعى أو متاعًا لعقرب
ومنطلقٍ في شخصها وهْوَ ضدُّها
ويَخبِطُ خبطَ المنتمي المتعصِّب

☆☆☆☆

يُشابِهُها في غيّها وحقودها
ويَنْفُرُ منها في طريقٍ ومذهب
فَصيحٌ إذا كلَّمْتَهُ غيرَ أنه
به عجمةٌ في شخصه المتحجِّب

Book10.indd 540 3/8/14 4:03 PM

إذا انخفضتْ أمستْ حبائلَ حابلٍ

وتعلو فَتُمسي مثلَ سقفٍ لعَنْكَب

وتَنصبُ أشراكًا لكلّ محلِّقٍ

وتقعدُ بالمرصادِ للمُتوثِّب

تُداخل ناسٌ في أُناسٍ كأنهم

ثيابٌ فإنْ جَرَّدْتَهُمْ تتعجَّب

****

Book10.indd 541 3/8/14 4:03 PM

المهّد

خـدعـتْـكَ مـنـه زخـــارفٌ وبـــوارقُ
مـا كـنـتَ تـفـهـمُـهـا وأنـــتَ الحـــاذقُ
إن طـاوعـتْـكَ بـه لـيـونـةُ طـائـعٍ
فـبـه لـعـنـدكَ طـاعـةٌ وخـلائـق
مـتـكـررُ الألـــوانِ مـحـتـجـبٌ بـهـا
لـو كـان يُـحـجَـبُ فـوق سـطـحٍ نـاعـق

☆☆☆☆

يـنـسـاق لـلأمـرِ المـطـاعِ لـكـلِّ مِـن
يـبـغـي لـه أمـــرًا فـكـلٌّ سـائـقُ
وممـــهّـــدٌ لـلـسـالـكـينَ كـأنـه
طُـــرُقٌ عـلـيـهـا كـلّ يـــومٍ طـارق
أو لا تَـــراهُ كـأنـه لِـنـقـائـضٍ
طـاشَـتْ بـه مـا فـيـه وجـهٌ صـادق

☆☆☆☆

لا تـقـتـدي أعـضـاؤه بـدمـائـهِ
فـكـأنـهـنَّ قـبـائـلٌ تـتـراشـق
وكـــأنـــهُ نـهـرٌ تـفـجَّـرَ تحـتـه
نـهـرٌ يـعـاكِـسُـهُ وصـخـرٌ عـائـق

✱✱✱✱

Book10.indd 542 3/8/14 4:03 PM

عينان من دمشق

إذا الْتَـهبتْ عـيناكَ مـن لاهـبِ الـهوى
وأبـــرقَ فـي أنـحـاءِ أطـرافِـكَ الـبرقُ
رأيـــتُ كـنـوزًا لـم أكـنْ قـد رأيـتُـها
وقـلـتُ وقـد آمـنـتُ إن الـهـوى رزق
وقـلـتِ بـأن الـصـيـفَ فـي الـشـام ظلُّـهُ
رحـيـبٌ وفـيـهـا لـلـمـنـى جـانـبٌ طلق

☆☆☆☆

وقـلـتِ عـسـانـا نـلـتـقـي عـنـد نـهـرِهـا
ومـــاءٍ لـه فـي جـريـه نـحـونـا شـوقُ
يـحـاول أن يـأتـي ولـكـنْ أعـاقَـهُ
مـصـبٌّ لـه أو ربمـا أسـرفَ الـدَّفـق
وفـيـهـا الـقـبـابُ الـعـالـيـاتُ كـأنـهـا
تـعـيـشُ بـهـا روحٌ ويـسـكـنـهـا أُفْـق

☆☆☆☆

وفـيـهـا بـقـايـا مـن ضـريـحٍ لـفـارسٍ
وفـي الـنـاس فـوق الأرضِ مـن روحـه خَفْق
كـأن الـذي قـد جـاء بـالأمـس مـاكـثٌ
على الأرض أو فـي الـنـاس مـن عِـرْقِـه عِـرْق

Book10.indd 543 3/8/14 4:03 PM

فـيـا شــامُ بـل يـا يـاقـوتـةٌ لـم تجـدْ لـها
إلــى الآن صــدرًا يـحـتـويـهـا: لـك الحـقُّ
إذا الـتـبـسـتْ أجــواؤنــا أو تـعـكَّـرَتْ
نَـعـيـشُـكِ عـشـقًـا ربمــا يـهـتـدي الـعـشـق
كــأن الـبـقــاعَ الخــضــرَ جـبـةُ قــادمٍ
صـحـائـفـهُ الآفـــاقُ والأنـــهـــرُ الـــزُّرق
إلــى الآنَ لــم تـبـرحْ بـه هـاجـسـاتُـهُ
تجـــولُ وفـيـــه مـــن مـنـابِـعـهـا عـمـق
مـخـاضُ قـــرونٍ مــارسـتْ كـلَّ جـانـبٍ
مِن الشرقِ أو في الشام قد سكنَ الشرق

****

Book10.indd 544 3/8/14 4:03 PM

الرواسب

مـــاذا ستـفـقـدُ مـنـهـا لـو تـغـادرُهَـا
ومـــا حَـداثـتُـهـا لـــولا جـــاَذرُهَـــا
رمـــتْ بـك الـريـحُ فـيـهـا والـريـاحُ لـها
مـهـابـطٌ ولـهـا أيـضًـــا مـعـابـرُهَـا
زُرَّتْ بـيـوتـهـمُ الأولـــى عـلـى رممٍ
مـأهـولـةٍ عـبـقـتْ فـيـهـا مـبـاخِـرُهَـا

☆☆☆☆

كـــأنّ أمـــواتَـــهـــمْ غـــزوٌ يـعـيـش بـهـمُ
وفـيـهـمُ الـفـتـنـة الـكـبـرى ونـاشـرُهَـا
مـالـي أراهـــم إنـــي لا أرى لـهـمُ
حـسًّـا ولـيـس لـهـمْ كـأسٌ وسـامـرُهَـا
تَـداخَـلـتْـهُـمْ حـــروبٌ وهْـــيَ صـامـتـةٌ
ومَـزَّقـتْـهُـمْ قـرابـاتٌ ونـاكـرُهَـا

☆☆☆☆

لـم أدرِ عـنـهـمْ ولـكـنّـي رأيـــتُ لـهـمْ
مـنـازلاً هُـدّمـتْ أو قـلَّ نـاصـرُهـا
تَـخـالـطَ الـنـاسُ حـتـى صـار كلُّـهـمُ
عـشـيـرةً أو بـهـا ذابـــتْ عـشـائـرُهـا
وصـــارتِ الأرضُ كـالـبـيـت الـذي عَتِقتْ
جـدرانُـه أو بـهـا شـــيءٌ يُـخـامـرُهـا

Book10.indd 545 3/8/14 4:03 PM

فلستُ أُنكرُ أنّ القادمينَ إلى
تلك القرى أممٌ شتى عساكرُها
تعيشُ كلَّ حروبِ الناس أو حُشرت
بها الحروبُ جميعًا أو محاورُها
ماذا جنى الوردُ كيما يحرقوهُ وما
جَنَتْ حدائقُه أو قال طائرُها

☆☆☆☆

يا راجمًا بيت «سلمى» في قذائفهِ
وناسفًا دورَ حاراتٍ تجاوِرُها
هلّا اسْتحيت مِنَ الأعنابِ تُحرِقُها
وطفلةٍ سُلِبتْ منها أساورُهَا
لا أُنكِرُ الحربَ إلا أنّ أفظعَها
حربٌ ضحيتُها من لا يعاقِرُها

☆☆☆☆

كأنّنا نتخطَّى ألفَ مرحلةٍ
بساعةٍ لست تدري ما أواخِرُها
يهدِّدونَ بحربٍ وهي قائمةٌ
إن الحروبَ كثيراتٌ مصادِرُها
تجاوز العالمُ الآتي رواسبَهمْ
وشبَّها فيهمُ حربًا يُحاصرُها
والفكرُ في الناس تشذيبٌ لما تركتْ
عصورُ غاباتها الأولى وحاضِرُها

✱✱✱✱

Book10.indd 546 3/8/14 4:03 PM

الحرب وزرقاء اليمامة

سَـخِـروا «بـزرقـاءِ الـيـمـامـةِ» عـنـدَمـا
قـالـت لـهـمْ أشـجـارُ بـرٍّ تـزحـفُ
مـن أيـن لـلأشـجـار أقـدامٌ؟ وهـلْ
تـسـتـشـرفـينَ ونـحـن لا نـسـتـشـرف
حـتـى إذا بـزغَ الـصـبـاحُ وأشـرقـتْ
شـمـسٌ تجـلَّـى أمـرُهـمْ والمـوقـف

☆☆☆☆

والحـربُ خُـدْعَـةُ خـادعٍ ولـربمـا
جـاءت عـواقـبُـهـا بمـا لا يـعـرف
ولـقـد تـكـون بـدايـةً لمـعـاركٍ
أخـرى تـضـاءُ بـهـا الأمـورُ وتكشف
«أَجـديـسُ»[1] إنّـكِ مـا هُـزِمـتِ وإنمـا
هُـزِمَ الـذيـن عـلـى أُمـورِكِ أشـرفـوا

☆☆☆☆

ولـقـد رأيـنـا زحـفَـهُـمْ مـن قَـبـلُ أنْ
يـأتـوا بمـن سـكـنـوا بـنـا وتـلـفَّـفُـوا

(١) قوم زرقاء اليمامة.

Book10.indd 547 3/8/14 4:03 PM

ولـقـد رأيـنـاهـمْ وراءَ ظـهـورِ مـن
نـكـصُـوا عـلـى أعـقـابِـهـم وتَـخـلَّـفـوا
مُـلِـئـتْ وجـوهُـهـم وجـوهًـا أو مـضـتْ
مـن خـلـفِـهـا. ومـن الـوجـوهِ الأجـوف
ولـربمـا كـانـوا عـلـى عـلـمٍ بـهـمْ
وبـزحـفِـهـمْ وكـأنـهـم لـم يـعـرفـوا

✱✱✱✱

Book10.indd 548 3/8/14 4:03 PM

وللحجارة نبض

لـم تـفـقـدِ الأرضُ شـبـرًا مـن مساحتها
ولا اسـتُـبـيـحـتْ ولـكـن هـزَّهـا الـغـضـبُ
وإنّــهــا رفـضـتْـهـمْ عـنـدَمـا مُـسـخـوا
والأرضُ تـرفـضُ أحـيـانًـا وتَـنـقَـلِـب
كـأنمـا هِـــي جـسـمٌ فـيـه مـن دمـنـا
وكـلُّـنـا لـتـرابِ الأرضِ ننتسب

☆☆☆☆

فـلـلـحـجـارةِ نـبـضٌ وهْـــي سـاكـنـةٌ
وبـعـضُـهـا مـحـتـواهُ المـــاءُ والـذَّهـبُ
والأرضُ إنـسـانُـهـا فـيـه مـلامـحُـهـا
كـالـنّـبـتِ هـــذا بـه عـطـرٌ وذا خشب
يـا مَـــن رأى شـجـرًا يـبـكـي بـجـانـبِهِ
نـــهـــرٌ يـعـاكـسُ مـــجـــراهُ ويـنـسـحـب

☆☆☆☆

صـار الجـنـاةُ صـقـورًا بـعـدَمـا زحـفـوا
فـي ا لـوحـل زحـفًـا إلـى أن غـاصـتِ الرُّكب
يُـمـطِّـطـونَ صـــــدورًا مـثـلـمـا ارتـفـعـت
قُـــرى الـنِّـمـال بمـا يمـريـه مُـحـتـلـب

Book10.indd 549 3/8/14 4:03 PM

يُـكـافَـأونَ عـلـى الـشـرِّ الـذي اغـتـرفـوا
ويَـرفـلـونَ بمـا لـطُّـوا ومـا نـهـبـوا
حـتـى إذا جـاءهـمْ غـزوٌ تـزجّ بـه
مـجـاهـلُ الأرضِ وانـهـارتْ قُـبـب
تـداخـلـوا فـيـه وانـحـازوا لـه فـهـمُ
غـزوٌ يمـيّـزه عـن غـيـرهِ الـلَّـقـب
هُـمُ الـغـزاةُ وإلا فـالـغـزاةُ بـهـمْ
تـنـاسـلـوا بـل هـمُ أقـسـى إذا ضـربـوا
فـمـن يـغـربـلُ أعـراقًـا قـد اخـتـلـطـتْ
وهَـامـةٌ يـتـطـوّى فـوقـهـا ذنـب
يـنـحـازُ لـلـشـرِّ شـرٌّ حـين يُـشـبـهـهُ
وكـلُّ شـيءٍ لـه مـن مـثـلِـه سـبـب

****

Book10.indd 550 3/8/14 4:03 PM

الوسائل الجديدة

سَـألـتُـكَ هـل لـلـشـرِّ دفـعٌ سـوى الـشـرِّ
وهـل يـردعُ المكرَ الخبيثَ سوى المكرِ
أيصبحُ فتكُ الناسِ بالناس حالةً
يمارسُها الانسانُ في السرِّ والجهر
فما برحتْ تنمو به أو تَطوّرت
وسائلُه في الشرِّ في البرِّ والبحر

☆☆☆☆

وطاشتْ صدورٌ بالذي يغتلي بها
من الحقدِ أو طاشتْ بها نشوةُ النّصرِ
ذُهلنا لهذا الكونِ في دورانه
وأذهلَ منه ما نراهُ من الدهر
سلِ البقعةَ الخضراءَ من دار (زينبٍ)
وما كان فيها من كرومٍ ومن طير

☆☆☆☆

ونهرٍ يغذي الأرضَ من كل جانبٍ
كطيفِ نبيٍّ يرتدي زرقةَ النهرِ
لئن خدشوها بالرجوم فانها
تُجدّدُ من ثوبٍ وتُبنَى على أمر
وقد كان يرجى السِّلمُ لولا وشائجٌ
تؤلّفُ بين الشرِّ في ساعةِ الصفر

✱✱✱✱

Book10.indd 551 3/8/14 4:03 PM

القدس وحطام الحجارة

يـا قـدسُ إن حيـاة الـنـاسِ مُـذ وجـدِتْ
غـــزوٌ يُـــبـــرِّرُهُ مـــن ظـــافـــرٍ ظـفـرُ
تجـمَّـعَ الـشـرُّ مـن شـتـى مـخـابـئِـهِ
كـمـا تجـمَّـعَ فـي المـرجـومـة الحـجـرُ
والـشـرُّ يـأخـذ فـي شـتـى مـراحـلـهِ
أزيـــــاءَه ولـــه ألـــوانُـــه الأُخَـــرُ

☆☆☆☆

تُـبـنـى الـقـلاعُ لـطـاغٍ ثـم يـهـدمُـهـا
طـــاغٍ جـديـدٌ تـبـنَّـى إفـكَـه نـفـرُ
قـد حـاصـروا كـلَّ شـيءٍ فـي نـقـائضـهِ
وحرضـوا من لصـوص الأرض فانتصروا
وتـسـتـعـيـريـنَ مـن ضـدٍّ وسـائـلَـهُ
فـتـعـثـريـنَ بـهـم أو أنـهـم عـثـروا

☆☆☆☆

كـانـوا عـلـى عـهـد «مـوسـى» عـاكـفـيَن على
ضـلالـهـم ثـم هـامـوا بـعـدَمـا انْـدحَـروا

Book10.indd 552 3/8/14 4:03 PM

صـــاروا ذريـــعـــةَ غـــزوٍ مُـــشْـــوهٍ، دولٌ

قـد غَـرَّرتْـهُـمْ بـدعـواهـمْ ومـا شـعـروا

هـيـهـاتَ مـا دخـلـوهـا مـنـذ أن عـزفـوا

عـن الـدخـولِ ولا حَـجّـوا ولا اعـتـمـروا

لـكـنـهـم صـنـعـوا مـنـهـا شـعـائـرَهـمْ

ومـــا لـديـهـمُ بـهـا عِـلـــمٌ ولا خـبـر

غـــزوٌ يـســانـدهُ غـــزوٌ يـجـيء بـه

دمٌ خـبـيـثٌ حـــواه هـيـكـلٌ نَـخِـر

إن يـحـرقـوا الـقُـبـبَ الـخـضـراءَ أو دخـلـتْ

مـن غـيـر أبـوابـهـا الـغـيـلانُ وانـتـشـروا

فـالـلـهُ قـد خـلـق الـنـيـرانَ واشـتـعـلـتْ

بـــأمـــرهِ وبـــهـــا الأشـــيـــاءُ تـنـصـهـرُ

وإن تـعـفَّـنَ جـسـمٌ فـي رواسـبـهِ

فـــالأرضُ مـن بـعـضِـهـا تـنـمـو وتـزدهـر

قـد حـاصـر الـصـدأُ المـــوروثُ أسـلـحـةً

مـخـزونـةً وانـتـضـى أحـجـارك الـقَـدر

حـــجـــارةٌ خـلـتَـهـا مـوسـومـةً فـبـهـا

مـــن هـيـكـلٍ نـقـشُـه أو مـعـبـدٍ أثـرُ

صـــارت حـجـارتـك الـخـضـراءُ عـالـقـةً

يُـرمـى بـهـا صـنـمٌ أو يُـقـبـسُ الـشَّـرر

سـتـمـكـثـينَ مـــدار الـفـكـر فـي زمـنٍ

دُكَّـــتْ بـه حـفـرٌ أو رُجَّـــتِ الأسـر

Book10.indd 553 3/8/14 4:03 PM

ومـــا دخـلـتُـكِ لـكـنـي مـــــررتُ عـلـى

أُخـــرى بـهـا مـنـك هـــذا الـغـزو والـتَّـتـر

قـالـوا أتـكـتـبَ عـن أرضٍ ولـم تـرَهـا

فـقـلـتُ فـي غـيـرهـا الأشـبـاحُ والـصُّـور

****

Book10.indd 554 3/8/14 4:03 PM

المختفون

ومـــا لـبـنـانُ آخـــرُ مـــن أطـاحـوا
ولـكـــن عُـبِّـئـتْ فـيـه الـشّـــرورُ
وصـــــارت حـجـــةً لـلـغـزو أرضٌ
بـهـا شـتـى الحـــــروبِ ولا مـصـيـر
ومـــا دخـــلَ الـــغُـــزاةُ بـــه ولـكـنْ
تـــــوارى خـلْـفَـهـمْ غـــزوٌ كـبـيـر

☆☆☆☆

ومـــن يـــدري؟ لـعـلّ الـكـونَ فـيـه
كـمـا فـي الـنـاس حـسٌّ أو شـعـورُ
كـــأن الـــدهـــرَ غـــربـــالٌ قـديمٌ
وأكـثـر مـا تجـيـش بـه الـقـشـور
هـــي الأيـــــامُ تـخـلـعُ مـا عـلـيـهـا
وتـنـفـضُ عـن كـواهـلِـهـا الـدهـور

☆☆☆☆

ومَـــا اخْـتـلـفـتْ حـــروبٌ عـن حـروبٍ
وإن بُـعـدتْ ومـــا زالـــت تـدور
ولـــو لـم يـــأتِ هـــذا الـغـزو ممّـنْ
لـهـم مـــن قـبـلِـه غـــزوٌ مـريـر

Book10.indd 555 3/8/14 4:03 PM

لَجـــاءَ الآخـــرونَ لـــذاك قـالـوا

بـــأن الآخـــريـــنَ هـــمُ الـسّـعـيـر

تُـطـاردنـا الـريـاحُ بـكـلّ أرضٍ

وتحـذفُـنـا عـلـى الـصـخـرِ الـصـخـور

وإنـســـانٌ يـهـاجـرُ عـن هـواه

وآخـــرُ فـيـه مـن دمـــه نـفـور

وقـــد كـانـت حـــروبًـا هـاجـعـاتٍ

مـخـبـأةً كـمـا دُفـنـت بـذور

☆☆☆☆

وجـــاء أوانُـــهـــا ولـكـلِّ حـربٍ

أوانٌ حـين تـضـطـربُ الأمـــور

كـــأن لـكـل آونـــةٍ شـبـابًـا

يُـجـدِّدهـا كـمـا سـقـطـتْ قـشـور

تـراكَـمـتِ الـنـقـائـضُ فـهـي حـربٌ

تـدور ومـن ضـحـايـاهـا المـديـر

☆☆☆☆

فـيـا لـبـنـانُ يـا حـزنًـا جـديـدًا

نُـعـانـيـه ويـا جـبـلاً يـثـورُ

لمـاذا يـرجـمـونَ الـوردَ؟ مـاذا

جـنـتْ تـلـك الخـمـائـلُ والـزهـور

وظـلٌّ مـثـلـمـا تـعـسـتْ ريـاشٌ

وأشـجـارٌ كـمـا وقـفَ الحـريـر

Book10.indd 556 3/8/14 4:03 PM

وبـيـتٌ كـنـت ألـقَـى فـيـه (سـلـمـى)

وتـلـقـانـي إذا الـتـهـبَ الـهَـجـيـر

بـــأرضٍ مـثـلـمـا انـفـتـحـت سـمـاءٌ

وبـــحـــرٍ تـسـتـحـمُّ بـــه الـبـدور

كـــأن طـــيـــورَهُ رســـلٌ عـلـيـهـا

إثـــاراتٌ وقـــد تـوحـي الـطـيـور

****

Book10.indd 557 3/8/14 4:03 PM

الأقمار

عـجـبـتُ لـهـم مـن فـتـيـةٍ قـد تـكـهَّـنُـوا
بمـا سـوف يـأتـي أو مِـنَ الـوحـي لُـقِّـنُـوا
إلـى الآنَ لـم تـبـرحْ بـهـمْ نَـزعـاتُـهـمْ
تُـمـيِّـزهـم عـن غـيـرهـم حـين تُـقْـرن
نـشـاوى وإنْ لـم يـشـربـوا وصـدورهُـم
خـرائـطُ بـرقٍ أو فـضـاءٌ مُـلـوَّن

☆☆☆☆

وقـد عـرفـوا أن الحـيـاةَ ومـا بـها
مـن المـاء إن المـاءَ يـصـفـو ويَـأسـنُ
ومـهـمـا يـكـنْ مـن أمـرِهـم فـجـمـيـعُـهـم
عـلـى الـفـطـرة الأولـى ومـا تَـتـضـمَّـن
لـئـن حـاصَـرَتْـهُـمْ كـلُّ حـربٍ وأوغـلَـتْ
بـهـمْ أممٌ شـتّـى فـلـم يـتـمـكَّـنـوا

☆☆☆☆

فـمـا بـرحـوا ظـلاًّ ومـاءً لـسـاكـنٍ
وفـيـهـم هـوًى لـلـمـوت شـارٍ ومـزمـنُ
كـأنـي أرى «الخَـيَّـام» يبكي وقـد صَـحـا
مـن الـنـوم إن المـوتَ نـومٌ مـكـفّـن
لـقـد عَـرَّفَ الأفـلاكَ كـيـف مـدارُهـا
يـدور ولـكـن مـا درى كـيـف تـطـحـن

Book10.indd 558 3/8/14 4:03 PM

أكـــانَ لـــزامًـــا طـحـــنُ أرضٍ نـبـاتُـهـا
زبـــيـــبٌ وعـــنَّـــابٌ وتَمـــــرٌ وســوســنُ
ودورٌ كـــأنَّ الـصـخـرَ فـي حُـجـراتِـهـا
قـلـوبٌ بـهـا حـــزنٌ لـو الـصـخـرُ يـحـزن
نـوافـذُهـا يـبـكـي عـلـيـهـا زجـاجُـهـا
وكـــان بـهـا الـعـصـفـورُ يـــأوي ويَـقْـطُـن

☆☆☆☆

تمـــادتْ حـــروبُ الـنـاس حـتـى تـعـمَّـمَـتْ
فـصـارت كـأن الـحـربَ فـي الـنـاس ديـدنُ
فـفـي كـل أرضٍ فـتـنـةٌ وغـطـاؤهـا
وذو خـــبـــرةٍ فـــي كـــيـــدِه يَـتـفـنن
فـــجـــاءوا بمـــوتٍ آخـــرٍ لا تَـــــردّهُ
دروعٌ ولا حـصـن لـمـن يـتـحـصَّـن

☆☆☆☆

وقـالـوا هـي الأشـيـاءُ تـنـمـو مـع الـمـدى
كـذلـك هـــذا المـــوتُ يـنـمـو ويـسـمـنُ
لـقـد نـفـخـوا فـي الـطـينِ فـهـو زخـارفٌ
وظـــلٌ وطـــينُ الـبـعـضِ نـــتنٌ مـعـفـن
ولـيـس الـــذي يـبـقـى مـقـيـمًـا بـكـهـفـهِ
كـــذاك الـــذي يـبـنـي بـنـــاءً ويـسـكـن
تجـــاوز فـيـنـا الحـــزن حـــدًّا أحـالَـهُ
رمـــوزًا وبـعـض الـرمـز حـــزنٌ مـبـطَّـن

✱✱✱✱

Book10.indd 559 3/8/14 4:03 PM

المقارنة

أقـــــولُ وقـــد تـــــراءى مـــن بـعـيـدٍ
تَجـــهّـــمُ عـــالَـــمٍ لا يـسـتـقـرُّ
ألـــم تـــرَ كـيـف فـــاضَ الـرمـــلُ لـمّـا
تـــعـــذَّرَ أن يـفـيـض عـلـيـه نـهـرُ
وكـيـف تـفـرُّ أشـجـارٌ فـــرًّا فـتـأوي
إلـيـــه مـــن رأى شـــجـــرًا يـفـرُّ

☆☆☆☆

أُقَـــارِنُـــهـــمْ بـضـدِّهـمُ فـتـحـلـو
مـذاقـتـهـمْ وبـعـضُ الـنـــاسِ مُـرُّ
يـخـالـطُـهـم بـكـلِّ الـنـاس لُـطْـفٌ
ويـجـمـعـهـم بـكـلِّ الأرض فِـكـر
كـأنـهـم عُـــــروش فـــي جـسـومٍ
وأكـــــــوانٌ بـــأجـــســـادٍ تمـــرُّ

☆☆☆☆

وتحـسـبـهـمْ حـضـورًا مُـــذْ تـراهـمْ
حـضـورًا غـيـرَ أنـهـم اسـتَـسـرُّوا
لـهـمْ مـنـهـمْ مـقـامـاتٌ عـلـيـهـا
مـدارجُـهـا كـــذاك لـهـمْ مـقـرُّ
ولـيـس لـهـم عـتـادٌ غـيـر مـا فـي
صـــدورٍ حـين تـقـدحُ فـهـي فـجـر

Book10.indd 560 3/8/14 4:03 PM

أنـــار ســـواحـــلاً وأضـــــاء رمـــلاً
وقـــد نـفـح الـصـخـورَ فـهُـنَّ خُـضـر
هـــمُ الـكـتـبُ الـتـي امـتـشـقـتْ عـروقًـا
فـفـي نـبـضـاتـهـم وحـــيٌ وذِكـــر
وأقـــمـــارُ كَـلـيـلِ الأرض لـمّـا
يـطـيـشُ بـهـا الـظـلامُ وتـكـفَـهـرُّ

☆☆☆☆

لـــذاك تـرهـلـتْ فـيـهـا عـقـولٌ
وشُـنِّـجـتِ الـصـدورُ فـهـنَّ صخـر
ولـــولا مـا اسـتـعـاروا مـن شـرورٍ
تمـــدّ شـــرورهـــم لـم يـسـتـمـرّوا
ولا حـرقـوا الـسـواحـلَ وهـي كـنـزٌ
ولا نـسـفـوا الـبـحـارَ وهـــنّ تِـبـر

☆☆☆☆

تُـبـدَّلُ زرقـــةُ الأمـــواجِ فـيـهـا
ويـنـكـر لـونَـهـا سـمـكٌ وطـيـر
تـــورّطَ بـعـضُـهـم بـشـرورِ بـعـضٍ
كـبـنـيـانٍ يـخـرُّ بـهـمْ فـخـرُّوا
أُقـارِنُـهـم بِـضـدهـمُ كـأنـي
أقـــارنُ مَـــن يـجـفُّ بمَـــنْ يـدرُّ

✱✱✱✱

Book10.indd 561 3/8/14 4:03 PM

قصيدة النسق

كـــأنَّـــكَ لـــم تـفـهـمْ ولـــم تَـتَـفـهـمِ
ولـم تـدرِ مـا خـلْـفَ الـعـيـانِ المطلْسَمِ
لـقـد زحـفـوا مـن كـل صـــوبٍ وبـعـضُـهـمْ
أتـــى عـــن دمـــاءٍ راســبــاتٍ وأعْـظُـلِـمِ
كـأن شـــرورَ الأرضِ تـــأوي لبعضها
وفـــي صـــورٍ شـتّـى تـلـوذُ وتحتمي

☆☆☆☆

ويـجـمـعُـهـا مـا يـجـمـع الـطـيـرَ عـنـدَمـا
يـحـوم عـلـى أمـثـالـهِ ثـم يـرتمي
إلـيـك فـإنـي لـم أغـالـطْ سـجـيّـتـي
ولا أنـتـمـي إلا لـهـا حـين أنـتـمي
ألَـــمْ تـر هـذا الـكـون ينـمـو ببعضِـه
كـــأن بـــه روحًـــا ولـــم تـتـكـلَّـمِ

☆☆☆☆

يـجـيـشُ بـحـالاتٍ إذا مـا نـظـرتَـهـا
نـظـرْتَ إلـى أعـضـاء جـسـمٍ مُـجـسَّـم
وأرفـــعُ كـفـي عـن إنـــاءٍ تـسـمَّـمـتْ
مَـطـاعـمـه أو أنـــه كـالـمـسـمَّـم

Book10.indd 562 3/8/14 4:03 PM

وذي غـفـلـةٍ يــأوي لـهـا حــين لـم يـجـدْ
طـريـقًـا يــؤدي نـحـو رأيٍ مُـحـكَّـم
تــؤانــسُــهُ مــن ضِــــده زخــرفــاتُــهُ
فـيـقـتـادهُ قــودَ الــمُـطـيـعِ المسلِّـم
أحــــاول جـهـدي أن أردَّ صــوابَـهُ
وأرفــــع مــن صــوتــي لــه وتـغـمـغـمـي
فـلـم أرَ فـيـه أُذن صــاغٍ لـنـاصـحٍ
ولــيــس بــه غُــوث إلــى الــمُـتـظـلِّـم

☆☆☆☆

بــه طــربٌ لـلـقـول حــين يـجـيـئـهُ
كـمـا تـبـتـغـي فـيـه ظـنـونُ الـمـرجَّـمِ
يــوافــق لــغــوًا تــسـتـريـحُ شـكـوكُـهُ
عـلـيـه ويــرضــي ســكــرةَ الـمـتـوهِّـم
أرانــــي إذا اساتجليتُه لـم أجــدْ بـهِ
ســوى الحـالـتـيـنِ الـصّـامـتِ المتجهِّم

☆☆☆☆

ويـبـقـى يـعـانـي حـالــةً لا يـريـدُهـا
وتــشــمــخُ فـيـه صــــورةُ الـمـتـألِّـم
أكــــرِّرُ فـيـه فـكـرتـي كــي أردَّهــــا
إلــى أمــدٍ بــين الــــوارد والـظّـمـي
أقــول غــدًا يـلـقـى الــذي قـد لـقـيـتُـهُ
فـيـثـأر لـلـحـقِّ الـسـلـيـبِ المقسَّم

Book10.indd 563 3/8/14 4:03 PM

ومـــا هـــذه الأيـــــامُ إلا مـــنـــازلٌ

ولـكـنـهـا إن هُـــدّمـــت لـــم تُـــرمم

ولـــــلأرضِ كـالأنـســان فـكـرٌ يـقـودهـا

عـلـى الـرغـم مـن بَـــانٍ بـهـا ومُـهـدِّم

لـهـا صَـــورٌ مـحـجـوبـةٌ لا يُـحـسُّـهـا

ســوى قـــارئٍ أعـمـاقَـهـا كـالمـتـرجـم

****

Book10.indd 564 3/8/14 4:03 PM

القبس

تـنـقَّـلَ الـنـجـمُ فـي أقـصـى سـمـاوتِـه
فـمـا الـــذي يـبـتـغـيـهِ حـــين يـنـتـقِـلُ
وغـــــادرَتْ بـــذرةٌ أحـشـــاءَ قـشـرتِـهـا
واسـتـبـدلَـتْ حـالـةً أُخـــرى لـهـا بـدل
والـرمـــلُ وهْـــوَ غـشـاءُ الـبـحـرِ أكـثـرُه
مـلـحٌ وعـصـفُ هـجـيـرٍ كـاد يشتعل

☆☆☆☆

تجـــاوزتْ شـكـلَـهـا المـــوروثَ تُـربـتُـهُ
واهـــتـــزّ فـهـو جـنـانٌ ظـلُّـهـا خَـضِـلُ
دُكَّـــت طـلـولٌ خـبـيـثـاتٌ ومـا بـرحـتْ
فـيـهـا زعـانـفـهـا الأولـــى كـمـا الـطَّـلـل
وحُـوصـرَ الـوحـشُ فيها بعدَما اهـترأت
أُظـفَـارُه واحـتـوى أعـضـاءَهُ الشَّـلـل

☆☆☆☆

لـم يـبـقَ فـي شـدقـه نـــابٌ فـوافـقـه
عـصـرٌ يُـجـدّد أنـيـابًـا ويَـقـتـتـلُ
يَـحـيـد عـنـه الـــذي أضـــلاعُـــه قـبسٌ
يَمـيـلُ عـــن عِـــوجٍ فـيـه فـيـعـتدل

✱✱✱✱

Book10.indd 565 3/8/14 4:03 PM

(١)[*]

هـي الحسنُ أو للحُسْنِ فـي شكلها شكلُ
أو المـــاءُ إلا أنـهـا دائـمًـا تحلو
إذا اقـتـربـتْ قـلـتُ الـنـجـومُ تـقـاربـتْ
وفـيـهـا الـتـي فـي مثلـها يـرتـقـي الـعقلُ
مـواصـلـةٌ مـا كـل عـشـقٍ مـواصِـلٌ
وتـعرف طعم الـوصـلِ، إن الـهوى وصل

☆☆☆☆

يـخـالـطُ فـيـهـا فـكـرُهـا سـكـنـاتِـهـا
إذا سـكـتـتْ تـتـلـو وإن نـطـقَـتْ تجلو
يُمـيـطُ الـغـواشـي المـعـتـمـات حديثُـها
وفـي دمـهـا الإشـــراقُ أو عـنـدهـا يعلو
وفـي لمسـها هـمسُ الخـزامَـى إلـى الـندى
ونـكـهـتـهـا الـريـحـانُ والمـسـك والـفُـلُّ

☆☆☆☆

أقـمـتُ بـهـا فـي روضـــةٍ فـي جـذوعِـهـا
نـقـوشٌ ووفـيـهـا لـلـهـوى سـبـبٌ سـهـل
لمحـت بـهـا ومـــضَ الـتـفـاتٍ وإنـهـا
رأت شـغـفـي والمِـثْـلُ يـجـذبـه المِـثْـلُ

(*) القصائد من (١) إلى (٢٤) وردت في الأصل من دون عناوين.

Book11.indd 567 3/8/14 4:03 PM

تصيرُ العيونُ الشُّهلُ زُرقًا إذا رنتْ
مع العشقِ إن الزْرقَ أوَّلُها شُهلُ
كأن رموزَ الشرق مِن مُبْرِقاتِها
وإلا ففيها من منابعِه أصل
تُحدّثني عن أرضِها وجبالها
وما عصرَتهُ والذي يبتني النحل
إذا جلستْ غنَّتْ عصافيرُ جسمِها
وأُطلِقَ شعرٌ خِلته فوقَها يتلو
وفيه حِراكٌ من حِراك مفاصلٍ
وفيها ارتخاءٌ مثلما ينعس الطفل

☆☆☆☆

وشعَّ قميصٌ تحت ثوبٍ كأنه
قميصٌ على أكتافِه أورقَ الفُلُّ
ولم أرَ ثوبًا قبلَهُ صار قبةً
ظواهرُها جسمٌ وباطنُها ظلُّ
بلى إنها ظلٌّ وأحمِلُه معي
وأنشقُّه.. هل يُنشقُ الظلُّ من قَبل

✱✱✱✱

Book11.indd 568 3/8/14 4:03 PM

(٢)

تـــقـــول عـــيـــونُـــهـــا مـــا لا تـــقـــولُ
وأســـمـــعُ صـمـتَـهـا لـــمّـا يَـطـولُ
تـــقـــول عـــيـــونُـــهـــا مـــن غـــيـــرِ قـــولٍ
وفـــي حـــركـــاتِـــهـــا قـــالٌ وقِـيـل
وتُـــشـــرق مـثـلـمـا انـفـتـحـت سـمـاءٌ
تُـــريـــنـــي الأرضَ مـــن تحـــتـــي تميل
وتُـــســـرعُ فـــي تـــدفُّـــقِـــهـــا الخـفـايـا
رســـومًـــا فـــي نـــواحـــيـــهـــا تَجـــول
بـــجـــسـمٍ تـــهـــتـــفُ الحـــركـــاتُ فـيـهِ
كـــأن دمـــــاءَهُ الـــنـــشـــوَى هـديـل
ويـــعـــزِفُ صـــوتُـــهـــا فـــكـــأن نـــهـــرًا
يُـــغـــرِّدُهـــا ويـــسـمـعُـهـا الـغـلـيـل
يُـــرنِـــحُـــنـــي الحِـــــراكُ بـــهـــا ومما
يُـــهـــيِّـــجـــنـــي تـــوهُّـــجـــهـــا الجـمـيـل

☆☆☆☆

فَـــيَـــأرجُ عـــنـــبـــرٌ ويـــفـــوحُ مـسـكٌ
وريـــحـــانٌ ويـــدفـــقُ زنجـبـيـلُ
تَجـــمَّـــع كـــل عـــطـــرٍ فـــي شَـــذاهـــا
ولـــيـــس لـــعـــطـــرهـــا أبـــــدًا مـثـيـل

Book11.indd 569 3/8/14 4:03 PM

يميلُ لها الهوى من حيث مالتْ
وتَقفوها النَّوازعُ والميول

☆☆☆☆

إذا سمعتْ قصيدَ العشقِ أصغتْ
ومالَ بها نعاسٌ أو خُمول
وتتركُ ظلَّها في كل شيءٍ
رأيناهُ وطيفًا لا يزول
وإنْ فكَّرتُ فيها خِلتُ أني
أراها أو تراءى المستحيل
لها أبدًا حضورٌ حين تنأى
وتأتي مِثلما نضجتْ حقول

✱✱✱✱

Book11.indd 570 3/8/14 4:03 PM

(٣)

أتـذكـرُ ذاتَ الخـــال أمْ لـسـتَ تَـذكُـرُ

وخـيـمـتَـهـا فـي الـلـيـل والـبـدرُ مُـقـمـرُ

ومـجـلـسَـهـا فـي ظـلِّ أثـــلٍ، ومـوقـدًا

تُـضـيء بـه أغـصـانُـه حـين تسمر

يُـعـاوِدهـا شـوقُ الـبـوادي كـأنـهـا

قـبـيـلـةُ عـشـقٍ فـي دمٍ تـتـكَـرَّر

☆☆☆☆

ومـشـرقـةُ الألـــوانِ وفـيـهـنّ أبـيـضٌ

وفـيـهـنَّ ورديٌّ وفـيـهـنَّ أحـمـرُ

وفـيـهـنَّ ذاك الأشـقـرُ الـنـاعـمُ الـذي

لـه زخـمُ الجـوريِّ بـل هـو أزخـر

كـأن الـدبـابـيـسَ المـشـعَّـةَ فـوقَـهُ

بـروجُ نجـومٍ آخـرَ الـلـيـلِ تظهر

☆☆☆☆

يـراقِـبُـهـا وجـدٌ بـعـيـنـيك شـاخـصٌ

إذا أَفِـلَـتْ فـاض الحـريـرُ المـعطَّر

تَجـمَّـع فـيـهـا الحـسـنُ حـتـى حَسِبتها

مـنـابـعَـه الأولـــى الـتـي تـتـفـجَّـر

Book11.indd 571 3/8/14 4:03 PM

كـــأن كـــتـــابَ الـــعـــشـــقِ فـــي نـــظـــراتِـــهـــا

تُـــرتِّـــلُـــه أهـــدابُـــهـــا حـــين تـــنـــظـــر

يـــضـــيءُ بـــهـــا عِـــقـــدٌ قـــديمٌ كـــأنـــه

عـــلـــى صـــدرِهـــا الـــرَّيَّـــانِ يـــنـــمـــو ويـــكـــبـــر

****

Book11.indd 572 3/8/14 4:03 PM

(٤)

سـلامٌ علـى «سُـعـدى» لـو انتبهتْ «سُـعـدى»

لـشـوقٍ ومـا أخـفـى ووجْـدٍ ومـا أبـدى

إذا جـئـتُـهـا أبـدتْ هـواهَـا وعـنـدمـا

أُحـاول وعـدًا لا تُجـيـز لـنـا وعـدا

أُسـايـرُهـا مـن حـيـثُ سـارت وعـنـدمـا

أخـالِـفُـهـا سـهـوًا تُـخـالـفـنـي عـمـدا

☆☆☆☆

إذا أطـلـقـتْ ألـوانَـهـا قـلـت حـاصـرتْ

نـوازعُ نـفـسٍ لـم تجـدْ غـيـرهـا بُـدا

تجـيءُ إذا شـاءت وتـذهـبُ مـثـلـمـا

تـشـاء وفـي الحـالـيـن تمـلأُنِـي وجْـدا

سـقـت رمـلـةً فـاضـت نـوارًا وخـضـرةً

غـيـوثٌ تُـسَـوِّي الأثـلَ مـن فـيـضِـهـا قـنـدا

☆☆☆☆

تَصِيفُ به «سُـعـدى» إذا الصيفُ جاءها

فـتـمـلأُه أنْـسًـا ويمـلأُهـا وقْـدَا

فَـطَـوْرًا عـلـى الـشـطـآنِ تـنـصـبُ خـيـمةً

وطـورًا بـأرضٍ رمـلُـهـا يـنـبـت الـنَّـدى

Book11.indd 573 3/8/14 4:03 PM

تَمـطَّـى نـقـيـعُ الـسـيـل فـي جـنـبـاتـهِ
وقـد حُـشِـدَ الـنّـوارُ مـن فـوقـه حشـدا
ريـــاضٌ حـبـارى حـولـهـا وزحـــارفٌ
مـن الـعشب والـريـحـان تقصـدُهـا قصـدا
وقـلـتُ لـهـا لمـا الـتـقـيـنـا وأشـرقـتْ
بـوادرُهـا أو خِـلـتـهـا عُـبـئـت شـهـدا
وقـد هـيّـأْت مـن نـفـسِـهـا وعـطـورهـا
وثَـوبٍ أَعِـدَّ الـشـذرَ فـي لـونـهِ عـدّا

☆☆☆☆

لَـعـمـرك أنـتِ الـورد كـل مـوسـمٍ
ولـولاكِ مـا اسـتـهـويـتُ فـي مـوسـمٍ وردا
وقـد كـنـت حُـرًّا فـي الـهـوى غـيـر أنـنـي
غـدوتُ لـكـم لمـا الـتـقـيـتُ بـكـم عـبـدا

✱✱✱✱

Book11.indd 574 3/8/14 4:03 PM

(٥)

ألـــمْ تـــرَ كـيـف تَـتَّـقـدُ الـعـيـونُ
إذا نـــظـــرَتْ وتـتـضـحُ الـشـؤونُ
تمـــوجُ كـأنـهـا سَـــكْـــرى وفـيـهـا
جِـــــراكٌ مـثـلـمـا نـعـسَ الـسُّـكـون
ولا ســـبـــبٌ لـــهـــا إلا لـــقـــاءً
عـلـى عـجـلٍ يـحـين ولا يـحـين
لـــقـــاءٌ بـعـضُـه حـــــذوٌ وبـعـضٌ
شـجـونٌ والـــهـــوى أبـــدًا شـجـون
إذا شـــــاءتْ بـــقـــاءً أعـجَـلَـتْـهـا
مـخـاوِفُـهـا الـذكـيّـةُ والـظُّـنـون
ويـــدفْـــقُ مـــن جـوانـبِـهـا شـعـاعٌ
يـبـيـنُ مـــن الـــدواخـــلِ مـــا يُـبـين
وتمـكـثُ أنـــت مـشـدوهًـا تُـعـانـي
تَـدفُّـقَـهـا كـمـا فـــاضَ المـعـين
تجـــيء مـع الـهـوى مـن غـيـر وعـيٍ
كـمـن جُـنَّـتْ ومـــا فـيـهـا جُـنـون

☆☆☆☆

وعـشـقٌ هـــزَّ فـيـهـا كـــلَّ عـضـوٍ
إذا سَـكَّـنْـتَـهـا لا تـسـتـكـيـنُ

Book11.indd 575 3/8/14 4:03 PM

مـــهـــيـــأةٌ كـــمـــا نَـــضـــجـــتْ دِنـــــانٌ
لِـــعـــاصـــرِهـــا أو امـــتـــلأتْ صـــحـــون
وتُـــكـــثِـــرُ مـــن تَـــلـــفُّـــتِـــهـــا ومـــــاذا
تُـــــرى يـــعـــنـــي تَـــلـــفـــتُّـــهـــا الـــسَّـــخـــين

☆☆☆☆

مـــلامـــحُـــهَـــا تُـــســـابـــقُ مـــعـــلـــقـــيـــهـــا
إلـــيـــك ويـــغـــتـــلـــي فـــيـــهـــا الـــحـــنـــين
وقـــــد فـــتـــحـــت بـــكـــفّـــكَ نـــبـــضَ كـــفٍّ
تُـــؤنِّـــقُـــهـــا الـــــروائـــــحُ والـــدهـــون
كـــــأن أصـــــابـــــعَ الجُـــــــوريِّ فـــيـــهـــا
تـــفـــتـــحٌ أو بـــهـــا هـــمـــسٌ دفـــين
كـــــأن حـــلـــيَّـــهـــا أحـــــــداقُ طـــيـــرٍ
عـــلـــى شـــجـــرٍ تـــكـــلِّـــلُـــه الـــغـــصـــون
ظـــواهـــرُهـــا شـــعـــاعـــاتٌ ولـــكـــنْ
مـــجـــسّـــدةٌ وبـــاطـــنُـــهـــا فـــنـــون
تـــفـــيـــضُ مـــواســـمُ الـــعـــشـــريـــنَ فـــيـــهـــا
وتَجـــمُـــدُ حـــين تـــنـــظـــرُهـــا الـــعـــيـــون

✱✱✱✱

Book11.indd 576 3/8/14 4:03 PM

(٦)

أقـــول لِـصـاحـبـيَّ وقـــد دعـانـي
هـــوى «سـلـمـى» بمـــاذا تـأمـرانـي
هـــوًى مـا كـنـت أحْـسَـبُـنـي أراهُ
وقـــد مـــرَّتْ سـنـــينٌ لا يـرانـي
ســـوى طـيـفٍ يُـعـاودنـــي إذا مـا
خـلـوتُ وقـد غَـشَـانِـي مـا غَـشَـانـي
وخِـلـــتُ كـأنـنـي أُصـغـي إلـيـه
كـمـا يُـصـغـي المـعـانـي لـلـمـعـانـي

☆☆☆☆

وخِـلـتُ كـأنـنـي اسـتـنـشـقـتُ مسكًا
تـضـــوّعَ أو نـثـــارةَ زعـفـــرانِ
وقـــال ولـم يـقـلْ: أنـسـيـتَ «سـلـمـى»
وعـشـقًـا كـان فـي مـاضـي الـزمـان
فـقـلـتُ لـه وقـــد غـطـيـتُ وجـهـي
حـيـــاءً مـنـه لمـــا قـــد أتـانـي
لـعُـمـركَ لـسـتُ بـالـنـاسـي ولـكـن
دهـانـي مـن زمـانـي مـا دهـانـي
تَـخـطَّـاهـا الـهـوى بـالـرغـم منـي
وضـيَّـعـنـي غـرامـي بـالـغـوانـي

Book11.indd 577 3/8/14 4:03 PM

وكـنـتُ أظـنَّ «سـلـمـى» مـن سـمـاءٍ
وأيـن سـمـاءُ «سـلـمـى» مـن مـكـانـي

☆☆☆☆

ألـم تـرَ كـيـف تـتَّـقِـدُ اتِّـقـادًا
جـوانـبُـهـا وتحـتـشـدُ احـتـشـادا
وقـد أوشـكـتَ أن تـنـسـى هـواهـا
وتُـنْـقِـصُ مِـن تجـشّـمِـه فـزادا
وقـلـتَ بـأنـهـا ذهـبـت وولّـى
زمـانُ غـرامِـهـا مـن حـيـثُ عـادا
ذكـرتَ بـهـا الـشـواطـئَ حـين كـانـت
مِـن الـنَّـشَـوَاتِ عـيـدًا أو حـصـادا

☆☆☆☆

وأيـامًـا تـداخـلُ بـالـلـيـالـي
وتـطَّـردُ الـلـقـاءَ بـهـا اطِّـرادا
تمـيـلُ عـن الـنـهـار أذا تجـلّـى
وتـرتـادُ الـدجـى فـيـهـا ارتـيـادا
اذا اسـتـوفـى نـهـارٌ مـن مـعـادٍ
رسـمْـتَ بـلـيـلِـهـا الآتـي مـعـادا
وكـيـف تـردُّ عـشـقًـا جـاء طـوعًـا
وهـل تـسـتـطـيـعُ فـي الـعـشـق ارتـدادا
تـشـعُّ كـأنـهـا مـن ضـوء نـارٍ
وإنْ كـانـت لِـغُـلّـتِـكَ ابْـتِـرادا

Book11.indd 578 3/8/14 4:03 PM

ولـــيِّـــنـــةُ المـــفـــاصـــلِ طـــيـــعـــاتٌ
قـــوائـــمُـــهـــا وتـــنـــقـــادُ انْـــقِـــيـــادا
إذا الْـتَـهـبـتْ ظـواهـرُهـا تـــراءتْ
خـفـايـاهـا فـتـرتـعـدُ ارْتِـــعـــادا

☆☆☆☆

كـــأن دنـــوهـــا يُـقـصـيـك عـنـهـا
فـيـمـتـدُّ الجـــوى فـيـك امـتـدادا
كـــأنـــك تـســتـشـفُّ بـهـا سـمـاءً
ونجـمًـا كـــانَ عـلَّـمـكَ الـسّـهـادا
كـــأنَّ عـيـونَـهـا شـــرفـــاتُ غـيـبٍ
رأيـــتُ خـلالَـهـا الـقـمـمَ الـبِـعـادا

☆☆☆☆

يـضـيء ســوادُهـا فـكـأن شـمـسًـا
بـعـيـنـيـهـا تـقـمَّـصـتِ الـسَّـوادا
ومـــا كـــانـــت رســـومـــاتٌ تجـلَّـتْ
ولا طـيـفًـا تـدلّـى أو تـهـادى
وثـــغـــرًا يـــرتـــدي قـــدحًـــا وجـسـمًـا
تـقـمَّـصَ عـالمًـا وحـــوى بـــلادا
وحـــنَّـــتْ عـنـدمـا سـمـعـت حـنـيـنًـا
يُـنـاغـيـهـا وقـــد لمـسـت فـــؤادا
يمـيـل إلـى الـهـوى مـن حـيـثُ مـالـتْ
مـسـالـكُـهُ وإن كـانـتْ شِـــدادا

✱✱✱✱

Book11.indd 579 3/8/14 4:03 PM

(٧)

أَومَـــــأْنَ مــن فــوق الــرُّبــى بـعـقـودٍ
وبـــأعـــينٍ وضـــفـــائـــرٍ وقـــــدودِ
المـــشـــرقـــاتُ كـــأنـــهـــن لآلـــئُ
بـــبـــراقـــعٍ وجـــواهـــرٌ بـــبـــرودِ
والجـــاعـــلاتُ مــن الـربـيـع مـخـارجًـا
لـــبـــزوغـــهـــنَّ ومـــوســـمًـــا كـالـعـيـد
صـبـغَ الـــنّـــوارُ مـكـانـهـنَّ بـصـفـرةٍ
فـــي خُـــضـــرةٍ مـــن ســـنـــدسٍ وورود
وفـرشـــن مِـــن بـسـطٍ كـــأن نـقـوشَـهـا
واحـــــاتُ طـيـــرٍ مـــن طـيـــورِ الـبِـيـد

☆☆☆☆

لـولا الحـضـارةُ قُـلْـتُ مِـن وحـشِ الفـلا
لمـــا بـــــرزنَ بـــأعـــينٍ وخـــــدودِ
يـا خـيـمـةً فـي الـرمـلِ تُـزهـرُ عـنـدَمـا
يـــأتـــي الـــربـــيـــعُ بـلـطـفـه المـعـهـود
إن الـــتـــي نـهـفـو لـهـا ونُـحـبُّـهـا
ونـــهـــيـــمُ عـــبـــر فـضـائِـهـا المـمـدود
عـــادت نـــوازعُـــهـــا الـــقـــديمـــةُ.. إنـهـا
لا تـســتـقـرُّ حـــــدودُهَـــــا بـــحـــدود

Book11.indd 580 3/8/14 4:03 PM

تـركـتْ خـرائـطَـهـم وعـــادتْ تحـتـذي
أعـــراقَـــهـــا فـــي أمـــسِـــهـــا المـفـقـود
وتَـسـيـحُ فـي الخـلـجـانِ فـوق زوارقٍ
مَـــنـــضـــودةٍ بـبـهـائـهـا المـنـضـود
غـــراءُ تـقـفـوهـا الـــنـــوارسُ مثلما
يـــأوي لـهـا فـــي الـبـرِّ كـــلّ طـريـد

☆☆☆☆

وعـجـبـتُ مـن خِـيَـمٍ تـسـيـرُ بِـلُـجـةٍ
وبـهـا المـطـابـخُ مـن فـنـونِ هـنـود
كـــادت مـفـارشُـهـا تـصـيـر حـدائـقًـا
تـنـمـو عـلـى الأمـــواجِ والجُـلْـمُـود

****

Book11.indd 581 3/8/14 4:03 PM

(٨)

فُـرِشـتْ مـفـارشُـهـا وشـبَّ بَـخُـورُهـا
والـفـتـنـتـانِ نجـومُـهـا وبـدورُهَـا
يـا غـرفـةً قَـعَـدَ الـهـوى بمـقـاعـدٍ
فـيـهـا وقـامـت جَـنّـةٌ وطـيـورهـا
شَـبَّـت بـهـا أضـواؤهـا ولـطـالمـا
شـبَّـتْ بـهـا أنـفـاسُـهـا وصـدورُهَـا
جـاءت بـكـاساتِ الـنـبـيـذ تـديـرُهـا
وأنـا أديـرُ بـهـا الـهـوى وأديـرهـا
شـرقـيّـةٌ لـولا حـداثـةُ فِـكْـرِهـا
غـربـيَّـةٌ لـولا الـدِّمـاءُ ونـورُهَـا
شَـفَّـتْ ورقـرقَـهـا المـصـاغُ كـأنـه
مِـن فـوقـهـا يـهـتـزُّ فـيـه شـعـورُهـا
فـكـأنمـا مـنـشـورُهـا مـكـنـونُـهـا
وكـأنمـا مـكـنـونُـهـا مَـنـشـورُهَـا
جـلـسـتْ ضـفـائـرُهـا قُـبـيـلَ جلـوسِـهـا
فـكـأنمـا هـي تـاجُـهـا وسـريـرُهَـا

☆☆☆☆

وتجـاوزَ الإيمـاءُ فـي حـركـاتِـهـا
وسـكـونِـهـا لـغـةً لـهـا تَـعـبـيـرُهـا

Book11.indd 582 3/8/14 4:03 PM

بلغ الهوى منها بحيثُ أحالَها
كمواسمِ الرَّيحانِ فاح عبيرُها
ومن الورودِ بشائرٌ عن غيرِها
لمّا تفوح كما تفوحُ عطورها

✷✷✷✷

Book11.indd 583 3/8/14 4:03 PM

(٩)

مـــاذا يـقـــولُ الـعـطـرُ حـــين يـفـوحُ
ومـــزالـــقُ الـكـشـمـيـرِ حـــين تـسـيـحُ
كـــادتِ بـهـا الألـــــوانُ تـنـبـض ربمـا
نـبـضـتْ بـهـا فـتـبـوحُ حـــين نَـبُـوح
سـكـتـتْ وكـلّـمـنـا الـرّفـيـفُ بـثـوبِـهـا
وتـــنـــكّـــرتْ وشـفـيـفُـه مَـفـضُـوح
وكـأنـهـا قـالـت وإن هـــي لـم تـقـلْ
وتحـــــدّث الإشـــــــراقُ والـتّـلـمـيـح
مـلـكَ الـــذهـــولُ لـسـانَـهـا فـتـحـدّثـتْ
أعـمـاقُـهـا وطـريـقُـهـا المـفـتـوح
وهـــي الـــوجـــوهُ مـــواهـــبٌ وأَحَـبُّـهَـا
لـلـروحِ مـا شـفَّـتْ عـلـيـه الـــرّوح
وتجـسَّـــدتْ حـتـى أكـــادَ أحـــوزُهَـا
وكـأنـهـا خـلـفَ الـظّـنـونِ تَـلـوح

****

Book11.indd 584 3/8/14 4:03 PM

(١٠)

أتـــتْ ومـــا ظـنَّـــهَـا تـــأتـــي يُـرنِّـــحُـــهـا
وجْـــدُ الـطـيـرِ مـن أحـداقِـهـا الـسـودِ
كـأنـهـا خـرجـتْ مـن عـمـقِ جـوهـرةٍ
أو أنـــهـــا دخـــلـــتْ فـــي مـــاء عـنـقـود
كـــأن أهـــدابَـــهـــا نـيـطـتْ بـألـسـنـةٍ
إذا الْـتَـقـيـتُ بـهـا ضَـــجَّـــتْ بـتـغـريـد

☆☆☆☆

تـكـاد تـنـطـقُ عـيـنـاهـا إذا سـكـتـتْ
مـــعـــمـــودةً تـتـقـصـى شـــوق مـعـمـودِ
تمـيـلُ أردافُـــهـــا الـكـسـلـى إذا رزحـــتْ
مـجـهـودةً قـد حـواهـا صـــدرُ مـجـهـود
يضـاعـفُ المسكَ فيها مسكُ ما نضجتْ
ضـفـائـرُهـا الـــورد أو يـاقـوقـةُ الجِـيـد

✱✱✱✱

Book11.indd 585 3/8/14 4:03 PM

(١١)

جـــاءتْ بـــلا مـــوعـــدٍ مـنـه فـأفـزعَـهُ
مَـجـيـئُـهـا وقـمـيـصُ الـلـيـل مـحـلـولُ
يـكـاد يـنـكـرُهـا لـــولا روائـــحُـــهَـــا
وصـــوتُـــهـــا حـــين تـــأتـــي والخـلاخـيـل
ولـلـعـبـاءةِ إشـــــــراقٌ ورفـــرفـــةٌ
ومـلـمـسٌ مـثـلُ ظـهـرِ الـطـيـرِ مـصـقـول
تـمـيـد عـشـقًـا وألـــوانًـــا مـهـيـأةً
كـمـا تـدانـتْ إلـــى قـطـفٍ مـحـاصـيـل

☆☆☆☆

لـولا شـعـاعـاتُـهـا الأولـــى لـمـا اتـضـحـتْ
رسـومُـهـا الـبـيـضُ والـسـودُ الأكـالـيـلُ
تـفـيـضُ مـن فـوقـهـا ســـودًا مـلـبّـدةً
كـأنـهـا الـــوردُ لـولا الـلـونُ والـطـول
وأطـلـقـت مـــن مـغـالـيـقٍ مـــزرَّرةٍ
لـهـا دبـيـبٌ كـمـا يـنـسـابُ مـجـهـول

✱✱✱✱

Book11.indd 586 3/8/14 4:03 PM

(١٢)

أزاحـــتْ حـجـابًـا فـانجـلَـى عنـه رونَـقُ
ويـــاقـــوتَـــةٌ فـــي صـــدرِهـــا تـتـألّـقُ
وأبـــــرقَ خـلـخـالٌ لـهـا فـتـخـارسـتْ
طـمـوحـاتـكَ الأولـــى وهـــو مـــازال يُـبـرق
لـــه دورةٌ فـــي ســاقـــهـــا قـــد تـكـامـلـتْ
فـــكـــلُّ اتجـــــاهٍ روعـــــةٌ وتـــألُّـــق
كـــأنّ ومـيـضَ الـشـذر فـي جـنـبـاتـهِ
عـيـونُ طـيـورٍ فـي غـديـرٍ تُحـدِّق
ألـفْـتَ الـهـوى مـن حيث لا يـؤمـن الـهـوى
وســايــرْتَــهُ وهـــوَ الجـمـــوحُ المحلِّـق
تَـــوغَّـــلْـــتَ فـــي آفـــاقـــهِ ولـربمـا
هـبـطْـتَ كـمـا يـنـهـارُ صـــرحٌ مُـلـفَّـق
ومَـــهَّـــدْتَ لـلـوجْـدِ المـلـجِّ ولـيـلـهِ
ضـلـوعًـا إذا حـرَّكْـتَـهـا تَـتـدفَّـق
دَحـتْـهَـا عـيـونٌ قـد دحـتـهـا زخـارفُ
تـضـيءُ فـتـدنـو أو تجـيـشُ فـتعشق

☆☆☆☆

يَـظـلُّ شـبـاكُـهـا فـي الـلـيـلِ مـنـتـظـرًا
قـــدومَـــهُ ورتـــاجُ الـبـابِ مـفـتـوحُ

Book11.indd 587 3/8/14 4:03 PM

أَضْـــــواؤهُ كـعـيـونِ الـقـطِّ مـبـرقـةٌ
ولـلـسـتـارةِ إيمـــاءٌ وتـلـويـحُ
أُخـتـاهُ قـال سـيـأتـي كـيـف نـحـجـبُـهُ
عـن الـعـيـون وشـــأنُ الـحـبِّ مـفـضـوح
مـــازال يـهـمـسُ فـي أذنـــي لِـيـقـنـعَـنـي
حـتـى اقـتـنـعـتُ وفـــي عـيـنـيـه تـلـمـيـح
وفـــي إشـــاراتـــهِ هـمـسٌ وهـدهـدةٌ
يـهـفـو بـهـا الـقـلـبُ أو تـدنـو لـهـا الـروح

☆☆☆☆

كـانـت مـهـيـأةَ الأَلـــــوانِ جـاهـزةً
ولـلـضـفـائـرِ هـــــالاتٌ وتـسـريـحُ
كـأنمـا ثـوبُـهـا الـلـيـلـيُّ تجـذبُـهُ
أكـتـافُـهـا أو أطـارتـهُ الـتَّـبـاريـح
مـعـطـرٌ بـــورود الـهـنـدِ تـرجـفُـهُ
قـلائـدٌ مَـثـلـمـا اهْـتـــزَّتْ أراجـيـح

☆☆☆☆

كـــادتْ تـفـيـضُ فـهـل رأيـــتَ مـواقـدًا
فـاضَـتْ نـبـيـذًا أو لـهـيـبًـا أزهـرا
كـــادت تـفـيـضُ ولـم تـــزلْ أنجـاؤهـا
عـطـشًـا ولـكـن قـد سـقـاك الـكـوثـرا
وكـــأن رائـحـــةَ الـكـــرومِ بجسمـها
ويـهـيـمُ فـيـهـا الـفـكـرُ حـتـى يَـسْـكَـرا
وكـأنـهـا مـشـتـقـةٌ مـــن أعْـــرُقٍ
صَـنـعـتْ سـلالـتُـهـا الجـمـالَ الأشـقـرا

Book11.indd 588 3/8/14 4:03 PM

مـــنـــظـــورةٌ مـــلـــمـــوســـةٌ لـكـنـهـا
تـعـطـي الخـيـالَ مـجـالَـهُ كـي يُـبْـحِـرا
تـتـحـركُ الـسَّـكـنـاتُ فـي حـركـاتِـهـا
وتُـربـك صـورتُـهـا الجـمـالَ مُـصـوَّرا
ممـن يـجـيء بـهـا الخـيـالُ مـجـسَّـدًا
ومـــغـــرِّدًا ومـنـمَّـقًـا ومـعـطَّـرا

****

Book11.indd 589 3/8/14 4:03 PM

(١٣)

ولـــمّـا أزاحـــتْ مـن قـنـاعٍ تـكشَّـفَـتْ
ضـفـائـرُهـا مـثـلَ الـقـنـاعِ الـلـبَّـدِ
وشـــعَّ لـهـا ثـــوبٌ كـــأن ومـيـضَـهُ
صـــدورُ حـمـامٍ أو رسـومـاتُ مَـعْـبد
ورنَّـحَـنـي عـطـرٌ لـهـا قـد تـضـاعـفَـتْ
نـوافـثُـه مـن جـسـمِـهـا الـمـتَـوقِّـد
فـلـمْ أرَ حِـجْـرًا يـنـزفُ الـعـطـرَ قَـبْـلَـهـا
وعـطـرًا ولـكـن كـاد يُـغـرفُ بـاليـد

☆☆☆☆

خـزائـنُ عـطـرٍ جـسـمـهـا وزخـارفٌ
تجـيـشُ وفـيـهـا حـالـةٌ مـن تمـرّد
عـجـولٌ إذا مـا الأمـرُ كـان يَـهُـمّـهـا
لـهـا هـاجـسٌ فـي وجـهـهـا الـمـتـورِّد
عـبـاءتُـهـا الـسـوداءُ خـيـمـةُ عـاشـقٍ
حـريـريّـةٌ أطـنـابُـهـا مـن زُمـرُّد

☆☆☆☆

تـلـوذُ بـهـا عـن أعـيـنِ الـنـاس عـنـدَمـا
تجـيءُ لـنـا مـثـلَ الـسـوادِ الـمـغـرّد
إذا مـا نـضَـتْ عـنـهـا الـعـبـاءةَ أشـرقـتْ
تـهـاويـلُ جـسـم فـي تـهـاويـلِ عسجد
تَـضِـيـقُ بـسـاقـيـهـا الحُـجـولُ وشـوقًـهـا
تَـجَـرَّدَ فـي أطـرافِ ثـوبٍ مُـجَـرَّد

✱✱✱✱

Book11.indd 590 3/8/14 4:03 PM

(١٤)

تُـضـيء إذا كـلَّـمْـتُـهـا فـكـأنمـا
تَـداخـلَـهـا ضـوءٌ يُـغـنِّـي ويـرسـمُ
نـوازعُ عـشـقٍ مـشـرقٍ فـي مـلامـحٍ
وحـالـةُ وجْـدٍ قـد بـدت تـتـجـسَّـمُ
إذا وقـفـتْ مـا كـان حـتـمًـا وقـوفُـهـا
سـوى أنـهـا تـبـغـي عـلـيـنـا تُـسـلِّـم
مـهـيـأةٌ فـي كـلّ آن فـإنْ مـضـى
لـنـا مـوسـمٌ فـي ظـلِّـهـا عـاد مـوسـم
لـهـا هـاتـفٌ فـي صـمـتِـهـا يـتـكـلّـمُ
ونـفـهَـمُ مـنـهـا مـثـلـمـا هـي تـفـهـم

****

Book11.indd 591 3/8/14 4:03 PM

(١٥)

لاحـــتْ إلـيـك بـــــوادرٌ بـعـيـونِـهـا
مـثـلَ الـثـمـارِ يـلـوح فـي غـصـونِـهـا
نـشـرَ الحِـــــراكُ سـكـونَـهـا فـكـأنـه
سـبـبٌ إلـــى المـكـنـونِ مـن مـكـنـونـهـا

☆☆☆☆

ظـلَّـتْ تمـــارسُـــهُ وظـــلَّ كـأنـهُ
فـــنٌّ يـضـاف إلـــى بـهـاءِ فـنـونـهـا
راحـــتْ تُـزيـحُ ضـفـيـرةً عـن جـانـبٍ
مـن وجـهـهـا المـشـحـونِ مـن شـحـونـهـا
وبـــدتْ لـنـا الـصـورُ الـخـفـيّـةُ مثلما
تـتـكـشَّـفُ الأســـرارُ عـن مـضـمـونـهـا
إن الـومـيـضَ يـلـوحُ مـن أطـرافِـهـا
مـثـلُ الـومـيـضِ يـلـوحُ بـين جـفـونـهـا
وتـعـلـمـتْ لـغـةَ الـهـوى فـتـكـلّـمـتْ
بـحـراكِـهـا وتحـــرّكَـــتْ بـسـكـونـهـا
تـخـتـارُ ألـــوانَ الـهـوى فَـتُـحـيـلُـهـا
صـوتًـا عـن المـكـنـون مـن مـكـنـونـهـا
مـن أبـيـضٍ كـصـفـائـهـا أو أحـمـرٍ
كـشـفـاهِـهَـا أو أزرقٍ كـعـيـونـهـا
فُـتِـنَ الجـمـالُ بـهـا كـمـا فُـتِـنـتْ بـهِ
فـكـأنـهـا مـفـتـونـةٌ بـفـتـونِـهـا

✱✱✱✱

Book11.indd 592 3/8/14 4:03 PM

(١٦)

لـعـمـرُكَ مـا كـانـت غـرامًـا مـنـزّقـا
وشـوقًـا أبـى أن يـسـتـقـرَّ فَـحـلَّـقَـا
ولـكـنـهـا كـانـت هـوًى قـد أحـالَـهـا
زخـارفَ ثـغـرٍ كـاد أن يَـتـرقـرَقـا

☆☆☆☆

كـأن الخـطـوطَ الحـمـرَ فـيـه مـسـالـكٌ
قـد اتّـضـحَـتْ أو بـرعـمٌ قـد تفتَّقا
تـلـيـنُ إذا لانـتْ عِـظـامٌ كـأنـهـا
تـلاشـتْ بـهـا إلا جُـمـانًـا تـألّـقَـا
إذا احـتـدَمَـتْ أعـمـاقُـهـا خِـلـتُ أكـؤسًـا
تـفـيـضُ بـهـا أو نـهـرَ عـشـقٍ تـدفَّـقـا
تـعـتَّـقَ فـيـهـا الـعـشـقُ حـتـى انـتـشـتْ بـهِ
فـأسـكـرهـا لـو أن عـشـقًـا تَـعـتَّـقـا
تـنـاولَ أقـصـاهـا وطـرَّزَ شـكـلَـهـا
وصـيَّـرَ مـنـهـا رونـقًـا ضـمَّ رونـقـا
وكـنـتُ إذا اسـتـبـطـأتُـهَـا أسـرع الـهـوى
إلـيـهـا فـيـلـقـى شـوقَـهـا مـنـه أشـواقـا
تـفـكُّ ضـفـيـراتٍ تـلـفَّـفْـنَ فـوقـهـا
دوائـرَ فـكّـت شـوقَـهـا فـتـطـلَّـقـا

☆☆☆☆

Book11.indd 593 3/8/14 4:03 PM

ولـــمّـا هـبـطْـنَـا الـسـهـلَ سـهَّـلَـهـا لنا
بـــريـــقٌ تمـــطَّـــى شـكـلُـهـا فَـتـأَلَّـقَـا
نـــزوغُ عـــنِ الـــدربِ الـســويِّ وننتحي
طـريـقًـا خـفـيَّ الجـانـبـينِ مُـلـفّـقـا
إذا نَـفَّـضَـتْ مـن ثـوبـهـا انـتـشـرتْ لـهُ
روائـــحُ وردٍ تـــزرع الـــرمـــلَ زنـبـقـا

****

Book11.indd 594 3/8/14 4:03 PM

(١٧)

وجـــاءتْ بمـيـعـادِ الـهـوى يستحثُّها
شُـــعـــورٌ لـــه إيـقـاعُـه بـشـعـوري
فـلـمْ أرَ جـسـمًـا قـبـلَـهُ قـد تـرنّـمـتْ
نـــوازعُـــه مـــن نـــشـــوةٍ وحـــبـــورِ
كـــأن عـطـورَ الـعـيـدِ كـنـتُ نَشقتُها
فَـسـابـقـتُ فـيـهـا الـعـيـدَ مـنـذ شـهـورِ
ولـــولا هـــواهـــا بـالـعـطـورِ لـكـان لي
بِـنْـكـهـتـهـا مِـــن سـكـب كـــلِّ عـطـور
أكـــادُ إذا اسـتـجـلـيـتُـها أنـتـشـي بـها
وأســـمـــعُ أصـــواتًـــا لـهـا بـضـمـيـري
تـقـولُ اسـتـفـق لـمـا رأتْ مـن تـرنـحـي
ومـــا لمـسـتْ مـن نَـشـوتـي وفُـتـوري
ولـم تـدرِ أنـي قـد تجـاوزتُ صَحوتي
وحـــلَّـــقَ حـسـي فـي دخـــانِ بـخـور

☆☆☆☆

لـــه نـكـهـةٌ فـي ثـوبِـهـا وضـفـائـرٌ
إذا نَـشـرتْـهَـا قـلـتُ آن نُـشـوري
كـــأن رفـيـفَ الـثـوب أطـــراقُ أعـيـنٍ
مُـــعـــبـــأةٍ أهـــدابُـــهـــا بـبـدور

Book11.indd 595 3/8/14 4:03 PM

عـرفـتُ الـهـوى حـتـى عـرفـتُ ثـيـابَـهُ

وأزيـــــــاءَهُ مـــن ســـابـــغٍ وقـصـيـرِ

وقـلـتُ لـهـا لـــمّـا تـــوهّـــجَ وجـهُـهـا

وشـــعّـــتْ لمـن صـــارتْ مـنـابـعَ نُـــورِ

تَجـــــاوَزَتِ الألـــــوانُ فـيـكِ امـتـدادَهَـا

وفَـــاجَـــأنـــي الـتـيـارُ قـبـلَ عـبـوري

إلـى أيـن أمـضـي بـل إلـى أيـن وجـهـتـي

ومـــن أيـــن دربـــي؟ بـل وكـيـف مـسـيـري

وقـــد قـلـتُ حـتـى لـم أجـــدْ مـا أقـولُـهُ

ومـارسـتُ هـولَ الـصّـمـتِ رغـمَ هـديـري

وحـاصـرتُ عشـقًـا لـيس سـهـلًا حـصـارُهُ

وأنـــــتِ ســـمـــاءٌ وانـــطـــلاقُ طـيـور

****

Book11.indd 596 3/8/14 4:03 PM

(١٨)

سَـقـاكِ الـلـهُ مـن فَـيـضِ الـسَّـواقـي
ووسَّـــعَ مـن جـوانـبِـكِ الـــرِّقَـاقِ
لأنّـــكِ قـد أتـيـتِ مـع انـتـظـاري
لمـا يـأتـي وجـئـتِ مـع انـعـتـاقـي

☆☆☆☆

أتـتـكِ الأرضُ زاحـفـةً وكـنّـا
سـمـعـنـا زحـفَ خـطـوٍ وانـبـثـاقِ
وأخـشـى أن يُـفـجِّـرنـي احـتـوائـي
لـنـورك أو يـرنـحـنـي انـطـلاقـي
كـأنـك قـد غـرقـتِ بـأي عـشـقٍ
صـلـيـتِ وأنـت بـاردة الـرّواق

☆☆☆☆

وأنـتِ مـنـافـذُ الـشُّـعَـلِ الـلـواتـي
تجـيء مـن الجـوانـحِ والـتَّـراقـيـس
دحـاكِ الـهـاجـسُ الأقـصـى فـجـئـنـا
نـسـيـرُ عـلـى الأضَـالـعِ والمـآقـي
بـلـيـلٍ لـم يـكـنْ لـيـلًا ولـكـن
مـسـالـكَ طـارقٍ ومـدى اشـتـيـاق
خـرجْـنَـا نـقـتـفـي شـجـرًا غـريـبًـا
فـفـي أغـصـانِـه فـزعَ الـفِـراق

Book11.indd 597 3/8/14 4:03 PM

ولـــلأشـــجـــارِ أشـــجـــانٌ وفـيـهـا
مـــواصـــلـــةُ الـــرحـــيـــلِ بـــلا تـــلاقِ
سَـلـكـنـاهُ إلـــى أقـــصـــى هَـــوانـــا
وَوقَّـــــانـــــا، وقـــــاه كـــلُّ واقِ
وكـــانـــت تـــقـــرأ الأشـــجـــارُ كـلُّ
لـــه وطـــنٌ وأســـمـــاءٌ بَـــواق

☆☆☆☆

وكـنـتُ كـــذاك أقـــرأُهـــا شـروقًـا
بـجـسـمٍ مـــن حـــريـــرٍ وأتـــلاق
كـــأن بـجـسـمِـهـا نـــوبـــاتِ بـــرقٍ
وإلا فَـــهْـــيَ مِـــن مـــاءٍ مُـــراق
وواضـــحـــةُ الجِـــراك إذا تمشّـى
بـهـا عـشـقٌ وطـبـيـعـةُ الـعِـنـاق
ومـــا بـــرحـــتْ ثـيـابـي فـــي عـبـيـرٍ
أُكـــــرِّرُ فـــي بـواقـيـه احـتـراقـي

✱✱✱✱

Book11.indd 598 3/8/14 4:03 PM

(١٩)

ولـمّـا أتـت قـالـت: سـلامٌ وأشـرقـتْ
بـوادرُهـا .. طـوبـى لـتـلـك الـبـوادرِ
كـأنـي إذا أبـصـرتُـهـا بـعـد غـيـبـةٍ
أشـاهـدُهـا تـنـمـو نمـو الـبـيـادرِ
تـظـلُّ إذا غـابـت شـعـورًا كـأنـه
سـلالـمُ عـشـقٍ يـرتـقـي بـالمشـاعـر
إذ جـلـسـتْ قـام الـهـوى فـي عـيـونِـهـا
وأجـلـسـنـي مـنـه جـلـوسَ المسـامـر
ربـيـبـةُ أشـجـارٍ ونـهـرٍ فـهـاجـرتْ
عـلـى الـرغـم مـنـهـا .. يـا لـهـا مـن مُـهـاجـر

☆☆☆☆

وقـالـتْ كـلامًـا عـن مـدائـنِ أهـلِـهـا
وحـاراتِـهـا ذاتِ الـطـيـورِ الـنَّـوادرِ
كـأنـي أرى فـيـهـا مـلامـحَ (زيـنـبٍ)
وألمـسُ فـيـهـا مـن ثـيـابِ (تمـاضـر)
بـهـا غـربـةٌ لا تـنـتـمـي لمـسـاكـنٍ
وفـيـهـا سـمـاتٌ مـن مُـقـيـمٍ مـغـادر

✱✱✱✱

Book11.indd 599 3/8/14 4:03 PM

(٢٠)

قـالـت أتـكـتـبُ شِـعـرًا؟ قـلـتُ أنـشـقُـهُ
مـن الـعـيـونِ الـتـي تـكـتـظُّ بـالألَـقِ
بـعـضُ الـعـيـونِ رسـومـاتٌ وهـاتـفُـهـا
تـوحـي إلـيَّ فـأتـلـوهـا عـلـى الـورق
قـالـت أتـشـربُ شـيـئًـا كـي يـطـول بنا
هـذا الحـديـثُ فـلـم أرفـضْ ولـم أَذُق
لـهـا جِـراكُ الـدوالـي جـنَـى تُـثـقِـلُـهـا
أعـنـابـهـا وبـهـا مـن هـدأة الأفـق
تُـديـر خـاتَـمـهـا فـي إصـبـعٍ صبغت
أُظـفـورةً فـيـه تحـكـي فـوهـةَ الـعـبـق
إذا الْـتَـفـتُ لـهـا شـعَّـتْ وقـد عـرفـتْ
مـعـنـى الـتـفـانـي لـهـا واسـتـعـذبـتْ نزقي
روَّضـتُ فـيـهـا وعـوراتٍ أحـاذرُهَـا
وقـد جُـنـنـتُ بـهـا مـن حـيـثُ لـم أفـق
أخـاف مـنـهـا عـلـيـهـا حـين يـنـظـرُهـا
غـيـري ويُـقـلـقـهـا مـن أجـلِـهـا قـلـقي

☆☆☆☆

وكُـلُّـهُـمْ هـائـمٌ فـيـهـا يـحـاولُـهـا
ولـم يـرَوْا مـا أرى فـيـهـا.. ولـم تثق

Book11.indd 600 3/8/14 4:03 PM

إنـــي لأنـشـقُـهـا نـشـقًـا وألـــمْـسُـهـا
لـمـسًـا وأُسْـكِـنُـهـا فـي زرقـــةِ الحَـــدَقِ
وفـــي ضـفـيـرتِـهـا الـشـقـراءِ أنـثـرُهـا
نـثـرًا عـلـى وجـهـهـا الـــورديِّ والـعُـنـق
تـلـتـذُّ حـــين أنـاغـيـهـا بـعـاطـفـةٍ
مـشـبـوبـةٍ.. فـتـشـبُّ الـنـارُ فـي عُـرقـي
وكـنـتُ أســري بـهـا أســري بـنـشـوتِـهـا
فـــإنْ وقـفْـنَـا فـتـوقـيـتُ لـمْـطَـلَـق
تَـضُـمُّـنـي بـخـوافـي شَـعـرِهـا فـبـهـا
مـن نـزعـةِ الـطـيـر مـن لـطـفٍ ومـن شَـبـق

✱✱✱✱

Book11.indd 601 3/8/14 4:03 PM

(٢١)

لـم يـبـقَ إلا الـرحـيـلُ والـسَّـفـرُ
مـا فـيـهـمُ سـامـرٌ ولا سَـمـرُ
تـضـيـعُ ألـوانُـهـم إذا شـربـوا
لـم يَـعُـوا أمـرَهـم إذا سـكـروا
الـوارثـونَ الحـيـاةَ جـاهـزةً
مـا جـرَّبُـوا هـمَّـنـا ولا اخـتـبـروا
لا يـهـتـدي الـنـاسُ فـي الـنـهـارِ بهم
ويـهـتـدي فـي ضـيـاعـهـمْ نـفـر

☆☆☆☆

أجـمـلُ مـن دورِهـم حـدائـقُـهـا
ومـاؤهـا والـهـواءُ والـشّـجـرُ
والـكـاتمـاتُ الـغـرامِ يُـخـرجُـه
ممـارسٌ فـي الـهـوى لـه وطـر
وحـانـةٌ أُدرِجَـتْ بمـنـعـطـفٍ
يـضـيـع فـيـه الـيـقـينُ والـنـظـر

☆☆☆☆

يـجـتـمـعُ المـالُ والـنـسـاء بـهـا
فـي غـفـلـةٍ.. رُبَّ غـفـلـةٍ ظَـفَـر
يـا أثـلـةَ الـرمـل قـد سـقـاكِ نـدًى
لا يـنـتـهـي بـل أغـاثـكِ المـطـر

Book11.indd 602 3/8/14 4:03 PM

قــد جــاءنــا أنــهــا قــد اعــتــذرتْ

وأنـــهـــا لا تـــــــزالُ تـنـتـظـر

يــا حــبّــذَا صــوتُــهــا وهــاتــفُــهــا

يــســري بــه رَوحُـــــهَـــا ويـنـتـشـر

تــقــول يــا لــيــتــنــي أطــيــرُ لــكــمْ

أو طـــرتُ لــو طــار قــبــلــي الــبــشــر

ثــيــابــيَ الــبــيــضُ والحــلــيُّ ومــا

أعـــددتُـــه والـــلـــوازمُ الأخـــر

جــمــيــعُــهــا أخــفــقَــتْ وأحــسَــبُــهــا

تــشــبــهــنــي واحـــتـــوانـــي الــضَّــجــر

****

Book11.indd 603 3/8/14 4:03 PM

(٢٢)

لـئـن ذهَـبْـتِ بـلا وعـدٍ نـكـرِّرُهُ
ولا لـقـاءٍ كـمـا شـئـنـا نُـقـرِّرُهُ
فـلـسـتِ أولَ مـن ضـاعـتْ مُـخـلـفـةً
فـؤادَهـا بـين أضـلاعِـه أُدثِّـرُه
سـأرفـضُ الحـاضـرَ المـفـروضَ سيدتي
بـالـرغـم مـنـا وأجـفـره وأنـكـرُه

☆☆☆☆

هـل تـذهـبـينَ وفـي عـيـنـيكِ أكـثـرُ من
عِـشـقٍ يـحـاول أن نـبـقـى نُـفـجِّـرُهُ
هـل تـذهـبـينَ مـا تـكـرهـين كـمـا
أبـقـى أعـانـي حـضـورًا لا أبـرِّرُهُ
وقـد مـكـثـتِ شـعـورًا حـين يـطـفـح بي
يـبـدو لـقـاءٌ لـنـا فـي الـغـيـب نـحـضـرُه
كـأنـنـي حـامـلُ أحـزانَ مـن عـشـقـوا
ولـم يـنـالـوا وحـزنـي فـيـكِ أكـثـرُه
فـقـد أتـيـتِ كـمـا لـو كـنـتِ جـاهـزةً
إلـى الـلـقـاء كـنـهـرٍ خـفـتُ أَعـبُـرُه
لا مـوعـدٌ بـيـنـنـا حـتـى نـقـولَ كـمـا
يـشـاء وعـدٌ لـه قـولٌ ومـصـدُرُه

Book11.indd 604 3/8/14 4:03 PM

تُـكَـرِريـنَ الـتـفـاتًـا لا أقـاومُـه
فـأنـتـحـي جـانـبًـا والـقـلـبُ يـنـظـرُه
لـم أدرِ مـن أنـت.. كـانـت مـقـلـتاك لظًى
يـدعـو وفـيـك شـعـورٌ صـرتُ أشـعـرُه
وجـاء صـوتُـك نـشـوانًـا لأسـمـعُـهُ
فـرحـتُ أنـشـقُـه نـشـقًـا وأزفُـرُه
وقـد رأيـتُ جـمـالًا قـبـلَ ذاك ومـا
رأيـتُـه فـيـكِ أحـلاهُ وأكـبـرُه

☆☆☆☆

يمـتـدُّ نـحـوي شـهـيًـا فـي تـطـلُّـعِـهِ
بـلا اكـتـراثٍ ويـدعـونـي وأحـذرُه
ومـا نـكـرتُـكِ لـكـنـي ذُهِـلـتُ كـما
يـرتـاعُ لـلـبـدرِ طـفـلٌ حـين يـبـهـرُه
وحـاصـرتـنـي رمـوشٌ مـثـلـمـا فُـتـحـتْ
خـزائـنٌ وفـمٌ قـد لـجَّ أحـمـرُه
وكـنـتُ مـذْ كـنـتُ دومًـا أسـتـجـيـبُ إلـى
داعـي الـهـوى حـين يـدعـونـي وأشـكـرُه
إذا صَـمَـتُ فـفـي صـمـتـي هـواتـفُـهُ
أو الـتـبـسْـتُ فـحـالاتـي تـفـسِّـرُه
والـعـشـقُ مـن صـفـةِ الـعـشّـاقِ. نـكـهـتُـهُ
فِـيـهـمْ وعـالـمـه الأقـصـى وجـوهـرُه
كـأنَّ طـيـفَـكِ مُـذْ يـأتـي يـذكِّـرُنـي
ذاك الـلـقـاءَ.. وإنـي سـوفَ أذكُـرُه

✱✱✱✱

Book11.indd 605 3/8/14 4:03 PM

(٢٣)

قـالـوا ابـتـعـدْ عـن هـواهـا قـلـتُ مـا بيدي
وكـيـف أخـــرجُ عـن نـهـجـي ومـعـتـقـدي
تـكـاد تـسـكـنُـنـي مـن حـيـث أسـكـنُـهَـا
فـنـحـن فـي الحـبِّ كـالـروحـيـنِ فـي جسد
تـظـلُّ تـقـدحُ بـي حـتـى إذا طـفـحـتْ
نـفـسـي بـهـا خِـلْـتـهـا تـهـتـزُّ فـي خـلـدي

☆☆☆☆

وكـــدتُ أمـسـكُـهـا مـن حـيـثُ أذكـرُهَـا
وفـــي تـقـــرّبِـــهـــا حـــــالاتُ مـبـتـعـد
وقـد قـعـدتُ إلـى أن صـرتُ مـن حـجـرٍ
وقـد مـكـثـتُ إلـى أن صـــرتُ مـن وتـد
أراقـــبُ الـعـطـشَ المـرســومَ فـي شـفـةٍ
ومـــا تـــراءى بـجـسـمٍ شـبْـهَ مُـتَّـقـد
ولـلـعـيـونِ اشـتـهـاءٌ فـي تـلـفُّـتِـهـا
ولـلـثـيـاب رفـيـفٌ شـبـهُ مـقـتـصـد
كـأن اثـوابَـهـا مـن شـعـرِهـا فَـهُـمَـا
نـسـجـانِ مـن دمِـهـا الـزّاهـي بـلا عـدد
بـهـا نـــوازعُ وحـــشٍ وهْـــيَ عـاقـلـةٌ
كـذاك فـيـهـا هـبـوبٌ وهْـــي مـن زَبَـد

Book11.indd 606 3/8/14 4:03 PM

بـهـا شـــروقُ الـضـحـى أو أنـهـا جُـبِـلـتْ
مـــن الـربـيـع ومـــن ألـــوانِـــه الجُـــددِ
جـــاءت لـتـسـألَ عـنـي كـيـف حـالـتُـهُ
وكـــدتُ أحـسَـبُـهـا ولَّـــتْ ولـــم تَـعُـد
كـــأن مـلـمـسَ كـفـيـهـا وسـرحـتَـهُ
ومـــا سـلـكـتُ بـهـا شـــوطٌ إلـــى أمـد
تُـرخـي تـشـنّـجَ أحـزانـي وتـفـسـحُ لي
مـن ظـلِّـهـا.. أفـدي ذاك الـظـلَّ مِـن سند

☆☆☆☆

كـأنـهـا اخْـتَـصـرتْـنِـي فـي مـسـافـتِـهـا
أروحُ ألـهـثُ فـيـهـا وهـــي كـالأبـدِ
تـهـتـزُّ أنـحـاؤهـا حـتـى إذا هـدأتْ
أظـــلُّ أبـحـث عـن كـفّـي فـلـم أجـدِ
وقـد تـــوضَّـــأْتُ مـن دخـــانِ مـبـخـرةٍ
كـــأنّ أصـدافَـهـا مـن نـشـوةِ الأحـد
يـا سـاكـنَ المـــاءِ إنـا سـاكـنـو لـهـبٍ
مـــــروَّضٍ بـهـمـومِ الـعـشـق مُـتَّـئـد
تـخـفـي مـشـاعـلَ عـينـيـهـا إذا الـتـفـتـتْ
نـحـوي وتـمـنـحـنـي مـن حـيـثُ لـم تـزد

✱✱✱✱

Book11.indd 607 3/8/14 4:03 PM

(٢٤)

عـلـى جـدرانِـهـمْ أثـرُ الـبَـخُـورِ
وفـي حـركـاتِـهـمْ نَـزَقُ الـطّـيـورِ
وقـد يـتـلـفـتـونَ لـضـوءِ بـرقٍ
تـطـايـرَ مـن زوارقَ أو خُـدور

☆☆☆☆

إذا سـكـنـوا الـبـواديَ طـرَّزوهـا
خـيـامًـا تحـتـذي تـرفُ الـقـصـور
وإنْ هـبـطـوا الـسـواحـلَ أغـرقـوهـا
بـنـيـرانِ المـبـاخـرِ والـقُـدور
إذا غـنّـى نـديمُـهـم اسـتـجـاشـوا
هـوًى يُـدنـي الـشـعـورَ مـن الـشُّـعـور

☆☆☆☆

وإنْ بَـعـدوا يـدلُّـك حـيـثُ كـانـوا
دُخـانٌ فـيـه أشـبـاحُ الجـسـورِ
لحـومُـهُـمُ شـرائـحُ مـن حُـبـارى
عـلـى أوراكِـهـا نـهـشُ الـصُّـقـور
ومـاؤهُـمُ قـواريـرٌ إذا مـا
أُديـرتْ نَـزَّقَـتْ ورعَ الـمُـديـر
ويمـتـهـنـونَ أفـكـارًا ولـكـن
تجـيء مـن الـضـمـيـر إلـى الـضـمـيـر

Book11.indd 608 3/8/14 4:03 PM

هُـــمُ الـصُّـحـفُ الـقـديمـةُ فـي نـفـوسٍ
تـفـيـضُ عـلـى وجـــوهٍ كـالـبـدور
كـأنـهـمُ جـوانـبُ مـن زمـانٍ
تجـلَّـي أو بـــوادرُ مـن نـشـور
لـئـن قُـرِئَـتْ لـغـاتٌ فـوق لـوحٍ
قـديمٍ أو نـقـوشٌ فـي صـخـور

☆☆☆☆

فـإنـي سـامـعٌ صـوتًـا بـنـبـضٍ
هـنـاك وقـارئَ لـغـةِ الـصُّـدورِ
فـيـا وطـنَ الـنَّـوَارِ وإن تـقـضَّـتْ
مـواسـمُـه ويـا زمـنَ الـزهـور
سـقـاكَ الـغـيـثُ بـل مـازلـتَ غـيثًـا
فـإن تـبـعـدْ فَـسِـيـبٌ مـن غـديـر

☆☆☆☆

وظِـلٌّ مـن حـريـرٍ.. هـل رأيـتـمْ
بـروقًـا فـي ظـلالٍ مـن حـريـرِ
تـلـوحُ لـنـا فـتـمـلأُنـا شـروقًـا
وتـهـديـنـا إلـى الـنـبـعِ الـغـزيـر

✱✱✱✱

Book11.indd 609 3/8/14 4:03 PM

الأصوات والإشارات

تُمــانِــعــينَ وفـــي عـيـنـيـكِ إذعـــانُ
وتَـكـتُـمـينَ وفـــي فـــحـــواكِ إعـــلانُ
تَـنَـاقـضَـتْ فـيـكِ حـــالاتٌ وبـاطـنُـهـا
فـكـيـف يُـصـبـح إنـســانـين إنـســان
وكـيـف يُـدفـن نـهـرٌ فـي سـواحـلـهِ
بـل كـيـف تـرفـضُ طـيـرَ المـــاءِ شطآن

☆☆☆☆

مـحـاصـرونَ فـلا آفـاقُـنَـا اتَّـسَـعـتْ
ولا تَـزحـزحَ رغـم الـرّجـمِ شَـيـطـانُ
ومـاكـثـونَ كـأشـجـارِ الـرمـال لـهـا
ضـيـفـانِ مـا بـرحـا نمـلٌ وغِـربـان
بـاضَ الحـمـامُ عـلـى أقـفـالِ كـهـفـهِمُ
ولا يـزالـون فـيـه حـيـثـمـا كـانـوا

☆☆☆☆

أرضٌ مـحـاصـرةُ الآفـــاقِ مـقـفـلـةٌ
كـمـا تـقـلَّـصَ تحـت الـثـلـجِ ثُـعـبـان
يـهـاجـرُ الحـــبُّ فـيـهـا عـن مـواسـمـهِ
وقـد أتـيـحـتْ ويـجـفـو وهْـــوَ ولـهـان

Book11.indd 610 3/8/14 4:03 PM

قــلْ لـلـعـطـاشِ تـدفَّــقَ الـيـنـبـوعُ
لا مـــــاؤهُ ضـــحـــلٌ ولا ممـنـوعُ
كـــادت تـضـيء بـهـا حِـجـارُ قـبـابِـهـا
فـــرحًـــا بـــيـــوتٌ أشـــرقـــت وربـــوع
خِـلـتُ الـطـيـورَ عـلـى مـنـازلـهـم شَـدَتْ
لـقـدومِـنـا أو دبَّ فـــيَّ خـشـوع
سـبـقـتْ ركـائـبُـنـا الـضـلـوعَ إلـيـكـمُ
ولـقـد تـطـيـرُ مـن الـغـرام ضـلـوع

☆☆☆☆

عـيـونٌ لـهـا زرقٌ كـمـا هـدأ الـبـحـرُ
ووجـــه لـه ألـوانـه الـبـيـض والحـمـرُ
إذا ابـتـسَـمـتْ والـوجْـدُ يـطـفـحُ فـوقـهـا
وفـاضـتْ كـنـهـرٍ أو بـهـا مـن هـوًى نـهـرُ
شـــدَا عـطـشٌ حـتـى اسـتـحـالَ أغـانـيًـا
يُـسـاقـيـه ثـغـرٌ مـثـلـمـا اتَّـقـد الجـمـرُ

☆☆☆☆

يُـــؤنِّـــقُـــهُ لـــونٌ ويـــفـــرشُـــهُ هـــوًى
لـــه عـبـقٌ أو فـيـه مـن وردةٍ عـطـرُ
ألا مـن رآهـا فـي الـضـحـى حـين تبتغي
زيـــارةَ جـيـرانٍ لـهـا أو لـهـا أمـرُ
مـذهَّـبَـةً شـقـراءَ شـرقـيَّـةَ الـهـوى
لـهـا مـرحُ الأنـثـى الـتـي رمـهـا خـمـرُ

Book11.indd 611 3/8/14 4:03 PM

سـلامٌ علـى ضـوء الحـريـر بِشَـعْـرهـا
تَـفـرَّشَ مـثـلَ الـثَّـوبِ لـكـنـه شَـعْـرُ
عـلـى خـرزٍ قـد صـفَّـفَـتْـهُ مـهـارةٌ
قـلائـدَ منـهـا الـزرقُ والحـمـرُ والـصّـفـرُ
يـقـول لـهـا والـلـيـلَ قَـاربَ نـصـفَـهُ
تجـاوزتِ نصفَ الليل قالت متى الفجرُ
أبـتْ أن تـريـحَ الجـسـمَ فـوق مـفـارشٍ
مـبـعـثـرةٍ أو يـسـتـريـحَ لـهـا فـكـرُ

☆☆☆☆

يُـشِّـعُ بـريـقُ الأعـيـنِ الـزرق عـنـدَمـا
يـجـول بـهـا إحـسـاسُـهـا الـغـامـرُ الـثَّـرُ
مِـنَ الـواضـحـاتِ الـغـامـضـاتِ كـأنـهـا
تـفـيـضُ بـسـرٍّ أو تـقـمّـصَـهـا سـرُّ

☆☆☆☆

تحـول دونـكِ أوشـالٌ يـخـوضُ بـهـا
كـمـا تـخـوضـينَ فـي عـطـرٍ وفـي ذهـبِ
ثـيـابُ أمـسـكِ مـازالـتْ تـرفّ لـه
قـمـصـانُـهَـا فـإذا مـا غِـبْـتِ لـم تَـغِـبِ
يـكـاد جـسـمـكِ يـكـسـوهـا بـروعـتـهِ
كـمـا يـلـوحُ خـيـال الـسُّـكْـرِ فـي الـعـنـبِ
يـجـيـشُ قـاعُـكِ مـشـحـونًـا ومـنـسـكـبًـا
وتـصـمـتـيـنَ وذاك الـسّـكـبُ فـي صـخـبِ
وذلـك الـصـمـتُ، كـم صـمـتٍ يـعـالـجُـهُ
حـتـى تـقـولـي ولا صـمـتٌ بـلا سـبـبِ

Book11.indd 612 3/8/14 4:03 PM

كـأنمـا الـنِّـيـلُ مـا غـابـتْ سـواحـلُـهُ
ولا تـــزالُ ظـــلالُ الـتـين والـعِـنـبِ
والـسـاقـيـاتُ الـلـواتـي طـالـمـا اغتسلتْ
سـاقـاكِ فـي بـــاردٍ مـن مـائـهـا عَـــذِبِ
والـبـائـعـاتُ عـقـودَ الـفـلِّ.. كـمـا نُـشِـرتْ
عـقـودُ أغـصـانـهِ فـي غـصـنـكِ الـرَّطـبِ

☆☆☆☆

ألا تـســمــعــينَ كــمــا أســمــعُ
عـســى تـقـنـعـيـنَ كـمـا أقـنـعُ
تَـلـومـيـنـنـي أنـنـي لا أقـيـمُ
طـــويـــلاً وأذهـــــبُ لا أرجـــعُ
وقـــد يـهـتـدي بـضـيـاع الـرحـيـلِ
مـــقـــيـــمٌ بـــلا حـــاجـــةٍ تـنـفـعُ

☆☆☆☆

ومـــا كـنـتُ ذا ثـقـةٍ بـالـسَّـرابِ
ولـكـنـنـي بـالـهـوى مُـولَـعُ
هـــي الأرضُ واســـعـــةٌ مثلما
يـقـولـونَ والـنـفـسُ لا تـشـبـعُ
ولـسـتُ عـلـى الـبـرقِ ذا سـطـوةٍ
لأطـــفـــئَ مـــن بـــــارقٍ يـلـمـعُ

☆☆☆☆

هيّا اضحكي ودعي المرجانَ يضحكُ لي
ومَـهِّـدي لـلـهـوى الآتـي عـلـى عـجـلِ
هـا أنـتِ كـالـقـبسِ المـصـنـوع مـن بشرٍ
يطفو على المـاء أو يـأوي إلـى الـظُّـلَـلِ

Book11.indd 613 3/8/14 4:03 PM

كـــأن اســـطـــورةً شـــرقـــيَّـــةً خـــرجـــتْ

مِـــن الـــثـــيـــابِ تـــــردَّتْ أول الحُـــلـــلِ

والـــنـــاسُ تـــسـكـن فـــي شـتـى حـراشـفِـهـا

ونـــحـــن نـــسـكـن بـــين الـعـشـقِ والـــغَـــزلِ

☆☆☆☆

حـاصـرتُ عـينـيكِ لا أقـوى اقـتـحـامَـهُـمـا

ولا انـصـرافًـا وكـان الـعـشـقُ مـن عِـللـي

ومِـــن وقـــوفـــي عـلـى حـــالٍ يـحـاذرُهـا

مـن لا يـعـانـي الـهـوى فـي هـذه المـقـلِ

وخِـفـتُ أن تـذهـبـي.. يـا طـالمـا ذَهَـبَـتْ

عـنـي الـعـيـونُ والْـقَـتـنِـي عـلـى الأمـلِ

☆☆☆☆

أعـــدتُ لـهـا صـوتـي وقـلـتُ لـهـا قِـفـي

وفـسَّـرتْ حـالـي واعـتـرفْـتُ بِـمـوقـفـي

كـــأنَّ ومـيـضَ الـغـمـز فـي حـركـاتِـهـا

حـديـثُ هـديـلٍ أو إشـــاراتُ زخـرف

وجـــاءت عـلـى وعـــدِ الـهـوى ومـكـانِـه

ولـم أسـتـطـعْ تـصـديـقَـهـا مـن تـلـهـفـي

أعـدتُ لـهـا مـن جـانـب الـحـوض مـجـلسًـا

عـلـيـه تـكـايَـا مـن حِـجـارٍ مـتـرّف

ونـافـورةٌ فـي مـائـهـا ضـوءُ قـاعِـهـا

يـلـوحُ كـجـوفٍ مـن حـمـامٍ مُـرفـرف

Book11.indd 614 3/8/14 4:03 PM

إذا نـزلـتْ فـي دارةِ المـاء خِلتُـها

مـن الـنـار تطفـو فـوق مـاءٍ وتختفي

☆☆☆☆

أَلَـمْ تعلمي يـا هـنـدُ أنـي أُحـاولُ

لـقـاءَكِ لـكـن لـيس عـنـدي وسـائـلُ

ذكـرتُ ثيابًا خِلْتُها منكِ أُخرِجتْ

خمائلُها أو أخرجَتْكِ الخمائل

وحـوضًـا كـأنّ المـاءَ قـطـنٌ مـلـوّنٌ

يغطّيكِ أو فـي المـاء منك مشاعل

تُضيئينَ وسْـطَ المـاء حتى حَسِبتهُ

بـواطـن مـحَّـارٍ بـهـا الـوردُ نـازل

عـلـيكِ مـن المـاء الـنـمـيرِ لآلـئٌ

ومـن روعـةٍ مـن كـلِّ لـونٍ غلائل

☆☆☆☆

سَلوا ليالي الهوى عن طيفِ ذكراها

هل عادني والنّدامى عن حميّاها

أعْتَاضُ بالطّيفِ عنها لو يعوِّضني

وبالطِّلا عن لماها حين أُسْقَاها

شقراءُ كلُّ نواحيها مُحبّبةٌ

كأنما اللـه سوَّاهَا لأهواها

أشتاقُ للدار والشطآنِ لا عجبٌ

في عاشقٍ يشتهي دارًا وسُكناها

Book11.indd 615 3/8/14 4:03 PM

تلك الدهاليزُ ما أبهى زخارفَها
وللمباخرِ عطرٌ في زواياها
كنا نُثبِّتُ في جدرانها صُوَرًا
كما نُنقِّل أقدامها بمشاها

☆☆☆☆

ألوذُ بالصّمتِ أحيانًا وتغلبُني
صبابتي حين تلقاني وألقاها
حتى العصافيرُ كانت من هوايتِنا
نختارُ أجملَها لونًا وأشجاها
كان الهوى عندما كانت ففرَّقَنا
دهرٌ آمالَ صباباتي وألواها

✱✱✱✱

Book11.indd 616 3/8/14 4:03 PM

صارية

تُـضـيء حـلـيُّـهـا تحـت الـقـنـاعِ
بـهـالاتٍ شـهـيّـاتِ الـشّـعـاعِ
وأحـسَـبُـهـا تـخـلّـتْ عـن ثـيـابٍ
وإن كـانـت بـأرديـةٍ وسَـاع
تُـديـرُ أسـاورًا فـيـدور فـيـهـا
حـديـثٌ لـيـس يُـسـمَـعُ بـالـسّـمـاع

☆☆☆☆

أبـتْ أن يـسـتـقـرَّ لـهـا نـقـابٌ
عـلـى وضـعٍ فـفـيـهـا كـالـنِّـزاعِ
وتـأوي لـلـسـكـونِ إذا أطـلّـتْ
بـقـامـتـهـا كـصـاريـةِ الـشِّـراع

☆☆☆☆

- ١ -

هـو مـازال إذا قـال فـعـلْ
وإذا ضـاقَ بمـثـواهُ رحـلْ
يـحـمـلُ الـعـشـقَ إلـى الأرض الـتـي
كـلُّـهـا عـشـقٌ وحـبٌّ وغَـزَلْ
وصـفـاءٌ رقّ حـتـى انـعـكـسـتْ
حـركـاتُ الـكـون فـيـه فـاشـتـعـلْ

Book11.indd 617 3/8/14 4:03 PM

حـــرســـتْ آيـــاتِـــهـــا أشـــجـــارُهَـــا
وجـــبـــالٌ مـــثـــلَ أضـــــلاعِ جـبـلْ
فـــي ضـــفـــاف كـــلّ يـــوم تـــرتـــدي
مـــن أُنـــــاسٍ حُـــلَـــلاً بـعـد حُـلَـلْ
وبـــيـــوتٍ عـــامـــراتٍ بـــالـــشّـــذا
وأبـــــاريـــــقِ شـــــرابٍ وعـــسـلْ

☆☆☆☆

ورثُـــوا الحُـــسـنَ فـصـــاروا دولـــةً
سـبـقَـتْ فـي حُـسـنـهـا كـــلَّ الـــدولْ
تـلـك مـــن يـصـنـعُـهـا صُـنَّـاعُـهـا
وهـــي مـــن صـنـع الـــسُّـــلالاتِ الأُوَلْ

☆☆☆☆

- ٢ -

نـبـاتُـهـا الجـــــوريُّ والـسـوسـنُ
ومـــاؤهـــا تَـــدْفُـــقُـــهُ الأعـــيُنُ
كـــأنمـــا الجـــبـــالُ فـــي أرضِـــهـــا
قـــصـــورُ جـــنٍّ حـولَـنـا تـسـكـنُ
ولـــم تـــكـــنْ جِـــنَّـــا ولـكـنـهـا
مـثـلُ الـرسـومـاتِ الـتـي تَـرطُـنُ
يَـسـمـعُـهـا الحِـــسُّ فـتـسـمـو بـهِ
حـتـى يـــرى مـــا لا تـــرى الأعـــيُنُ

☆☆☆☆

عـلَّـمـتـنـي عـيـونُـهـا الـــزرقـــاءُ كيف
يـنـمـو الـــهـــوى وكـيـف الـلـقـاءُ

Book11.indd 618 3/8/14 4:03 PM

غَـــزَلٌ فـــي الـعـيـون كـــان فـأمـسـى
عـطـشًـا فـــاض مـــن هـــــواهُ المـــاءُ
وحـبـــاهـــا الـــتـــدفّـــقُ الـــعـــذبُ لما
بـلـــغَ الـــوجـــدُ حـــــدَّهُ والـبـهـــاءُ

☆☆☆☆

روعـــــةُ المـنـهـل الـنَّـمـيـر احـتـوتْـهُ
جـــنَّـــةٌ فـــي ظـــلالِـــهـــا خـــضـــراءُ
وهْـــيَ شـقـــراءُ بـعـضُـهـا مـن حـريـرٍ
مُـــحـــتـــواه ضـــفـــائـــرٌ شـــقـــراءُ
وشـــعـــاعـــاتُ قـــامـــةٍ تـتـجـلّـى
فـــي نـــهـــوضٍ كـــأنـــه اسْـــتِـــرخـــاءُ

☆☆☆☆

مـثـلـمـا يـثـقِـلُ الـعـيـونَ نُـعـاسٌ
مـثـلـمـا يُـتـعـبُ الـطـيـور الـفـضـاءُ
خِـلْـتـهـا تـغـتـلـي إذا احْـتـدمَ العشْـ
ـــقُ فـفـاضـتْ كـمـا يـفـيـضُ الإنـــاءُ
هـيـبـةُ الـصّـمـتِ والجـمـــالِ عليها
وبـأعـمـاقـهـا تُـغَـنِّـي الـدمـاءُ

☆☆☆☆

خِـلـتُ تـلـك الـضـفـائـرَ الـشّـقـرَ شـبّـتْ
فـوقَـهـا مـثـلـمـا يـشـبُّ الـضـيـاء
نَمّـقـتـهـا طـبـائـع الـصـبـغـة الأو
لـى فـفـيـهـا الحـيـــاءُ والـكـبـريـاءُ

Book11.indd 619 3/8/14 4:03 PM

نَـسَّـقَـتْ جـسـمَـهـا ثـيـابٌ قِـصـارٌ
نـصـفُـهـا واضـــحٌ ونـصـفٌ خَـفـاءُ
وكـــأن الـثـيـابَ تَـنْـبـتُ نـبـتًـا
فـوقـهـا فـهـي مـثـلـهـا أعـضـاء
ولـهـا حـالـةُ الـتـدفـق فـيـهـا
وحـــديـــثٌ.. لـكـلِّ ثـــوبٍ أداء

****

Book11.indd 620 3/8/14 4:03 PM

وطن الصمود

كـــويـــتُ يـــا حـــبَّـــنَـــا الـــسـعـيـدُ
يـــا ظـــلُّ يـــا مـــاءُ يـــا ورودُ
يـــحـــرسُـــكِ الـــلـــهُ يـــا بـــلادًا
تُـــرابـــهـــا الـــلـــؤلـــؤُ الـــفـــريـــد
وبـــــارَكَ الـــلـــهُ فـــي رمـــالٍ
تجـــود بـــالـخـيـر مـــا تجـــود

☆☆☆☆

نـــحـــنُ حـــروبٌ عـلـى الأعـــادي
سـلاحُـنـا الـصَّـبـرُ والـصُّـمـودُ
نجـــنـــحُ لـلـسـلْـمِ فـــي ســـلامٍ
ونـــحـــن دون الحِـــمـــى أســـودُ
قـــالـــوا لـنـا جـــابـــرٌ فـقـلـنـا
نِـعْـمَ الـفـتـى الـقـائـدُ الـرَّشـيـدُ
تـــشـــرقُ فـــي وجـــهـــهِ المـعـالـي
ويَـبـسـمُ الـنـصـرُ والـسُّـعـودُ
كـــويـــتُ يـــا حـــبَّـــنَـــا الـــسـعـيـدُ
يـــا ظـــلُّ يـــا مـــاءُ يـــا ورودُ

✱✱✱✱

Book11.indd 621 3/8/14 4:03 PM

«نحن الفداء»

أنـــــا وأنـــــت الأمـــــانُ
لـــهـــا ونـــحـــن الـــضَّـــمـــانُ
قُـــمْ يـــا أخـــي فـــالـــلـــيـــالـــي
دارتْ ودارَ الـــزَّمـــانُ
ولـــن يُـــدافـــعَ عـــنّـــا
إلا دمٌ لا يُـــهـــانُ

☆☆☆☆

فـــي ســـاحـــةٍ يـــتـــجـــلَّـــى
فـــيـــهـــا الإبـــاءُ المـــعـــانُ
بـــحـــيـــثُ تـــعـــلـــو نـــفـــوسٌ
وحـــيـــثُ يـــســـمـــو مـــكـــانُ
نـــحـــن الـــنـــداء لأرضٍ
تـــزهـــو بـــنـــا وتُـــزانُ
أنـــــا وأنـــــت الأمـــــانُ
لـــهـــا ونـــحـــن الـــضَّـــمـــانُ

✱✱✱✱

Book11.indd 622 3/8/14 4:03 PM

الديوان الحادي عشر

كتابات فوق الأبواب القديمة(*)

(*) الديوان مخطوط ينشر لأول مرة، ويشتمل على أربع وعشرين قصيدة بخط يد الشاعر.

Book12.indd 623 3/8/14 4:04 PM

الكتابة الأولى

ولـــمّـا أزاحـــتْ مـن قـنـاعٍ تكشَّـفـتْ
ضـفـائـرُهـا مـثـل الـقـنـاعِ الملـبَّـدِ
وشـــعّ لـهـا ثـــوبٌ كـــأن خـيـوطَـهُ
صـــدورُ حـمـامٍ واقـــفٍ فـــوق معبد
وفـاجـأه عـطـرٌ بـهـا قـد تـصـاعـدتْ
روائـــعُـــه مـــن شـكـلـهـا المـتـوقِّـدِ
فـلـم يـر جـمـرًا يـنـزف الـعـطـرَ قبلها
وعـطـرًا ولـكـن كـاد يُـلـمـس بـاليـد
خـزائـنُ وردٍ جـسـمُـهـا وزخـارفٌ
تجـيـشُ عـلـى شـعـر شـهـي الـتّـمـرُّد
عـجـولٌ إذا مـا الأمـرُ كـان يـهـمُّـها
لـه هـاجـسٌ فـي وجـهـهـا المـتـورِّد
عـبـاءتُـهـا الـسـوداءُ خـيـمـةُ عـاشـقٍ
لـهـا رفـرفـاتُ الحـائـمِ المـتـفـقِّـد
تـلـوذ بـهـا عـن أعـيـن الـنـاس عندما
تجـيء شـمـاعًـا فـي سـوادٍ مُـغـرِّد
إذا مـا نـضـتْ عنها الـعـبـاءةَ أشرقتْ
لـهـا قـامـةٌ مـثـلَ الـشـعـاعِ المـجـرَّد

****

Book12.indd 625 3/8/14 4:04 PM

الكتابة الثانية

لاحـــت إلـــيـــك بـــــوادرٌ بـعـيـونـهـا
مـثـلُ الـثـمـار تـلـوح فـوق غـصـونِـهـا
نـشـرَ الحِـــــراك سـكـونَـهـا فـكـأنـه
سـبـبٌ إلـــى مـكـنـونِـهـا ومـصـونـهـا
ظـلّـــت تمـــارســـه وظـــل كـأنـه
فـــنٌّ يُـضـاف إلـــى بـهـاءِ فـنـونـهـا
راحـــت تُـزيـح ضـفـيـرةً عـن جـانـبٍ
مـن وجـهـهـا المـشـحـون مـن مشحونها
وبـــدتْ لـك الـصُّـورُ الـخـفـيّـةُ مثلما
تـتـكـشَّـفُ الأســـرارُ عـن مـضـمـونـهـا
إن الـومـيـضَ يـلـوحُ عـن أطـرافِـهـا
مـثـل الـومـيـض يـلـوح بـين جـفـونـهـا
وتـلـــوذُ تحـت سـكـونِـهـا ولـطـالـمـا
أبْـصَـرْتَ هـولَ الـعـشـقِ تحت سكونها
تـخـتـارُ ألـــوانَ الـهـوى فَـتُـحـيـلُـهـا
صـوتًـا وشـفَّ الـثـوبُ عـن مكنونها
مـن أبـيـضٍ كـبـيـاضـهـا أو أحـمـرٍ
كـشـفـاهِـهـا أو أزرقٍ كـعـيـونِـهـا
فُـتِـنَ الجـمـالُ بـهـا كـمـا فُـتِـنـتْ به
فـكـأنـهـا مـفـتـونـةٌ بـفـتـونِـهـا

****

Book12.indd 626 3/8/14 4:04 PM

الكتابة الثالثة

ألا مَـن رآهـا عـندمـا أوغـل الـهـوى
بـأعـطـافِـهـا حـتـى اسـتـحـالـتْ مسـاكـبَا
مـسـاكـبَ أنـحـاءٍ تـؤلِّـف بـعـضَـهـا
كـمـا ألّـف الـشَّـعـرُ الـكـثـيـفُ الـذَّوائـبـا
وكـنـت أراهـا دون أن أعـرف الـهـوى
وكـانـت أرتـنـي حـاضـرًا مـنـه غـائـبـا
أفـسِّـرُه فـي أنّـهُ نـزوةٌ بـهـا
تَمُـرُّ ولـعـبٌ. ربمـا كـان لاعـبـا
ولمـا اسـتـقـرّ المـوجُ شـعّـتْ لآلـئٌ
بـقـاعـاتـهِ وانـفـضَّ أزرق ذائـبـا
بـعـيـنـيِ زرقـاويـنِ يـا زرقـةَ الـهـوى
فَـدتـكِ الـبـحـارُ الـسـبـعُ مُـوقًـا وحـاجِـبـا
وأحـلـى الـهـوى مـا يمـلأ الـنـفـس رغـبـةً
تـرى سـبـبًـا أو مـوردًا حـثَّ شـاربـا
فَـيـا كـرمـةً مـا كـنـتُ أقـوى اعـتـلاءَهـا
وكـانـت أفـاءت مـن ظـلالٍ جـوانـبـا
إلـى الآن مـازالـت غـصـونُـكِ غـضّـةً
وظـلُّـكِ ممـدودًا وطـيـرُك غـاضـبـا
لـئـن فـاتـنـي مـن مـحـتـواك عـجـائـبٌ
فـإنـي وجـدت الحـبَّ فـيـك عـجـائـبـا

****

Book12.indd 627 3/8/14 4:04 PM

الكتابة الرابعة

إلى قطر

يـا وردُ يـا عـطـرُ يـا أطـيـارُ يـا شـجـرُ
يـا ظـلُّ يـا مـاءُ يـا خـضـراءُ يـا قَـطَـرُ
مـلامـحٌ لـك لـم يـلـمـسْ روائـعَـهـا
حُـسـنٌ. وتـسـبـحُ فـي آفـاقِـهـا الـفِـكَـر
مَـنِ الـتـي حـدثـتـنـي عـنـك قـائـلـةً
يـكـاد يـخـضـرُّ مـن لـطـفٍ بـك الحجر
وأنَّـك الـزمـنُ المـشْـتَـقُّ مـن زمـنٍ
لـلآن يـنـبُـضُ حـيًّـا وهـو مـنـدثـر
ظـلالـهُ فـي الـضِّـفـافِ الـزرقِ مـاثـلـةً
ولـونـه فـي رمـال الـبـيـدِ مـنـتـشـر
وفـي الـعـيـون الـتـي قـد كـنـتُ أقـرأُهـا
شـعـرًا يـزخـرفـه «زيـدونُ» أو «عـمـر»
وفـي الـوجـوه سـلالاتٌ مـخـبـأةٌ
وفـي الـدمـاء حـنـين الأرض مـنـصـهـر
أضـمُّـهـا وكـأنـي قـد دخـلـتُ بـهـا
مـديـنـةً فـي ضـفـاف الـبـحـرِ تـزدهـر
مَـلّـت مـن الـريـح فـاسـتـلـقـت كـمـتـعـبـةٍ
فـي الجُـرف تـغـسـل رجـلـيـهـا وتـنـتـظـر

****

Book12.indd 628 3/8/14 4:04 PM

الكتابة الخامسة

تـــقـــولُ لـــه وقـــد مـــالـــت عـلـيـهِ
كـمـا مـالـت ظـلـيـلاتُ الـغـصـونِ
وقـــد أخـــذ الـــغـــرامُ بـهـا وأبـقـى
حِـــراكًـــا فـيـه أسـبـابُ الـسـكـون
بمـــا احـــتـــدمـــتْ أيـــادٍ مـــن أيـــادٍ
ومـــا زخـــرت عـيـــونٌ مـــن عـيـون
تـقـول لـــه: انـتـظـرتـك قـبـل شـهـرٍ
وقـــد نـالـت شـكـوكـي مـــن ظـنـونـي
بـــأنـــك ســـوف لا تـــأتـــي. وكـانـت
تجـــــاوزتِ الـــفـــتـــونُ مـــن الـفـتـون
وكـــان الـلـيـل شـــوقًـــا قـرمـزيًّـا
يـفـيـض عـلـى الـمـفـارشِ والـصـحـون
وكـــانـــت مـــهَّـــدتْ دربًـــا إلـيـهـا
خـفـيًّـا عـــن خـفـيّـاتِ الـعـيـون
لـقـد لاحـــت بـأقـصـاه كـومـضٍ
تـطـايـرَ مـــن خـــدودٍ أو جـفـون
وخَـلـخـالٍ كـــأن الـــشـــذر فـيـه
يـؤلـف مـــن مـخـاضـاتِ الـلـحـون

****

Book12.indd 629 3/8/14 4:04 PM

الكتابة السادسة

أتـــت ومـــا ظـنـهـا تـــأتـــي يـرنِّـحُـهـا
شـــوقٌ تجـــاوزَ فـيـهـا كـــلَّ مـحـدودِ
كـأنـهـا خـــرجـــتْ مـــن عـمـق أغـنـيـةٍ
أوْ أنَّـــهـــا دخـلـتْ فـــي مـــاء عـنـقـود
كـــأن أهـــدابَـــهـــا أطـــــرافُ ألـسِـنـةٍ
أو أنـــهـــا سـكـنـتْ أحـــشـــاءَ غِـــرِّيـد
وكـــان يـنـظـرُهـا مـــن حـيـث تـنـظـرُهُ
مـعـمـودةً تـتـقـصَّـى شـــوقَ مـعـمـود
أزاح حـمـــرةَ أصـــبـــاغٍ تـوهُّـجُـهـا
وفـــكَّ مـــا فـــكَّ مـنـهـا كـــلَّ مـعـقـود
وغـــرَّقَ الـعـطـرَ فـيـهـا سـكـبُ مـا نَـضَـحَـتْ
ضـفـائـرٌ ونَـــــزًا مـــن ذلـــك الجِـيـد
والـعـطـرُ صـنـفـانِ مـن مـــاءٍ ومـن عـطـشٍ
مُـفـجِّـرٍ مـن مـيـاهِ الـــورد فـي الـغـيـد
تـمـيـلُ أردافُـــهـــا الـكـسـلَـى كـمـا رزحـتْ
مـجـهـودةٌ قـد حـواهـا شـــوقُ مـجـهـود

****

Book12.indd 630 3/8/14 4:04 PM

الكتابة السابعة

تَـعـلَّـمَ مِـن إشـراقِـهـا كـيـف يشـعـرُ
وكـم صـورةٍ فـي صـورةٍ تـتـكـرَّرُ
وكـيـف الـهـوى يسـمـو إذا اعـتـرضـتْ لـه
حـواجـزُ يَـعـلـو فـوقَـهـا ويـكـسّـر
لـقـد خـاضـهـا حـتـى أحـال سـواقـيًـا
تـغـنِّـي بـهـا بـحـرًا مـن الـلّـون يـزخـر
يـعـوم بـأحـواضٍ مـن الـعـطـر بـعـدَمـا
يـعـوم بـهـا صـدرًا مـن الـوجْـد يـزهـر
ويـدخـل فـي أنـحـائـهـا الـسـمـحـة الـتـي
يـحـاول مـنـهـا شـوقـه حـين يُـبْـجِـر
وقـالـت لـه أهـوى الـقـصـيـدَ فـجـاءهـا
قـصـيـدٌ عـلـى أعـضـائِـهـا يَـتـنَـشَّـر
سـلامٌ عـلـى أنـحـائِـهـا الـبـيـضِ إنـهـا
طـيـوفٌ تـراءت أو خـيـالٌ مـصـوّر
إذا عـطـشـتْ أعـراقُـه نَـقـطَـتْ لـه
شـفـاهٌ لـهـا لـونٌ مـنَ الـعـشـقِ أحـمـر
إذا الـكـأسُ لـم تـأخـذ عـروقًـا تـرادفـتْ
كـؤوسٌ لـهـا أقـمـارُهَـا حـين تـسـهـر
يـلاحـقُ لـيـلٌ شـوقَ لـيـلٍ فـيـلـتـقـي
هـوًى بـهـوًى يـنـمـو ويـسـمـو ويـكـبـر

****

Book12.indd 631 3/8/14 4:04 PM

الكتابة الثامنة

يـظـلُّ شـبَّـاكُـهـا فـي الـلـيـل مـنـتـظـرًا
قـــدومَـــهُ ورتـــاجُ الـــبـــابِ مـفـتـوحُ
أضـــــواؤهُ كـعـيـونِ الـقـطِّ شـاخـصـةٌ
ولـلـســتـــارةِ إيمـــــاءٌ وتـلـويـح
أخـتـاه قـــال سـيـأتـي كـيـف نـسـتـرُه
عـن الـعـيـونِ وشـــأن الحـــبِّ مـفـضـوح
وفـــي إشـــاراتـــه هـمـسٌ وهـــدهـــدةٌ
يـدنـو بـهـا الـقـلـب أو تـهـفـو لـهـا الـروح
مـــازال يـهـمـس فـي أذنِـــي لـيـقـنـعَـنـي
حـتـى قـنـعـتُ وفـــي عـيـنـيـهِ تـلـمـيـح
كـانـت مـهـيـأةَ الألـــــوانِ جـاهـزةً
ولـلـضـفـائـرِ هـــــالاتٌ وتـسـريـح
كـأنـمـا ثـوبُـهـا الـلـيـلـيُّ تجـذبـهُ
أكـتـافُـهـا أو أطـارتـه الـتّـبـاريـح
مـعـطَّـرٌ بـعـطـور الـهـنـدُ تـرجـفـهُ
قـلائـدٌ مـثـلـمـا اهـــتـــزّتْ أراجـيـح

****

Book12.indd 632 3/8/14 4:04 PM

الكتابة التاسعة

أتـذكـرُ ذاتَ الخـــالِ أم لـسـتَ تـذكـرُ
وخـيـمـتَـهـا فـي الـلـيـلِ والـبـدرُ مـقـمـرُ
ومـجـلـسَـهـا فـي ظـلّ أثـــلٍ ومـوقـدًا
تُـضـيـئ بـه أغـصـانُـه حـين تـسـمـر
يُـعـاودهـا طـيـف الـبـوادي كـأنـهـا
قـبـائـلُ عـشـقٍ فـي دمٍ تَـتـكـرَّر
رقـيـقـةُ ألـــوانٍ فـمـنـهـنّ أبـيـضُ
ومـنـهـن ورديٌّ ومـنـهـنّ أحـمـر
ومـنـهـنَّ ذاك الأســودُ الـنـاعـمُ الـذي
لـه زخـمُ الجـــوريِّ بـل هـو أزخـر
كـأن الـدبـابـيـسَ المـشـعَّـةَ فـوقَـهُ
عـيـونُ عـصـافـيـرٍ حـواهُـنَّ بَـيْـدر
يـراقـبُـهـا وجْـدٌ بـعـيـنـيكَ شـاخـصٌ
إذا حـلَّـقَـتْ فـاض الحـريـر المـعـطّـر
تـفـكُّ دبـابـيـسَ الـهـوى عـن ضـفـائـرٍ
فـكـلُّ اتجـــاهٍ مـنـظـرٌ وهـــيَ منظر
تَجـمَّـعَ فـيـهـا الحُـسـنُ حـتـى تَـظـنَّـهـا
مـنـابـعَـهُ الأولـــى الـتـي تـتـفـجَّـر

Book12.indd 633 3/8/14 4:04 PM

كـــأنّ كـتـــابَ الـعـشـقِ فـــي نـظـراتِـهـا
تُـــرتِّـــلُـــهُ أهـــدابُـــهـــا حـــين تـنـظـر
يـــضـــيءُ بـــهـــا عِـــقـــدٌ قـــديمٌ كـــأنّـــهُ
عـلـى صـدرِهـا الـنـشـوانِ يـنـمـو ويـكـبـر

✷✷✷✷

Book12.indd 634 3/8/14 4:04 PM

الكتابة العاشرة

أمِـن بعدما ولى الصِّبا أنت تعشقُ
وتسهرُ شوقًا طالما تتشوَّقُ
ألفتَ الهوى من حيثُ لا يُؤْمَنُ الهوى
وسايرتُه وهوَ الجموحُ المحلِّق
توغلت في آفاقه ولطالما
هبطت كما ينهار صرح ملفق
ومهّدت للوجْدِ المِلِّح وليلِهِ
ضلوعًا إذا حرَّكتْها تتدفَّق
دحتها عيونٌ تحت أجفانِها الهوى
يُغنّي وفي أحداقها الزرقِ يُشرق
وثغرٌ إذا اهتزّتْ زخارفُ لونِه
وفُتّح من إشراقهِ وهوَ مغلق
وفاضت حكاياهُ التي من خلالها
تجيشُ تهاويلُ الرسومِ وتنطق
هنالكَ يبدو ما توارى كأنها
تزجُّ حجابًا ينجلي عنه رونق
وأبرق خلخالٌ لها فتخارستْ
طموحاتُكَ الأولى وما زال يُبْرِق

Book12.indd 635 3/8/14 4:04 PM

لــه دورةٌ فــي ســاقِــهــا قــد تَكــاملــتْ
فــكــلُّ اتجــــــاهٍ روعــــــةٌ وتَــــألُّــــق
كــأنــه ومــيــضُ الــشــذر فــي جنبــاتــهِ
مــنــاقــيــرُ طــيــرٍ فــي غــديــرٍ تُــزقــزق

✷✷✷✷

Book12.indd 636 3/8/14 4:04 PM

الكتابة الحادية عشرة

تُضيئ إذا كلمتُها فكأنها
على وجهها ضوءٌ يُغنِّي ويرسمُ
وماذا سوى ما خبَّأتْهُ ملامحٌ
وماذا سوى وجْدٍ وليس له فم
إذا وقفتْ ما كان حتمًا وقوفُها
وإن سلَّمتْ فالشوقُ فيها المُسلِّم
يغنِّي الهوى في شخصها وعيونِها
له هاتفٌ في شكلِها يتكلَّم
وتغضَبُ حتى خلِتَها تتضرَّمُ
وتُبدي انكماشًا مثل من تتوهّم
تُسَارعُ من حالاتِها واندفاعِها
ونعلم عنها ليتَها هي تعلم
مُهيَّأةً في كلِّ آنٍ كأنها
مع الشمس تأتي أو معَ الليل تُظْلِم
لها خطواتٌ رنّحتْها طراوةً
وفيها غموضٌ وهي عشْقٌ مُجسَّم

****

Book12.indd 637 3/8/14 4:04 PM

الكتابة الثانية عشرة

عـيـونٌ لـهـا زرقٌ كـمـا هـــدأَ الـبـحـرُ
ووجـــهٌ لـه ألـــوانـــهُ الـبـيـضُ والحـمـرُ
إذا ابـتـسـمـتْ والـــوجْـــدُ يـطـفـح فـوقـهـا
وفـاضـت كـنـهـرٍ أو بـهـا مـن هـــوًى نـهـر
شَـــذا عَـطَـشٍ حـتـى اسـتـحـالَ أغـانـيًـا
وغـــــرَّدَ حـــــرفٌ راح يـرسـمُـه ثَـغـر
يُـــؤنـــقُـــهُ لـــــونٌ ويـــفـــرشُـــه هـــوًى
لـــه عَـــبَـــقٌ أو فـيـه مـــن وردةٍ عـطـر
ألا مَـن رآهـا فـي الـضـحـى حـين تبتغي
زيـــــارةَ جـــيـــرانٍ لـهـا أو لـهـا أمـر
مـعـطّـرةً شـــقـــراءً شـرقـيّـةَ الـهـوى
لـهـا مـــرحُ الأنـثـى الـتـي دمُـهـا خـمـر
ســـلامٌ عـلـى لـطـفِ الـحـريـر بشَـعـرِهـا
تـــفـــرَّشَ مـثـل الـــثـــوبِ لـكـنـه شَـعـر
عـلـى خـــــرزٍ قـد ثَـقَّـبـتْـهُ مـهـارةٌ
قـلائـدُ منـهـا الـــزرقُ والحـمـرُ والخـضـر
يـقـول لـهـا والـلـيـل قـــارب نـصـفَـهُ
تجـاوزتِ نصف الليل قـالـت: متى الفجر

Book12.indd 638 3/8/14 4:04 PM

أبــتْ أن تـريـحَ الجـسـمَ فـوق مـفـارشٍ

مـنـمـقـةٍ أو يـسـتـريـحَ لـهـا فِـكـر

يَـشـعُّ بـريـقُ الأعـــينِ الـــزرق عـندمـا

يـجـول بـهـا احـسـاسُـهـا الـغـامـرُ الـثَّـرُّ

مـن الـواضـحـاتِ الـغـامـضـاتِ كـأنـهـا

تـفـيـضُ بِـســرٍّ أو تـقـمَّـصَـهـا سِـرُّ

****

Book12.indd 639 3/8/14 4:04 PM

الكتابة الثالثة عشرة

ومـــن قـــال أن الـــورد يـشـبـه شـعـرهـا
وأســـــــودُه ألـــــوانُ عـــاطـــفـــةٍ تـشـدو
بـــه رائـــعـــاتُ الـــــوردِ عـــطـــرٌ ورقَّـــــةٌ
وهـــيـــهـــاتَ لـــم يمـلـكْ روائـــعَـــه الـــوردُ
لـــه رفـــرفـــاتٌ عَـــذْبـــةٌ فـــوق وجْـــهِـــهـــا
كـــذاك لـــه مـــن فـــوق أكـتـافِـهـا حشد
عـجـبـتُ لـهـا مـــن أســـــودٍ مـتـضـرِّمٍ
بـــه مـــا بـــه مـــن لـــوعـــةٍ وبـــه وَجْـــد
إذا احـتـركَـتْ هـــاجَ الـهـوى بضـفـائرٍ
لـهـا حـركـاتُ الـطـيـر قـلَّـصَـهُ الـبـرد

****

Book12.indd 640 3/8/14 4:04 PM

الكتابة الرابعة عشرة

فُـرشـت مـفـارشُـهـا وشـــبّ بَـخُـورهـا
والـفـتـنـتـانِ عـيـونُـهـا وخُـصـورُهـا
يـــا غـــرفـــةً قـعـد الـــهـــوى بمـقـاعـدٍ
فـيـهـا عـلـيـهـا نجـمُـهـا وبـــدورُهـــا
شـــبَّـــتْ بـهـا أضـــواؤهـــا ولـطـالـمـا
شـبَّـتْ بـهـا أنـفـاسُـهـا وصـــدورُهـــا
جـــاءت بـكـاســاتِ الـنـبـيـذ تُـديـرُهـا
وأنـــا أديـــرُ بـهـا الـــهـــوى وأديـــرُهـــا

****

Book12.indd 641 3/8/14 4:04 PM

الكتابة الخامسة عشرة

لمـــــاذا أنـــــتَ تـنـظـرُهـا كـثـيـرًا
فـــإن غـــابـــتْ فـفـيـك لـهـا حـضـورُ
لـقـد مـــــلأت بـــك الاوقـــــات حـتـى
تـــكـــادُ بـــكـــلِّ جـــارحـــةٍ تـسـيـر
وقـــد أوقـفـتـهـا والـــــدربُ فـيـهـا
عـــيـــونٌ حـــــول مـــوقـفـكـم تـــدور
وفـــاض بـهـا الـهـوى حـتـى تـــراءى
بـعـيـنـيـهـا ورنَّـــحـــهـــا الـفـتـور

☆☆☆☆

مـغـانـي الـهـوى خـضـرٌ وصـفـرٌ شـعـابُـهـا
لـهـا عَـطـفَـاتٌ جـمّـةٌ وصـعـابُـهـا
تـضـيـعُ بـهـا جـــولاتُـــه ثـــم يـهـتـدي
بـأخـرى لـهـا أسـبـابـهـا وعـذابُـهـا

✱✱✱✱

Book12.indd 642 3/8/14 4:04 PM

الكتابة السادسة عشرة

فـــإذا تحـــاولُ هــذي الأعـــينُ الــسودُ
فــفــي تــطــلُّــعِــهــا هــمــسٌ وتــرديــدُ
كـــأن أهــدابَــهــا الــنــشــوى مــعــلّــقــةٌ
بــصــدرِهــا فــهــي تــصــعــيــدٌ وتــنــهــيــد
إذا اســتــدارتْ أدارتْ فــي تَلفُّتِهــا
كــأسًــا وغـــرَّدَ فــي أعــطــافِــهــا عــود
ســرى بــهــا الــوجْــدُ حــتــى كــاد يــوقِــفُــهــا
كــمــا تــــوقَّـــفَ مَــتــعــوبٌ ومــجــهــود
كــأنــهــا والــهــوى الــنــشــوانَ يمنحُــهــا
شــبــهَ انــتــشــاءٍ كــمــا يــرتــاحُ عــنــقــود
تــطــايــرتْ شــعــلٌ مــنــهــا وخــفَّــفَــهــا
تــطــامــنٌ مــثــلــمــا يــنــشَــقُّ جــلــمــود

****

Book12.indd 643 3/8/14 4:04 PM

الكتابة السابعة عشرة

يـــا واسِـــــعَ المـقـلـتـيـنِ يـــا قـمـرُ
قـد انـتـهـى الـســامـرونَ والـسَّـمـرُ
ولـــم يـعـدْ مـنـهـمُ ســوى قـدحٍ
وســـاهـــرٍ هـــــدّهُ بـــك الـسـهـر
ونـفـحـةٍ مـــن عـبـيـرِ مـتّـكَـأً
قـد خـلـفـتـه الـثـيـابُ والـشِّـعـر
كـأنمـا شَـعـرُكِ الحـريـرُ وقـد
تـطـايـرَتْ مـن حـريـرهِ الـصُّـور
مـهـابـطٌ لـلـنـجـومِ فـي بـشـرٍ
يـا نجـمُ بـل يـا حـريـرُ يـا بشر
يـا بـسـمـةً كـالـومـيـضِ يـا شـفـةً
يُـثـقـلُـهـا الـوجْـدُ حـين يَـسْـتـعِـر
ويـا شـعـاعَ الـعـيـونِ يـسـكـبُـهُ
تـــرادفُ الـنّـظـراتِ والـنّـظـر
قـد رقـدَ الـراقـدونَ وانـتـبـهـتْ
هـواجـسٌ واسـتـفـاقَـتِ الـفِـكَـر
وانـتـصـبَ الـشـارعُ الـطـويـلُ كما
تـلـفَّـتَ الـشـوقُ حـين يـنـتـظـر

Book12.indd 644 3/8/14 4:04 PM

يـــا واســـــع المـقـلـتـيـنِ إنّ هـــوًى
يـسـهـر فـــي عـمـقـنـا كـمـا الـشَّـــرر
يـــغـــوص فـــي قـــاعِـــنَـــا فـيـشـعِـلُـهُ
وفـــي مـــعـــانِـــي الـــوجـــوهِ يـنـتـشـر
يـــا واســـــعَ المـقـلـتـيـنِ يـــا عـطـشًـا
تـــكـــاد مـــنـــه المـــيـــاهُ تـنـفـجـر

****

Book12.indd 645 3/8/14 4:04 PM

الكتابة الثامنة عشرة

ضـقـتُ ذَرعًـــا بـهـمْ فـهـل ضـقـتَ ذَرعـا
كـــخـــرافٍ فـــي جـــانـــبِ الـبـيـت تـرعـى
نَـــهَـــبَـــتْ أرضَـــهـــا الـــوحـــوشُ فـصـارت
مـن صـنـوفِ الـوحـوشِ فـكـرًا وطبعـا
يـــفـــقـــدُ الـــشـــيءُ لـــونَـــه وهـــواهُ
عـنـدمـا يـقـبـلُ الـتَّـسـكُّـعَ وضـعـا

****

Book12.indd 646 3/8/14 4:04 PM

الكتابة التاسعة عشرة

نـواحـيـكِ لـم تـبـرحْ عـبـيـرًا وزنـبـقَـا
ومـــازلـــتِ آفـــاقَ الـهـوى حـيـثُ حلَّـقَـا
عـجـبـتُ لأشـجـارٍ عـلـى الـمـلـحِ أزهـــرتْ
وتـــفـــرشُـــهُ ظـــلاًّ وعـــطـــرًا ورونـــقـــا
تجـــاوزَ مـلـحُ الـبـحـر فـيـك مـذاقَـهُ
فـصـار مـسـاغًـا طـعـمُـه حـين يُـسـتَـقَـى
أشـــمُّ ورودًا فـــي صـــخـــورٍ قـديـمـةٍ
وألمـــح تحـت الـرمـل نـــهـــرًا تـدفَّـقـا
أكـــادُ إذا اسـتـنـشـقـت لـونًـا لـزهـرةٍ
أشـــمُّ بـهـا شَـعـرًا وجـسـمًـا وأعْـرُقـا
ســـلامٌ عـلـى الـبـحـريـنِ مـهـا تـعـذرت
عـلـيـنـا وكـــان الـــدّربُ أدنـــى الملتقى
إذا ذكـــروا لـيـل الـمـنـامـةِ شـدَّنـي
خـيـالٌ يـنـاغـي جـرفـهـا والمحـرّقـا
لـيـالـيَ مـا كـانـت شـحـيـحـاتِ أكـؤسٍ
ولا كـــان مـــا نـبـغـيـه صـعـبًـا مُـلـفَّـقـا
ومـــن عـجـبٍ أنـــي تـلـبـثـت والـهـوى
يـهـزُّ فـــؤادًا كـــان مـن قـبـلُ مقلقا

Book12.indd 647 3/8/14 4:04 PM

تَـلـبَّـثْـتُ اسـتـقـيـكِ بـحـرًا وسـاحـلاً

سـقـاهُ الـهـوى مـن فـيـضـهِ فـتـألَّـقـا

وخَـلَّـفـت عـبـر الـبـحـر عـرجـونَ نـخـلـةٍ

عـلـى الـنـهـر مـشـلـول الـمـلامـحِ مُـرهـقـا

يـكـادُ يـخـزُّ الـطـيـرَ حـيـن يـؤمُّـهُ

ويـطـرح فَـلاَّحًـا عـلـيـه تـسـلَّـقـا

هـربْـتُ مـن الأنـهـار لـمـا تـرمَّـدَتْ

وجـئـتـكَ يـا نـخـلًا عـلـى الـمـلـح أورقـا

وكـان عـطـاءُ الـبـحـر مـن قـبـل لـؤلـؤًا

فـصـار عـطـاءُ الـبـحـر سـورًا وخـنـدقـا

يـمـيـل وقـارًا عـن نـواحـيـك، خِـلـتـهُ

يَـجـيـؤُكِ مـشـلـولَ الـريـاحِ مُـطـوَّقـا

كـأنـك فـوق الأرضِ مـن حـيـث كـوَّنَـتْ

تـرابًـا فـكـنـت الـبـحـر لـمـا تـعـتَّـقـا

وكـان لـنـوحٍ حـكـمـةٌ فـي سـفـيـنـهِ

وكـان جـديـرًا أن يـكـون الـمـوفَّـقـا

ومـا أنـت إلا مـن رسـومِ سـفـيـنـةٍ

وإن كـان فـيـكِ الـلـوح تـرابًـا مُـنـسَّـقـا

****

Book12.indd 648 3/8/14 4:04 PM

الكتابة العشرون

أقبلتْ في الضحى تجرُّ خُطاهَا
فسلامٌ لخطوِها وضُحاها
أقبلتْ والحنينُ يهتفُ فيها
كهُتافِ الطيور فوق رُبَاها
بَدَّلتْ روعةُ الهوى مقلتيها
فَهُمَا جنَّتانِ أو مقلتاها
واحتواهُ تلاطمُ الرَّبَدِ الأزْ
رَقِ فيها أو أنه قد حواها
فَاجَأتْهُ بما يحاول منها
وأرتهُ من وجْدها ما أراها
وتراءتْ ملامحُ الشوقِ فيها
كنجومٍ تلوحُ عبر دُجَاها
وأزاحتْ قناعها فتجلَّتْ
آيةٌ من ورائهِ فتلاها
من رأى منكُمُ عبيرًا يغنّي
وغناءً في وردةٍ وشذاها
ورسومًا توالدتْ من رسومٍ
ككؤوسٍ تشفُّ عمّا وراها

****

Book12.indd 649 3/8/14 4:04 PM

الكتابة الواحدة والعشرون

عـلَّـمـتْـهُ عـيـونـهـا الـزرقـاءُ
كـيـف يـنـمـو الـهـوى وكـيـف الـلـقـاءُ
غـزلٌ فـي الـعـيـونِ كـان فـأمـسـى
عـطـشًـا يـنـمـو الـهـوى وكـيـف الـلـقـاء
وحَـبـاهـا الـتـدفّـقُ الـسـمـحُ لـمّـا
بـلـغَ الـوجـدُ حـدَّهُ والـرّواء
رقَّـةُ الجـدولِ الـنّـمـيـرِ تـراءى
خـلـفـه ظـلُّ كـرْمَـةٍ ومـسـاء
تـتـدانـى الـنـجـومُ والـعـنـب الحـلـ
ـوُ عـلـيـهِ والـنـعـمـة الخـضـراء
وهْـي شـقـراءُ بـعـضُـهـا مـن حـريـرٍ
مـحـتـواهُ ضـفـائـرٌ شـقـراء
وشـعـاعـاتُ قـامـةٍ أطْـلَـقَـتْـهـا
فـي نـهـوضٍ كـأنـه اسـتـرخـاء
مـثـلـمـا يـثـقـلُ الـعـيـونَ نـعـاسٌ
مـثـلـمـا يُـتـعـبُ الـطـيـورَ فـضـاء
خِـلـتُـهـا تـغـتـلـي إذا احـتـدم الـوجـ
ـدُ فـفـاضـت كـمـا يـفـيـضُ الـعـطـاء

Book12.indd 650 3/8/14 4:04 PM

تحـــت ألـــوانـــهـــا حـــــراكٌ عـمـيـقٌ

وبـــأَعـــمـــاقِـــهـــا تـــغـــنِّـــي الـــدِّمـــاء

خـلـتُ تـلـك الـضـفـائـرَ الـشّـقـرَ شـبَّـتْ

فـوقـهـا مـثـلـمـا يـشـبُّ الـضِّـيـاء

نَمَّـقـتـهـا أنـامـلُ الـصّـبـغـةِ الأو

لـــى فـفـيـهـا الـبـهـاءُ والإغـــراء

نَـسّـقـتْ جـسـمَـهـا ثـيـابٌ قِـصـارٌ

نـصـفُـهـا واضـــحٌ ونـصـفٌ خَـفـاء

وكـــأن الـثـيـابَ تـنـبـتُ نـبـتًـا

فـوقـهـا فـهـي مـثـلـهـا أعـضـاء

****

Book12.indd 651 3/8/14 4:04 PM

الكتابة الثانية والعشرون

آهِ مـــن عـيـنـيـكِ ذاتِ الـلـهـبِ
ولـــشـــعـــرٍ كـــعـــقـــودِ الـــذَّهـــبِ
ولحـــــــالات قـــمـــيـــصٍ شـهـقـتْ
مـــن أعـــالـــيـــه مـــتـــونُ الـشُّـهـب
ولخـــديـــكِ ومـــا يـــحـــمـــرُّ مـن
أقـــحـــوانٍ فـــي خـــدودِ الـعـنـب
ولـــثـــغـــرٍ كـــاد مـــن روعـــتـــهِ
يـتـهـجـى لـغـةً لـم تُـكْـتـب
وقـــفَ الحُـــســـنُ عـلـى مـنـحـدرٍ
مـــن مـعـانـيـكِ ومـــن مُـنـسـكـب
وعـجـيـبٌ أن نـــرى الـعـشـقَ لـه
رقَّـــــةٌ فـــي شـــعـــركِ الـمـلـتـهـب
وثـــيـــابٌ خِـلـتُـهـا قـــدْ نـسـجـتْ
مـنـه أو مـــن قـاعـكِ الـمـصْـطَـخـب

****

Book12.indd 652 3/8/14 4:04 PM

الكتابة الثالثة والعشرون

يَـقـتـدي بـالـومـيـضِ يـلـوحُ
مـنـكِ والـسـاكـنـاتُ حـين تـبـوحُ
ضـربَـتْ حـولـك الحـصـارَ حـصـونٌ
والـهـوى فـيـك واسـعٌ وفـسـيـح
كـلُّ آنٍ لـهـم جـدارٌ عـلـيـهِ
مـن دم الـعـاشـقـين نـهـرٌ يـسـيـح
أَعْـجَـزَ الـداخـلـيَن فـيـه اجـتـيـازٌ
وعـلـى جـانـبـيـهِ تـنـقـضُّ ريـح

****

Book12.indd 653 3/8/14 4:04 PM

الكتابة الرابعة والعشرون

لـعـمـركَ مـا كـانـت غـرامًـا مُـنَـزَّقَـا
وشـوقًـا أبَـى أن يـسـتـقـرَّ فَـحـلَّـقَـا
ولـكـنـهـا كـانـت هـوًى قـد أحـالـهـا
زخـارفَ ثـغـرٍ كـاد أن يـتـرقْـرقـا
كـأن الـشـقـوقَ الـبـيـضَ فـيـه مـسـالـكٌ
مـشـى الـوجـدُ فـيـهـا أو نـسـيـجٌ تشـقّقَـا
يـلـيـنُ إذا لانـت عـظـامٌ كـأنـهـا
تـلاشـت بـهـا إلا جُـمـانًـا مُـفـتّـقـا
وكـنـت إذا اسـتـبـطـأتـهـا أسـرعَ الـهـوى
إلـيـهـا فـيـلـقـى شـوقـهـا مـنـه أشـوقـا
تـفـكُّ ضـفـيـراتٍ تـكـوَّمْـنَ فـوقـهـا
دوائـرَ فـكّـت شـوقَـهـا فَـتـطـلَّـقـا
لـم أرَ شَـعـرًا قـبـلَـهُ يـنـزف الـهـوى
وثَـغـرًا إذا شـاءت عِـنـاقًـا تـأنَّـقَـا
إذا احـتـدمَـتْ أعـمـاقُـهـا خِـلـتُ أكـؤسًـا
تـفـيـضُ بـهـا أو نـهـرَ عـشـقٍ تـدفَّـقـا
تَـعـتَّـقَ فـيـهـا الـعـشـقُ حـتـى انـتـشـتْ بـهِ
مـجـامـعُـهـا لـو أن عـشـقًـا تـعـتَّـقَـا

Book12.indd 654 3/8/14 4:04 PM

تـــنـــاول أقـــصـــاهـــا وطَـــــرَّز شـكـلـهـا

فـصـيَّـر مـنـهـا رونـــقًـــا ضـــمَّ رونـقـا

ولـــمّـا هـبـطـنـا الـسـهـل سـهَّـلَـهَـا لـنـا

بـــريـــقٌ بـعـيـنـيـهـا نَـــــزَا فَـتـأَلَّـقَـا

تـــزوغُ عـن الـــدرب الـســويِّ وتـنـتـحـي

طـريـقًـا خـفـيِّ الجـانـبـيـنِ مُـلـفَّـقـا

إذا نَـفَـضَـتْ مـن ثـوبـهـا انـتـشـرتْ لـهُ

روائـــحُ مـسـكٍ تـــزرعُ الـرمـلَ زنـبـقـا

****

Book12.indd 655 3/8/14 4:04 PM

الديوان الثاني عشر

قباب الوادي الأخضر(*)

(*) الديوان مخطوط، ويشتمل على إحدى وعشرين قصيدة بخط الشاعر؛ مع ملاحظة أن تسع من هذه القصائد سبق نشرها في مجموع شعري صدر سنة ١٩٩٨م بعد وفاة الشاعر تحت عنوان «خرائط البرق»، وقد صدر هذا الديوان بدعم من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. والقصائد التسع المنشورة هي:

١ - **الحرب وحطام الأشجار، ص ٣١.**
٢ - **الحرب والعواصم، ص ٣٣.**
٣ - **العقرب، وهي منشورة بعنوان «الثياب الأخرى، ص ٣٥.**
٤ - **المهّد، ص ٣٧.**
٥ - **القتاد والقواقع - منشورة بعنوان «الأنهار والمنابع» مع اختلاف في ترتيب أبياتها، ص ٢٢.**
٦ - **الحرب وزرقاء اليمانة، ص ٤٢.**
٧ - **الحالة القديمة، وهي منشورة بعنوان الوسائل الجديد، ص ٤٥.**
٨ - **لبنان وزمان العاشق، ص ٧.**
٩ - **الحجارة الموسومة، ص ٤٦ «مع اختلاف في ترتيب الأبيات».**

Book13.indd 657 3/8/14 4:04 PM

Book13.indd 658 3/8/14 4:04 PM

كنوز الساحل الأزرق

أرى الفرقَ ما بيني وبينكَ شاسعًا
فلا أنتَ من شكلي ولا أنتَ من جنسي
ولا أنتَ ممن هذَّبتْهُ مدينةٌ
تهذّب من أحجارها وهي من كلس
يدبُّ بك الشيطانُ من كل جانبٍ
وترسي بك العاهاتُ من حيث لا ترسي
وقالوا صراعُ الناسِ رهنُ معاشهم
بلى وصراعُ الناس في محتوى النفس
إذا اتّفقَتْ أقواتُنا وثيابُنا
فأنت نقيضي في شعوري وفي حسّي
وماذا بحربٍ يُستعار سلاحُها
لإحراقِ أرضٍ من كنوزٍ ومن قُدس
أتنكرُ نخلاً بَعْثَروه وطشّروا
بلابلَهُ في ساحلٍ كان ذا أُنس
وبحرًا عَبَرناه لبحرٍ كأنه
جُسورُ مياهٍ تقتفي مطلعَ الشمس

****

Book13.indd 659 3/8/14 4:04 PM

الرواسب

صـــاروا لـكـل الـنـاس كـالأضَّـدادِ
وذئـابُـهـم تَـعـوِي وراء الـوادي
الحـامـلـونَ رواســبَ الـزمـنِ الـذي
جـــاؤوا وإيـــاهُ عـلـى مـيـعـاد
والـواقـفـونَ كـأنمـا أصـنـامُـهـم
عـــادتْ بـهـم وزواحـــفَ الأجـــداد
والمـجـهـضـونَ الـوارمـاتُ صـدورُهـم
ممـا يـجـيـشُ بـهـا مـن الأحـقـاد
شـاخـتْ بـهـم أظـفـارُهـم وتـهـرَّأتْ
أنـيـابُـهـم فـهـم فـلـولُ جـراد
زحـفـتْ تـريـدُ الـبـحـرَ وانـكـفـأتْ على
شـطـآنـه الـزرقـاءِ كـالأعـواد
يَـبـسـتْ دمـاؤهُـم عـلـى أجـسـادهـم
فـكـأنـهـم مـاتـوا بـلا أجـسـاد
أَنِـفَـتْ جـيـاعُ الـطـيـر أكـلَ مـواتِـهـمْ
فـتـظـلُّ لـلأحـيـاء بـالمـرصـاد

****

Book13.indd 660 3/8/14 4:04 PM

النخلة المحاربة

مـــــاذا أحـــدِّثـــكُـــمْ عـــن الأشـــــرارِ
والمـــخـــتـــفـــينَ وراء كـــل ســـتـــارِ
صـــــاروا وســـيـــلـــةَ مـــن رآهـــم حـــجّـــةً
لـــلـــغـــزو وانجـــــرفـــــوا مـــع الـــتّـــيـــار
مـــن كـــل مـــهـــتـــرئٍ يـــلـــوذ بمـــثـــلـــهِ
كـــمـــمـــزَّقٍ يـــلـــتَـــفُّ فـــي أطـــمـــار
يـــقـــتـــادهُ زمـــــنٌ تـــعـــفّـــنَ مـــثـــلـــهُ
فـــكـــأنـــه يـــنـــهـــارُ فـــي مُـــنـــهـــار
عـــتـــقـــتْ وســـائـــلُـــه الـــقـــديمـــةُ وانـــتـــهـــى
إلا الـــــــذي مـــــــازال كـــالآثـــار
يـــا بـــئـــس مـــا ورثـــوا ومـــا اعـــتـــنـــقـــوا ومـــا
يـــتـــبـــجَّـــحـــونَ بـــه مـــن الأفـــكـــار
رفـــضـــوا الـــســـلام وعـــاودتـــهـــم نـــوبـــةٌ
لـــلـــنـــار أو ورثـــــوا عـــــذابَ الـــنـــار
جـــلـــبـــوا الـــدّمـــــارَ لأهـــلـــهـــم وديـــارهـــم
وكـــــذا الـــفـــجـــورُ يُـــحـــيـــقُ بـــالـــفـــجَّـــار
يـــا نـــخـــلـــةً فـــي «الـــفـــاو» أحـــنـــى جـــذعـــهـــا
رجـــــمٌ وكـــانـــت حـــلـــوةَ الأثـــمـــار

Book13.indd 661 3/8/14 4:04 PM

مـا كـنـتُ أحـسـب مـذ غـدوتِ مـتـارسًـا
أنَّ الـنـخـيـلَ يـثـور كـالـثـوَّار
ألـيـافـه كـفـتـائـلٍ وعُـذوقُـهُ
كـمـقـابـسٍ والجـذعُ عـودُ شَـرار
يـا غـابـةَ الحـنَّـاءِ تـقـطـف «زيـنـبٌ»
مـنـهـا وفـيـهـا مـنـزلٌ «لِـنـوار»
سـنـرى بـكِ الأعـراسَ ثـانـيـةً وإن
كَـرِه الـغـزاةُ ومـوسـمَ الأشـجـار
فـالأرضُ يـسـألُ بـعـضُـهـا عـن بعضِـهـا
وتحـنُّ أقـطـارٌ إلـى أقـطـار

✱✱✱✱

Book13.indd 662 3/8/14 4:04 PM

النهر والحوت

نـهـرٌ بـبـغـدادَ أهـــواهُ وأعـشـقُـهُ
وصـــرتُ أسـمـعُـهُ يـسـري ويـأتـيـنـي
يـكـاد يـنـشـقّ عـنـه الـبـحـرُ مـن غـضـبٍ
أو فـيـهِ مـا فـيـه مـن بـحـرٍ وتَـكـويـن
نـهـر يـصـارعُ حـتـى جـاء فـاعـترضـتْ
طـريـقَـهُ الـحـوتُ. أو قـد أعـرضـت دونـي

النار والثعبان

مـتـى سـيـعـقـل هـذا المـنـتـمـي أبـدًا
إلـى الحـروب ويـأتـيـهـا كـمـفـتـونِ
عـادوا إلـى الـنـار لـكـن لـم تـكـنْ حـطـبًـا
بـل مـن جـسـومٍ لـهـمْ تُـلـقـى بـآتـون
يـحـرِّضـونَ عـلـى الجـوريِّ قـنـبـلـةً
ويـبـطـشـونَ بـأرضٍ مـن ريـاحـين
ويـخـطـفـونَ عـقـولَ الـنـاس فـي بـدعٍ
كـأنـهـم سـكـنـوا فـي حـلـمٍ مـجـنـون
تـرصَّـدوا جـانـب الآفـاق وانـتـبـذوا
مـن جـانـبِ الأرض بـيـتَ الخـسـف والـهـون

Book13.indd 663 3/8/14 4:04 PM

ثم استعاروا جناحَ النّسْرِ – لو ملكوا

دمَ النسورِ – وطاروا كالشواهين

☆☆☆☆

متى ستصحو جبالٌ في سواحلِها

ورملةٌ تتلظّى كالبراكينِ

كأنها شعلةٌ في كفٍّ قابسِها

أو أنها جسدٌ ينزُو بماعون

يمارسُ الشكَّ ذو فكرٍ بمسألةٍ

حتى يدلّ عليها بالبراهين

وكنتُ أخبرتهم عنهم فما سمعوا

حتى رأوْهُمْ عِيانًا كالشياطين

لم تُبقِ نيرانُهم منهم سوى طبقٍ

من الرّمادِ وإلا نفخَ ملعون

يظلُّ ينفخُ فيها وهيَ خامدةٌ

على مواقدِها نفخَ الثعابين

✱✱✱✱

Book13.indd 664 3/8/14 4:04 PM

رسومات الوتر الواحد

لـعـمـرُكَ مـازالـت تـعـانـي وتـكـتـمُ
وتُـبـدي انـعـطـافًـا وهـي شـوقٌ مُـيـمَّـمُ
وقـد سـكـنـتْ رمـلاً ومـلـحًـا فـأمـطـرتْ
روامـضُـهـا أو روّضَ الـريـحَ مُـلـهـمُ
كـأن بـهـا جِـنًّـا قـديمًـا وطـالمـا
تَـضـمّـنـتِ الأشـيـاءُ مـا لـيس نـفـهم
لـهـا هـاجـسٌ لا يُـخـطـئُ الـظـنَّ بـالـذي
سـيـأتـي وتُـرخـي حـبـلَـهـا وهـو مُـبْـرَم
أرى عـازفًـا مـن أمـسـهـا ورابـةً
لـهـا وتـرٌ فـردٌ يـغـنـي ويـرسـم
ولـوحُ تمـطّـاه مـن الجـلـد يـابـسٌ
فـأمسـى كـمـا تـنـدسُّ فـي الـلـوح أَعْـظُـم
كـأنـي أراهـا تـشـعـلُ الـنـارَ مثلما
تـراءت لمـوسـى الـنـارُ والـلـيـلُ مظلم
هـي الـنـارُ مـازالـت جـنـوبًـا كـأنـهـا
أُعـدّتْ لـهـم أو أنّ أرضًـا جـهـنّـم
بمـخـزونـةِ الآفـاقِ مـن كـلّ راجـمٍ
يـظـلُّ يـغـنّـي شـوقـه وهـوَ يـرجـم

☆☆☆☆

Book13.indd 665 3/8/14 4:04 PM

ألـــم تـــرَ أنّـــا قـــد بُـلـيـنـا بِـعُـصْـبـةٍ

نـــحـــاول دفـــع الـــشـــرِّ عـنـهـا وتـــأفـكُ

وأخـــــرى بـــأُخـــرى أدرجـــــت فـكـأنـهـا

لـــســـانٌ لـهـا فـــي جـسـمـهـا يَـتـحـرّك

وأُخـــــرى تـــدانـي فـكـرهـا فـهـي لا تـرى

ســـوى ظـاهـرٍ يـقـتـادُهـا وهـــوَ يضـحـك

وأخـــرى عَـلَـتْـهَـا الـراسـبـاتُ فـلـم يـعـدْ

لـــهـــا ســـبـــبٌ أو أنـــهـــا تـتـفـكَّـك

فـيـا لـــك مـــن شـــرٍّ تـــلاقـــى بـبـعـضـهِ

يـــؤلـــفـــه عـــصـــرٌ بـــــدا يَـتـصـعْـلَـك

ســـلامٌ عـلـى الـصـحـراء كـيـف تـثـقـفـتْ

حـجـارتُـهـا والـــــوردُ بـــالـــورد تـفـتـك

****

Book13.indd 666 3/8/14 4:04 PM

الهاربون

لـقـد صـــار لا يـعـنـيـكَ أمـــرٌ لـنـخـلـةٍ
عـلـى الجـــرف فـيـهـا هـيـبـةٌ وجـلالُـهـا
وقـــد صـــار لا يـعـنـيك شـــأنٌ لِـكَـرْمَـةٍ
سَـقَـتْـكَ نـبـيـذًا أو حـوتْـكَ ظـلالُـهـا
كـــأن ظـهـيـراتِ الـصّـحـارى جـمـيـعَـهـا
بـقـلـبِـكَ واسـتـلـقـتْ عـلـيـك رمـالُـهـا
كـــأنـك مـنـهـا صـخـرهـا وقـتـادهـا
ومـــا فـيـكَ مـنـهـا أُفـقُـهـا وجـبـالُـهـا

****

Book13.indd 667 3/8/14 4:04 PM

هتاف النخلة

يـا نـخـلـةً مـن وراء الـرمـلِ تـدعـونـي
مـن قـلـعـةِ الـصّـيـد والـغُـرِّ والمـيـامـينِ
سـمـعًـا وطـاعـةَ مـشـتـاقٍ يـؤرقُـهُ
شـوقٌ إلـى الـظـلِّ فـي تـلـك الـبسـاتـين
فـأنـتِ سـيـدةُ الأشـجـار قـاطـبـةً
وإن بـرزتِ بِـشـمـروخٍ وعُـرجـون
كـأنمـا الـسّـعـفُ الـنّـشـوانُ مـروحـةٌ
تمـتـدُّ مـن بـاسـقٍ بـالمـسـكِ مـدهـون
قـالـوا مـصـيـفـك حَـرٌّ قـلـت تُـنـعـشُـهُ
خـلائـقٌ مـثـلُ أنـفـاسِ الـرّيـاحـين
لـلـبـاسـقـينَ كـأن الأرض تـرفـعُـهُـمْ
عـلـى مـنـاكـبِـهـا شُـمَّ الـعَـرانـين
والـوارفـينَ إذا مـا الـظـلّ قـلّـصـهُ
حَـرٌّ الـسـمـوم بـظـلٍّ غـيـرِ ممـنـون

****

Book13.indd 668 3/8/14 4:04 PM

وحي الظل

يـا نـخـلـةً فـي الجـــرف أوحـــى ظلُّـها
لـلـرمـل والأحـــجـــارِ كـيـف تـضـوعُ
سـبـقـتْ أضـالـعُـنـا إلـيـكِ عـيـونَـنـا
ولـقـد تـطـيـر مـن الـغـرام ضـلـوع
كـــادت تُـضـيء بـهـا حـجـارُ قـبـابـهـا
تـلـك الـبـيـوت كـمـا تُـضـيء شـمـوع
تـــأوي طـيـورُ الـبـرِّ عـنـد ظـلالـهـا
ولـهـا مـصـيـفٌ رائـــقٌ وربـيـع

****

Book13.indd 669 3/8/14 4:04 PM

الأعداء الجدد

حـاولـتَ قـبـلَ فـــواتِ الـوقـتِ أن تجـدا
مـن يسـمـع الـقـول لـكـن لـم تجـدْ أحـدا
والـقـولُ كـالـنَّبت إن مـــرّتْ مـواسـمُـهُ
لـم يـنـتـفـعْ زارعٌ مـنـه وإن جَـهَـدا
راحـت «أمـيـمـةُ» تبـغـي مَـن يُـسـانـدُهـا
ممّـــن تـــراه إلـــى أعـــدائـــهـــا سـنـدا
فـفـاجـؤوهـا بمـن كـانـت تـظـنّ بـهـم
نـصـرٌ لـهـا فـــرأت أعـــداءَهـــا الجُـــددا
وأفـحـمـوهـا بـــأحـــداثٍ مـبـاغـتـةٍ
ومـــا تـلـبّـدَ فـي سـاحـاتـهـا أمـــدا
كـانـوا يُـــوارونَ مـكـرًا تحـت أغـطـيـةٍ
تمـــزّقَـــتْ وعـــــداءً خـافـيًـا فـبـدا
كـأنـهـم وشـــرورُ الأرضِ تـسـكـنُـهـم
جـسـمٌ بـه كـلُّ عـضـوٍ سـاكـنٌ بـلـدا
وحـاصـــروا كـل مـصـبـاحٍ بـزاويـةٍ
يـكـاد يـخـرقُـهـا خـرقًـا إذا اتّـقـدا

****

Book13.indd 670 3/8/14 4:04 PM

الصراع المختفي

هـــاهُـــمْ يـشـنّـونَ الحـــــروبَ عـلـيـكـمُ
ولـــهـــمْ حـــــروبٌ قـبـلَـهـا وحـــــروبُ
مـنـهـا الـتـــي تـبـدو لـهـا آثـارهـا
مـلـمـوسـةً والأعـــظـــمُ المحـجـوب
ومُـــــدَثَّـــــرُ بـــنـــوازعٍ مـشـبـوهـةٍ
مـــا فـيـه مـــن أسـلـوبـكـمْ أُسـلـوب
والـنـافـخـونَ بـطـونَـهـمْ وظـهـورُهـم
مـــوطـــوءةٌ وكـيـانُـــهـــمْ مـنـهـوب
مـهـمـا تـراكـمـتِ الـنـقـائـضُ واخـتـفـتْ
بـخـلـيـطِـهـا فَـصـراعُـهـا مـكـتـوب

****

Book13.indd 671 3/8/14 4:04 PM

الخارطة

محاصرٌ أنتَ في شتى حواجزِهمْ
فكيف تفلتُ منهم كيف تَنْطَلِقُ
ولا يزال حصارُ الناسِ يضربُهُ
بعضٌ على البعضِ مُذْ صاروا وما اتَّفقوا
إذا أطاحوا بجدرانٍ تقوم لهم
أخرى يُنسِّقُها بانٍ لها لَبِق
ويأخذ الشرُّ أشكالاً وأخبثُها
من يحرقُ الناسَ مسحوراً ويَحترِق
إنّ الجسومَ رسوماتٌ تناقضُها
بَواطِنٌ والقليلُ النّزرُ مُتَّفق
يأوونَ تحت شعاراتٍ ملفَّقةٍ
ويَدَّعُونَ أصالاتٍ وما صدقوا
والنهرُ يصنع مجراهُ ورُبَّتما
تصفو المياهُ ولكن تخبثُ الطرق
لو يشربونَ مياهَ البحرِ ما شَرَقُوا
أو يعلكونَ صخورَ الشوكِ ما زَهَقُوا
وواقفونَ على اللاشيء تدخلهم
شتى الجهاتِ فضاعوا بعدما سُحِقوا

Book13.indd 672 3/8/14 4:04 PM

بـعـضٌ تـهـاوى وبـعـضٌ قـائـمٌ وبـهِ
شـبـه انـهـيـارٍ وبـعـضٌ كـاد يـنـزلـقُ
صـاروا جُـسُـورًا لـمـن يـأتـي وبـعـضُـهُـمُ
مـرابِـئٌ لـلـغـزاةِ الأرضِ أو طُـرُقُ
تـقـاسـمـوا الأرضَ فـاهـتـزّت فـرائـضُـهـا
مـن تحـتـهـم فـهـمُ مـن فـوقـهـا مِـزَقُ
تـكـاد تُـومـضُ فـي «الآفـاق» خـارطـةٌ
خـطـوطُـهـا مـن عـروق الـشّـرقِ تـنـبـثـقُ

✱✱✱✱

Book13.indd 673 3/8/14 4:04 PM

Book13.indd 674 3/8/14 4:04 PM

ملحق

(قصائد نشرت في الصحف
ولم تنشر في الدواوين السابقة)

Book14.indd 675 3/8/14 4:04 PM

Book14.indd 676 3/8/14 4:04 PM

لا تقولي[1]

لا تـــقـــولـــي أيـــــن فـــجـــري
ضـــــاع فـــي عـــيـــنـــيـــك فـــجـــري
وتـــنـــاهـــى بـــــهـــــواكِ الـــ
ـــعـــمـــرُ يـــا لـــــــذّةَ عـــمـــري
يـــــا نـــــــــداءاتِ جـــراحـــي
وابـــــتـــــهـــالاتـــي وشـــعـــري
وحـــنـــيـــنـــي عـــنـــدمـــا تـــعـــ
ـــصـــفُ أشـــــواقـــي بـــصـــدري
مـــــــلأت عـــيـــنـــاكِ أيّـــــا
مِـــــي وأحـــــلامـــــي وفـــكـــري
أنـــــتِ فـــي لـــيـــلـــي شـــمـــوعٌ
عـــنـــدمـــا يـــغـــرب بـــــدري
وبـــأعـــمـــاقـــي حـــنـــينٌ
مـــن سَـــنـــا عـــيـــنـــيـــكِ يـــســـري
لا تـــقـــولـــي أيـــــن فـــجـــري
ضـــــاع فـــي عـــيـــنـــيـــك فـــجـــري

****

(١)نشرت في مجلة الكويت، العدد (٥٠)، ١/ نوفمبر ١٩٦٤م..

Book14.indd 677 3/8/14 4:04 PM

ما تشائين فافعلي

مـــا تَـــشـــائـــينَ فـافـعـلـي
حـاكِـمـي الـقـلـبَ واعْـدِلـي
أمـلـكـيـه بـنـظـرةٍ
وعـلـى عـرشِـه اعْـتَـلـي
عـاشـقٌ شـفَّـهَ الـهـوى
مُـدْنِـفٌ فـيـكِ مُـبـتـلـي
لـسـتُ أدري حـبـيـبـتـي
هـل تُـريـديـنَ مـقـتـلـي
دونَـكِ الـعـمـرُ كـلُّـهُ
أيُّ عـمـرٍ يـلـذُّ لـي
أنَـا مَـن عـاش لـلـهـوى
إنْ تجـاهـلـتِ فـاسـألـي
اسـألـي عـنِّـيَ الـدُّجـى
تَـعـلـمـي كـيـف يـنـجـلـي
مـا تـشـائـينَ فـافْـعـلـي
حـاكـمـي الـقـلـبَ واعْـدِلـي

✱✱✱✱

Book14.indd 678 3/8/14 4:04 PM

لبنان والأزمان المنتهية[1]

حَدِّثينا عن غصون البرتقالِ
وعن الوردِ وأفياءِ الدَّوالي
وعن الليل وأقمار الهوى
والنهاراتِ الفسيحاتِ الظِّلالِ
والسَّواقي حين تزو فرحًا
من عيون مشرقاتٍ في جبالِ
وسفوحٍ كظهورٍ سجدت
خاشعاتٍ في محاريبِ الجمالِ
ينبتُ الزهرُ بألواح بَوالي
والضحى يغفو ويصحو في الليالي
كيف حالُ الجبلِ الزاخرِ في
شبه سوقين خلايا وسلالِ
والشبابيكُ على تلك الربى
والعصافير وألوان التلال
يتبارى الصخرُ في إشراقهِ
وتخطّى كونه فهو لآلي

(١) نشرت في جريدة الهدف ٢٢/مارس/١٩٧٩.

Book14.indd 679 3/8/14 4:04 PM

كـــادت الافـــــاقُ شـــوقًـــا تـنـحـنـي

لـــسـفـــوحٍ حـمـلـتْ شـــوقَ الأعـــالـــي

فـــأجـــابـــت: مـــا رأيـــنـــا مـــا تـــرى

ربمـــــا كـــــان بـــــأيـــــامٍ خـــوالـــي

****

Book14.indd 680 3/8/14 4:04 PM

قف بالمناخ[1]

مـــن هـــا هـــنـــا بـــاب الـــكـــريمْ
مِـــن هـــا هـــنـــا بـــابُ الـنّـعـيـمْ
قـــف بـــالمـــنـــاخِ هـــنـــاك عـنـ
ـــد مـــداخـــلِ الـــسّـــوقِ الـقـديم
تجـــدِ الـبـقـايـا مِـــنْ مـلـبْـ
ـــبَـــدةٍ عـطـايـاهُـمَ كَـتُـوم
يَـتـدفَّـقـونَ كـأنـهـمْ كـنـزٌ
يـفـيـضُ عـلـى الـعَـديم
ويُـعـاودُونَ جـلالـة الـ
إشـــراقِ فـي الـزّمـنِ البَـهـيـم
وكـــأنَّـــهُـــمْ مـــاءُ الـسـمـا
ءِ يـسـيـحُ فـي عَـطْـشـى الـرَّمـيـم
يَـتـحـرَّكـونَ بـكـلِّ شَـيْـ
ـــيءٍ يَـنْـبـضُـونَ عـلـى الـنُّـجـوم
ولـهـم بـخُـورٌ فـي مـجـا
لـسِـهـمْ وعِـلْـمٌ مـن عـلـيم
وكـأنـهـم صـنـعـوا ربـيـ
ـــعًـا لـيـس يـنـبـتُ بـالـغـيـوم
يـا حـبَّـذا تـلـك الـوجـو
هُ وذِكـرُهـا عـنـد الـنَّـديم

(١) نشرت في صحيفة الأنباء الكويتية، بتاريخ ١٣ إبريل ١٩٨١، العدد ٢٢٦٣ الصفحة ١٧.

Book14.indd 681 3/8/14 4:04 PM

الـــهـــادئـــونَ وفـــيـــهـــمُ الـــ
ـــحـــركـــاتُ خـــافـــيـــةُ الـــرُّســـوم
والـــغـــافِـــلُـــونَ وفـــيـــهـــمُ
فِـــكْـــرٌ تـــغـــلـــغـــلَ فـــي الـــصَّـــمـــيـــم
لا يـــنـــظـــرونَ إلـــى الـــصـــغـــيـــ
ـــر ويـــطـــمـــحـــونَ إلـــى الـــعـــظـــيـــم
وَيـــقْـــصِّـــرونَ مـــن الـــحـــديـــ
ـــث وعـــنـــدهُـــمْ شـــتّـــى الـــفُـــهـــوم
مُـــتـــواضِـــعـــونَ ومُـــلْـــكُـــهـــمْ
عَـــــالٍ وحـــمَّـــالـــو هُـــمـــوم
فـــكـــأنـــهـــم صـــنـــعُـــوا مـــن الـــ
ـــرَيْـــحـــانِ أو مـــاءِ الـــكُـــروم
فـــاضُـــوا عـــلـــى الـــدنـــيـــا كـــمـــا
فـــاضَ الـــنـــعـــيـــمُ عـــلـــى الجـــحـــيـــم
قـــد ثـــقَّـــفـــوا ريـــحَ الـــبـــحـــا
رِ وروَّضُـــــوا حَـــرَّ الـــسَّـــمُـــوم
قـــف بـــالـــمـــنـــاخِ فـــإنـــه
مـــأوى لـــبَـــحَّـــارٍ حَـــكـــيـــم
قـــد كـــان يـــبـــحـــثُ عـــن مـــحـــا
رِ الـــبـــحْـــرِ فـــي خَـــطَـــفـــاتِ «بُـــوم»
وســـفـــائـــنٌ ألـــواحُـــهـــا
مـــحـــبـــوكـــةٌ حَـــبْـــكَ الجُـــسُـــوم
يَـــبْـــرُقْـــنَ بـــين المـــاء والـــ
آفـــــاقِ كـــالحـــيِّ المـــقـــيـــم

****

Book14.indd 682 3/8/14 4:04 PM

في مدائن عمر بن الفارض[1]
(تقول عيونها)

تـــقـــولُ عـيـونـهـا مـــا لا تـقـولُ
وأســـمَـــعُ صـمـتَـهـا لـــمّـا يـطـولُ
تـقـول عـيـونُـهـا مـن غـيـر قـولٍ
وفـــي حـركـاتِـهـا قـــالٌ وقـيـل
إذا خـفـتَ الـكـلامُ بـهـا اسْـتَـحـالـتْ
رسـومًـا فـي نـواحـيـهـا تجـول
رسـومٌ مـثـلـمـا اقـتـربـتْ سـمـاءٌ
تـريـنـي الأرضَ مـن تحـتـي تميل
إذا سـكـتـتْ تـرنّـمـتِ الخـفـايـا
وتـهـدأُ والـهـوى فـيـهـا عَـجـول
لـهـا صـوتـانِ مـن شـفـةٍ وجـسـمٍ
كـأن دمـاءَهُ الـنـشـوى هـديـل
ولـيـس لـكـلِّ حـاجـاتٍ كـلامُ
يـفـسـرُهـا إذا اتـضـح الـدلـيـل
كـأن بـريـقَ عـيـنـيـهـا حـديـثٌ
فـفـي نـظـراتـهـا قـولٌ جـمـيـل
ويـأتـي صـوتُـهـا فـكـأنَّ نـهـرًا
يُـرنِّـهـمـا ويـسـمـعـهـا الـغـلـيـل

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٢/٧/٤.

Book14.indd 683 3/8/14 4:04 PM

يُـرنِّـحُـنـي هـديـلٌ مـن حـراكٍ
تَـولاّهـا كـمـا اهـتـزَّ الأصـيـلُ
فـيـأرجُ عـنـبـرٌ ويـفـوحُ مـسـكٌ
وريـحـانٌ ويـدفـقُ زنجـبـيـل
تَجـمَّـعَ كـلُّ عـطـرٍ فـي شـذاهـا
ولـيـس لـعـطـرهـا أبـدًا مَـثـيـل
يمـيـلُ لـهـا الـهـوى مـن حـيـث مـالـتْ
وتـقـفـوهـا الـنـوازعُ والمـيـول
إذا سـمـعـتْ حـديـثَ الـعـشـقِ أصـغـتْ
ومـالَ بـهـا نـعـاسٌ أو خُـمـول
وتَـعـجَـبُ مـن ذهـولـي وهْـوَ مـنـهـا
كـذاك بـهـا لحـالاتـي ذُهـول
تجـاوز عـشـقـهـا الإحـسـاسَ حـتـى
لـتـعـجـزَ أن تـواريـهـا الـسُّـدول
وتـتـركُ ظـلَّـهـا فـي كـل شـيءٍ
رأيـنـاهُ وطـيـفًـا لا يـزول
وإن فَـكَّـرتُ فـيـهـا خِـلـت أنـي
أراهـا أو تـراءى المـسـتـحـيـل
لـهـا أبـدًا حـضـورٌ حـيـن تـنـأى
وتـأتـي مـثـلـمـا نـضـجـتْ حـقـول

****

Book14.indd 684 3/8/14 4:04 PM

في مدائن عمر بن الفارض[1]
(كأن وجوههم)

كـــأنَّ وجـــوهَـــهُـــمْ بُـقْـيَـا طـلـولٍ
فـــديمـــاتٌ تـــسـلّـــلُ فـــي المـــاَقِ
وقـــد سـلـكـوا دروبًـــا كـالحـاتٍ
تـــعـــوقُ المـاكـثـيـنَ عـــن الـلِّـحـاقِ
ومـــا اخـتـلـفـوا ولـكـن صـنَّـفَـتْـهُـمْ
خـــلائـــقُـــهُـــمْ وحـــالاتُ بـــواقِ

☆☆☆☆

وقـــد تجـــفُّ قـلـوبٌ فـي أضـالـعِـهـا
كـمـا تجـــفُّ بـأغـصـانٍ عـنـاقـيـدُ
وقـــد يُـحـاصَـرُ نـهـرٌ فـي سـواحـلـهِ
ويـــنـــزوي فـســواقـيـهِ أخـاديـدُ
والأرضُ كـالـنـاسِ بـعـضُ رحـمـةٍ فُتحتْ
وبـعـضُـهـم يـابـسُ الأنـحـاءِ مـسـدودُ
أنـهـارُكَ الـــزّرقُ مـا رَوَّتْ مُـحُـولَـتَـهـم
يـا أرض فـانـبـثـقـت أنـهـارك الـسـود

☆☆☆☆

(١)نشرت في صحيفة الأنباء، ١٠/١٠/١٩٨٢.

Book14.indd 685 3/8/14 4:04 PM

تـكـادُ بـه الأعـضـاءُ تـرفـضُ بعضَـها
ويـنـفـرُ مـنـه صـلـبُـهُ حـيـنَ ينسبُ
عـجـبـتُ لـه كـيـف اسـتـقـامَ وبـعـضُـهُ
يـنـاقـضُ بـعـضًـا مثلما أعـوجُ أحـدبُ
لـقـد دبَّ فـي أعـراقـهِ الـوَهْـنُ مثلما
تجـاوزَ أقـصـى الـعـمـرِ كـهـفٌ وغـيـهـبُ
أراد قـيـامًـا فـانـحـنَـى فـيـه كـاهـلٌ
وظـهـرٌ أبَـى أن يـسـتـقـيـمَ ومـنـكـبُ

✱✱✱✱

Book14.indd 686 3/8/14 4:04 PM

من خرائط البرق[1]

يـــا صـــامـــتًـــا وحـــنـــايـــاهُ مـــلـــبَّـــدةٌ
كـأنـهـا لـم تجـدْ فـي حـجـمِـهـا زَخَـمـا
طـــوبـــاكَ أنَّـــكَ أجـــــراسٌ مـعـلّـقـةٌ
أمـــام عـاصـفـةٍ إن لـم تـكـنْ قِـمَـمـا
تـكـادُ تـقـدحُ فـيـكَ الخـافـيـاتُ كما
لـو كـنـتَ تـخـتـزنُ الـنـيـرانَ والحِـممـا
مـا أعـظـمَ الـغـضـبَ المـكـبـوتَ مُـتَّـقِـدا
والـفـكـرَ ملـتـزمًـا والـصَّـمـتَ مُـحـتدمـا
كـــأنمـــا أنـــت آفـــــاقٌ لخـــارطـــةٍ
تـظـلُّ تـزحـفُ زحـفًـا يـشـبـه الحُـلُـمـا
تـطـيـحُ بـالـشـجـر الـــذاوي الـــذي عتقتْ
جـــــذورُهُ. وتـــهـــزُّ الـلـيـلَ والـظُّـلُـمـا
الخـــاويـــاتُ إذا اسـتـنـطـقـتَ صامتَـها
والـنـافـخـاتُ بـطـونًـا تـشـبـه الـورمـا

☆☆☆☆

إلـــى الآن لـم تـبـرحْ مـضـيـئي المـلامـحِ
ومـــازالـــتْ زخـــارًا بـشـتّـى الـصَّـــوارحِ
تـداخـلـكَ الانـســان مـن حـيـث ينتمي
لخـــارطـــةٍ فـيـه ولـــــوح لـــوائـــحِ

(١)نشرت في جريدة الأنباء، ١٩٨٣/٢/٢٠.

Book14.indd 687 3/8/14 4:04 PM

تـطـايـرَ مـن صـــدرٍ كـــأنَّ عـظـامَـهُ
شـمـوعٌ تـدلّـت مـن دمٍ وجـــوارحِ
وحـــاولـــتَ ألا تـقـتـدي بـدوافـعٍ
[..... ....][1]
وأن تـهـتـدي كـالآخـريـنَ بـعـتـمـةٍ
لـهـم نـحـتـهـا بـطـشَ الـطـيـورِ الجـوارحِ
ولـم يـنـظـروا مـا يـخـتـبـي تـحـت صـامـتٍ
ومـا يـغـتـلـي تـحـت الـسـكـونِ المـراوحِ
وهـيـهـات لا تـقـوى اقـتـداء بـآخـرٍ
ســواكَ لـه شـتـى الـوجـوهِ الـكـوالـحِ
يـشـمُّ هـــواهُ مـن أنَـــوفٍ مـعـارةٍ
ويـلـبـث فـيـهـم دهـــرَه لـم يـبـارحِ
مـلامـحـهُ مـشـتـقَّـةٌ مـن حـجـارةٍ
وفـيـه انـهـيـارٌ وهـوَ فـي زيٍّ جـامـحِ
مـكـثـت وإيـاهـم هـــوًى يـنـكـرونَـهُ
كـأنـك مـــأوى عـالـمٍ غـيـرِ واضـــحِ
فـيـا هـائـمًـا لـم يـلـقَ فـي الأرض وجـهـةً
سـوى حـزنـهِ يـا حـاضـرًا شـبْـهَ نـازحِ
لـئـن أجـهـضـوا أيـامَـك الـبـكـرَ، أنـهـمْ
لـمـن قـبـلـهـا كـانـوا قـرونًـا لِـنـاطـحِ
ولـــولاهُـــمُ لـم يـفـقـدِ الأرزُ شـكـلَـهُ
ولا سـقـطـتْ أوراقُـــه كـالـشّـرائـحِ

(١) عجز البيت مطموس من الأصل، ولم نستطع الحصول على نسخة أخرى من الجريدة.

Book14.indd 688 3/8/14 4:04 PM

وقـــد عـبـسـت أغـــصـــانُـــهُ فـكـأنـهـا

رقـــابٌ عـلـيـهـا مـــن حـديـدِ الـصّـفـائـحِ

ولـــولاهـــمُ لـــم يـحـتـرقْ جـــذعُ نـخـلـةٍ

لـهـا سُـــعُـــفٌ قـد كـــان مـثـل المـــراوحِ

كـــأن جـــذوعَ الـنـخـل حـــين تـشـقَّـقـتْ

خِـــفَـــافَ جـمـــالٍ أو ظـهـورِ تماسـحِ

****

Book14.indd 689 3/8/14 4:04 PM

في مدائن عمر بن الفارض[1]
(عجبت لها)

- ١ -

عـجـبـتُ لـهـا مـن رمـلـةٍ وهـي سُـكَّـرُ
وبـحـرٌ تـصـبُّ الأرضُ فـيـه وتـزخـرُ

☆☆☆☆

كـمـن أخـذتْ عـنـه اهـتـزازاتِ مـوجـهِ
وحـالاتـهِ مـن حـيـثُ يـعـطـي ويُـكْـثِـر

☆☆☆☆

لـئـن حـاصـروهـا بـالحـديـد فـإنـه
لـمـن بـعـضِ مـا فـيـهـا الـذي هـو أكـبـر

☆☆☆☆

وقـاك الـهـوى إنّ الـهـوى يـضـعـفُ الـهـوى
عـلـى الجـهـل. بـئـس الـعـاشـقُ المـتـهـوِّر

- ٢ -

لـك الـلـه مـن أشـراقـة فـي الـغـيـاهـبِ
وبـحـرٌ عـلـيـه مـن هـواهـا المحـاربِ

☆☆☆☆

(١) نشرت في صحيفة الأنباء، الخميس١٦/١/١٩٨٣.

Book14.indd 690 3/8/14 4:04 PM

أعـــادت لـنـا مـا قـد مـضـى مـن خـلائـقٍ
- لـهـا ســـنٌّ مـكـتـوبـةٌ - ومـنـاقـبِ

☆☆☆☆

كـــأن عـطـاءَ الأرضِ بـعـضُ عطائـهم
وفـيـهـا الـــذي مـا فـيـهـم مـــن مـواهـبِ

☆☆☆☆

لـهـم مـنـهـمْ مـا يـقـتـدرونَ بـوحـيـهِ
وفـيـهـمْ مـسـيـراتُ الـقـرونِ الـذَّواهـبِ

✱✱✱✱

Book14.indd 691 3/8/14 4:04 PM

الأصفار[1]

هـا أنـتَ مـثـلُ جـدارِ الـطـينِ تـنـهـارُ
وكـنـت تـنـفـخُ. إن الـنـفـخَ غـرارُ
وألـبـسـوك ثـيـابًـا مـن زخـارفِـهـم
ومـطـطـوكَ بـهـا مـن حـيـث تـخـتـار
والـشـرّ يـسـقـط فـي شـرٍّ يـشـابـهُـهُ
إن لـم يـكـن لـدعـاة الـخـيـرِ أنـصـار
والـبـازُ يـسـكـن آفـاقًـا ومـربـأةً
ولـلـتـمـاسـيـحِ أدغـالٌ وأهـوار
يـا أصـغـرَ الـنـاس مـقـدارًا إذا اختبروا
وكـلّ شـيء لـه حـجـمٌ ومـقـدار
مـسـمَّـرونَ عـل الألـواحِ راجـفـةٌ
قـلـوبُـهـم مـثـلـمـا تـهـتـزُّ أشـجـار
لـولا تـنـاسـقُـهـم فـي الـنـاس مـا سكنوا
فـيـهـم. ولـكـنـهـم نـاسٌ وأصـفـار
لـذاك يـنـكـرهـم حـسٌّ وعـاطـفـةٌ
وتـزدريـهـم مـضـامـيـنٌ وأفـكـار

(١) نشرت في صحيفة الهدف بتاريخ ١٦ يوليو ١٩٨١، وصحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٣/٨/٣٠.

Book14.indd 692 3/8/14 4:04 PM

مـغـلَّـلُـون وإن كـانـوا قـد اجـتـمـعـوا

وراســـبـــونَ وإن عـلـوا وإن طـــاروا

كـأنمـا الأرضُ تـأبـى أن يـكـون لـهم

بـهـا مـكـــانٌ ولا يـــرضـــاهـــمُ جـار

****

Book14.indd 693 3/8/14 4:04 PM

الوجوه المختفية[1]

قـد فـاجـأوكُـمْ بـأحـداثٍ وأشـيـاءِ
لـم تـبـلـغـوهـا. وفـضُّـوا كـلَّ عـذراءِ
وحـاصـروا الأرضَ وارتـادوا مجاهلَها
والـبـحـرَ حـتـى اسـتـبـاحـوا كـلَّ مـيـنـاء
وصَـيَّـروا الأفـق سـطـحًـا يـهـبـطـون بـهِ
ويـنـبـضـونَ بـانـحـاءٍ وأنـحـاء
كـانـوا يـعـدون أسـبـابًـا وحـاصـرَكُـمْ
دمٌ تـروَّضَ حـتـى صـار كـالـمـاء
وشـوّهـوا الـزمـنَ المـاضـي وأحـسَـبُـه
جـسـمًـا تـوقَّـفَ إلا بـعـضَ أعـضـاء
وإنمـا الـنـاسُ مـاضٍ فـيـه حـاضـرُهـمْ
وفـيـه مـا فـيـه مـن صـوتٍ وأصْـداء
مـا قـامـتِ الـدولُ الـكـبـرى ولا انـتـشـرتْ
إلا كـخـارطـةٍ فـي ذهـن بَـنَّـاء
أن يـغـصـبـوا حـارةً كـانـت لـعـائـشـةٍ
مـأوى هـواهـا وهَـدَّوا بـيـتَ أسـمـاء
فـإنـهـا حـالـةٌ رثـت وجَـدَّدهـا
تـقـاربُ الـشـرِّ مـن دانٍ ومِـن نـاء

(١) نشرت في صحيفة الأنباء، ١٩٨٣/١١/٢٩.

Book14.indd 694 3/8/14 4:04 PM

كـإنـهـم قـد تمـطُّـوا فـي حـراشِـفِـهـم
كـمـا تُمَـــدُّ جـســورٌ عـبـرَ أرجـــاءِ
إنّـــا لـفـي زمـــنٍ يـبـغـي الـقـوي بـه
عـلـى الـضـعـيـف ويـأتـي كـلَّ فـحـشـاء
يـــجـــددونَ مـــن الـدنـيـا وزخـرفِـهـا
بمـــا يـــوافـــقُ مـــن حـــالاتٍ حـمـقـاء
رَثَّـــتْ وسـائـلـهـا الأولـــى فَـجَـدَّدهـا
تـــشـــابـــهٌ بـــين آراءٍ وآراء
كـأنـهـمْ هـجـعـوا فـيـكـمْ وأيـقـظـهـم
دويُّ زحـــفٍ تـــوارى خـلـفَ أضـــواء
أو أنـكـمْ قـبـلَ هـذا الـغـزو داهـمـكـم
تـنـاقـضٌ فـي دمـــاءٍ ذات أجـــواء
وقـلـتُـمُ الـقـدسُ ضـاعـتْ قلت مـا بـرحـتْ
خـضـــراءَ ذاتَ بـسـاتـيـنٍ وأفـيـاء
ولا تـــزالُ مـنـاخـاتٌ يـجـيء لـهـا
غـــازٍ مـع الـصـبـح أو ســـارٍ بظلماء
لـم يـدخـلـوهـا ولـكـن أصـبـحـوا سببًا
وحـــجَّـــةً لـــصـــراعـــاتٍ وأهـــواء
تمـخَّـضَ الـشـرُّ عـن شـرٍّ يـشـابـهُـهُ
والـشـرُّ ذو أوجـــهٍ شـتـى وأزيـــاء

****

Book14.indd 695 3/8/14 4:04 PM

يا مصر[1]

ويـا (مـصـرُ) يـا (نـيـلٌ) يـا (هــرمَ الـهـوى)
ويـــا أول الـعـشـق الـقـديم المـعـلّـمِ
ويـــا فـكـرةً مـنـحـوتـةً فـي حـجـارةٍ
بـــوادٍ مـلـيءٍ بـالـشـعـاعـاتِ مُـفْـعَـم
ذكـــرتُـــكِ لا أنـــي أعـــانـــي تَـوقّـدي
إلـيـك ولا أنـــي أعـــانـــي تَـضـرُّمـي
ولـكـن طـيـفًـا جـاءنـي مـنـك كلما
أحـــاول مـنـه مـهـربًـا شـدَّنـي دمـي
وكـيـف هـروبـي مـن غـــرام مـلاصـقـي
وكيف انسلاخي من ضلوعي وأعظمي
تَـلَـبَّـثْـتُ حـيـنًـا ثـم قـلـتُ هـواجـسٌ
تجـــيءُ لمـثـلـي مـــن مـكـــانٍ مُـكَـرَّم
وبـيـتٌ لـلـيـلـى نـخـتـبـي تحـت سـقـفـهِ
مـع الـلـيـلِ أو بـسـتـانُ فُـــلٍّ لمـريم
كـأن الضَّـفـا الـخـضـرَ والـزرقَ فـي الضحى
طـحـيـنُ نجـــومٍ أو تـهـاويـلُ مـرسـم

****

(١)نشرت في جريدة الأنباء ١٩٨٣/١٢/١٨م.

Book14.indd 696 3/8/14 4:04 PM

الطلولُ والحراشف[1]

قد وافقوهُ زمانًا مثلما خبطَتْ
عمياءُ قد وافقتْ أحلامَها السُّبلُ
يحيدُ عنها الذي أضلاعُه قبسٌ
يميل عن عوجٍ فيها فيعتدل
يظلُّ يقدح قدحًا وهو ملتبسٌ
ويسكنُ الناسَ منه روحُه الثمل
يا فطرةً خمدتْ فيها مواهبُها
فلا طموحٌ ولا فِكْرٌ ولا مُثُل
ولا حداثةَ أشياءٍ تُجدّدها
وقد تجدَّدتِ الأشياءُ والعلل
تنقَّلَ النجمُ في أقصى سماوتِه
فما الذي يبتغيه حين ينتقل
وغادرتْ بذرةٌ أحشاءَ قشرتِها
واستبدلتْ حالة أخرى لها بدل
والرملُ وهو غثاءُ البحرِ أكثرُهُ
ملحٌ وعصفُ هجيرٍ كاد يشتعل
تجاوزت شكلَها الموروثَ تربتُهُ
كما تجاوزها العبيرُ والأثل

(١) نشرت في صحيفة الأنباء، ١٩٨٤/٣/٢٢.

Book14.indd 697 3/8/14 4:04 PM

أرضٌ تـزيـحُ ديـاجـيـهـا وسـاكـنَـهـا
ويمـكـثُ الـنـاسُ فـيـهـا مـثـلـمـا جـبـلـوا
دكَّـتْ طـلـولَ مـبـانـيـهـا ومـا بـرحـتْ
فـيـهـا حـراشـفُـهـا الأولـى كـمـا الـطـلـل
واسـتـيـقـظ الـوحـشُ فـيـهـا بـعـدمـا اهـتـرأتْ
أعـضـاؤه واحـتـوى تـاريـخَـهـا الـشَّـلـل
لـم يـبـقَ فـي شـدقـهـا نـابٌ فـوافـقـهـا
عَـصْـرٌ تجـاراتُـه الأنـيـابُ والـفِـيـل

****

Book14.indd 698 3/8/14 4:04 PM

من كتاب الأصوات والايقاعات[1]

(١)

وآخـــريـــنَ أراهـــــمْ يـنـفـخـونَ كمن
صـــارت صـــدورُهـــمُ نـــارًا عـلـى حطبِ
لا يـسـتـحـونَ إذا قـالـوا وإن سكتوا
صـــارتْ وجـوهُـهـم صـفـرًا مـن الـغضب
تـداخـلـتـهـم وجـــوهٌ غـيـرُ أوجـهـهِـم
وأعـــــيُنٌ وقـــلـــوبٌ ذات مـنـقـلـب
عـانـيـتُـهـمْ ربـــعَ قـــرنٍ وارتـضـيـتُ بـأن
ألـقـى الـغـنـيـمـةَ بـعـد الجـهـدِ بـالـهرب

(٢)

إن تـخـلـيـتُ فـإنـي مـثـلُ خـالٍ
وقـــد تُـنْـسَـى الـلـيـالـي بـالـلـيـالـي
لـيـتـنـي أجـمـــعُ مـا بـــين الـهـوى
وحـبـيـبٍ مـــن شـمـــوخٍ وجـمـال
وتـخـطـيـنـا بـيـوتًـا غُـلـقَـتْ
ودروبًـــــا مُـــوثـــقـــاتٍ بـحـبـال
حـجـبـوهـا عـــن هـــواهـــا فَـغَـدتْ
فـــي حـــجـــابٍ وهـــواهـــا فـــي عـقـال

(١)نشرت في جريدة الأنباء ١٩٨٤/٤/٨.

Book14.indd 699 3/8/14 4:04 PM

عـجـزوا أن يمـسـكـوا الـصـقـرَ لـذا
خـــدعُـــوه بـــحَـــمَـــامٍ وغـــزال

(٣)

أرنـــي صـديـقًـا مـخـلـصًـا لِأُريـكَـا
مـا يـتـركُ الـسـبـبُ الـبـعـيـدُ وشـيـكـا
وأريـــكَ كـيـف الأفـــقُ قـبـضـةَ قـابـضٍ
والأرضُ تـشـبـه مـنـهـجًـا مَـسـلـوكـا
لـلـواقـفـيـنَ عـلـى الحـيـاد وعـشـقـهـم
يـرقـى سـمـاءً أو يـفـكـكُ صُـكُـوكـا
هـم علَّـمـونـي الـعـشـقَ حـتـى لـم أكـدْ
أهـــوى عـلـى الحـــبِّ الـقـديم شـريـكـا
يـا مـنـزلاً عـبـر الـسَّـواحـل لـم أزلْ
أهـــوى هـــواكَ ولـــم أزل أرجـوكـا

****

Book14.indd 700 3/8/14 4:04 PM

الأخشاب الأولى[1]

سُـقِـيَـتْ هـواجـرُهَـا الـتـي نـهـواهـا
الـقـاذفـاتُ بـجـمـرهـنَّ دُجَـاهـا
الـبـارداتُ ظـلالـهـنَّ وهـنَّ مـن
عـطـشٍ تجـاوز حـدَّهُ فـسـقَـاهـا
والـنـافـخـاتُ بـعـالـمٍ مـن صـخـرةٍ
حـتـى اسـتـوى فـطـغـى وجُـنَّ وتـاهـا
وإذا هـم احـتـشـدوا فـلـم تـبـرحْ بهم
فـتـنٌ تـهـزُّ الأرضَ مـن أقـصـاهـا
يـا رمـلـةً يـتـلـو عـلـيـنـا ذكـرهـا
نـبـأ الـرمـالِ ومـا يـضـمُّ ثـراهـا
مـا مـؤمـنٌ يـؤذي أخـاهُ بمـؤمـنٍ
أبـدًا ولـكـن حـالـةٌ نـحـيـاهـا
هـو عـالَـمٌ قـرأوه ثـم اسـتـنـفـروا
فـيـه الحـروبَ وغـرَّروا قـتـلاهـا
وتجـاوزوا فـيـه إشـاراتٍ لـهـا
كـلـمـاتُـهـا ودويُّـهـا وصـداهـا
مـن ذائـبـينِ مـع الـسـيـولِ كـأنـهـم
مـن تحـتـهـا أثـقـالُـهـا وغـثـاهـا

(١)نشرت في جريدة الأنباء، ١٩٨٤/٨/١٤.

Book14.indd 701 3/8/14 4:04 PM

أو مـــدعـــينَ وراثـــــةً لـرســالـةٍ
جـــاءت ودسَّـــاهَـــا الـــذي دســاهـا
عـفـنٌ إلـــى عـفـنٍ يـضـافُ لـيـحـتـوي
أرضًـــا لـهـا أحـلامُـهـا وهُـداهـا
كـسـروا مـنـابـرَهـا الـقـديمـةَ وادّعَـــوا
أخـشـابـهـا الأولـــى ومـــن سَـوّاهـا

✱✱✱✱

Book14.indd 702 3/8/14 4:04 PM

سويعات مع دجلة[1]

يُحدِّثُني طيرُهُ الأخضرُ
ويرسمُ لي أفقُه المقمرُ
ودجلةُ بين حقولِ الضِّفافِ
وبين المساءِ هوًى يعبرُ
ومتكأً يستريحُ الغريبُ
عليه ويشعرُ ما يشعرُ
أويتُ لنخلٍ على جرفهِ
ونأعورةٌ قربنا تهذرُ
كأن بأخشابها أضلعًا
تبثُّ الأحاديثَ أو تسمرُ
كأنَّ الدلاءَ بدوراتِها
وتلك السواقي بَدتْ تزخرُ
جيوبٌ من الماء مفتوحةٌ
على الأرض تنثرُ ما تنثرُ
كأن عناصرَ هذا الوجودِ
لهن عيونٌ بها تنظرُ
ولولا تَخَبُّطُ هذا الزمانِ
لما عمل الناسُ أو فَكَّروا

(١) نشرت في جريدة الأنباء بتاريخ ١٩٨٤/٩/٤.

Book14.indd 703 3/8/14 4:04 PM

لـــســـوفَ تحـــارب حـتـــى الجـبـــالُ

وحـــتـــى الـــشـــواطـــئُ والأنـــهـــرُ

هـــي الـــنـــار أن أُطـــفِـــئـــتْ لـــم تـــزلْ

بـــعِـــيـــدانِـــهـــا عـــنـــدمـــا تـــنـكـســرُ

كـــــأن خـــريـــطـــةَ مـــــاءٍ عـلـى

لـــهـــاة الـــرمـــالِ بـــدت تـظـهـرُ

يـــتـــرجـــمُـــهـــا قـــــارئ لـــلـــبـــروقِ

يـــخـــال الـــســـمـــاءَ مـــتـــى تمـطـرُ

****

Book14.indd 704 3/8/14 4:04 PM

من أبناء الوادي القديم[1]

(١)

خليليَّ في الوادي القديمِ لأنتما
دروعٌ له بل عِدَّةٌ وعَتَادُ
لئن كنتما قد ثُرتما فلطالما
ولا تنسيا أن الصراعَ يُراد
لئن هدموا بيتًا لليلى فقبلَها
بكت دارَها في الرّقتين سعاد
تخلَّلَ هذا الناسَ ناسٌ شبيهةٌ
يكرّرُ في أنماطهِ ويُعاد
لئن فقدتْ نقشًا صخورُ فإنها
تماسكَ فيها هيكلٌ وعماد
إذا عزفتْ تلك النواعيرُ حولَها
تحركَ فيها موسمٌ وحصاد
خليليَّ في وادي البلابل إننا
نكاد نلاقي دربَنا ويكاد
ولكنّنا كلٌّ له هاجساتُهُ
وكلٌّ له مقصورةٌ وبلاد

(١)نشرت في صحيفة الأنباء، ١٩٨٥/٢/١٧.

Book14.indd 705 3/8/14 4:04 PM

(٢)

ومـــرَّتْ ذئـــابٌ مـن هـنـا تـبـتـغي لـهـا
طـعـامًـا.. ومـــرّ الـعـابـرُ المـتـعـثـرُ
كـــأن بـيـاضَ المـلـحِ أبـــوابُ فـضّـةٍ
وصـــفـــرةَ ذاك الـرمـل كـنـزٌ مـبـعـثـرُ
ولـيـسـت هـي الاشـيـاءُ بـل مـا وراءهـا
نـقـائـضُـهـا فـي جـوفِـهـا تـتـبـلـور
ويـسـتـوعـبُ الـصـبـرُ المـفـكـرُ شَـــأْوَهُ
فـيـبـسـط رأيًـــا أو يـثـور فـيـعـذر
ولـو رضـيـت (أسـمـاء) بـالأرض وحـدَهـا
لـعـاشـتْ بمـا يـعـطـيـه نـحـلٌ وزعـتـر

(٣)

ومـــا بـرحـوا أبـنـاءَ حـــربٍ تـدربـوا
عـلـى خـوضـهـا واسـتـشـرفـوا كـلَّ جـانـبِ
ومـــا قـــرأوا مـا يـقـرأُ الـنـاسُ إنمـا
قـراءاتُـهـم مـا مـارسـوا مـن تجـارب
لـهـم مـنـهـمُ مـا يـقـتـدون بـوحـيـهِ
وفـيـهـمْ مـسـيـراتُ الـقـرون الـذَّواهـب
وقـــد خـرجـوا مـن كـل لـيـلٍ كـأنمـا
عـلـيـهـم بـقـايـا مـن لـهـاثِ الـكـواكـب
بـهـم صـــورةٌ مـشـتـقّـةٌ مـن سـواحـلٍ
وفـيـهـم رسـومُ الأرض ذاتِ الـسَّـبـاسـب
كـــأن نـقـوشَ الـصـخـر أثـــارُ قـادمٍ
مـن الـغـيـب أو بُـقـيَـا حـــروفٍ لـكـاتـب

****

Book14.indd 706 3/8/14 4:04 PM

مصر.. والحلم الكبير[1]

ومـــصـــرٌ لـــم تـــزلْ نـــيـــلاً وشِـــعـــرا
وأحـــــلامًـــــا تمـــــورُ بمـــا تمـــورُ
هـــي الـــشـــرقُ الـــقـــديمُ ومـــا تـــوارى
بـــه وهْـــيَ الجـــنـــائـــنُ والـــعـــبـــيـــر
كـــأن جـــبـــالَـــهـــا اثـــــداءُ صـــدرٍ
كـــبـــيـــرٍ والـــهـــوى أبـــــدًا كـــبـــيـــر
كـــأن صـــخـــورَهـــا كـــتـــب عـــلـــيـــهـــا
كـــتـــابـــاتٌ وأزمـــــــانٌ حـــضـــور
وقـــد تـــتـــضـــاءلُ الأشـــيـــاءُ حـــتـــى
تـــغـــيـــبَ ويمـــكـــثَ الأثـــــرُ المـــنـــيـــر
ويـــا مـــصـــرُ نـــحـــبُّـــكِ لا لـــشـــيءٍ
ســـوى مـــا يـــســـتـــجـــيـــشُ بـــه الـــشُّـــعـــور
وقـــد وجـــدَ الـــطـــريـــقَ إلـــيـــك عـــشـــقٌ
وراح يـــدلُّـــهُ شـــجـــرٌ وحُـــــور
وأصـــــواتٌ تـــصـــاعـــدُ مـــن ضـــفـــافٍ
كـــأن صـــخـــورَهـــا الـــنـــشـــوى صـــدور
تجـــــاوز فـــيـــكِ إنـــســـانٌ مـــداهُ
فـــصـــار يـــضـــجُّ ضـــجًّـــا أو يـــثـــور
كـــأنَّـــكِ تُـــغْـــتَـــلِـــينَ وأنـــــتِ وردٌ
ويـــســـرفُ فـــي تـــدفـــقـــهِ الـــعـــبـــيـــر

****

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٥/١١/٩.

Book14.indd 707 3/8/14 4:04 PM

لوحات على الطريق[1]

(تظل تحذفهم)

تـظـلُّ تحـذفُـهـمْ حـذفًـا ولا تـقـفُ
أمـامَ زحـفـهـمُ مـن حـيـث قـد زحـفـوا
زحـفًـا كـأن حـديـدَ الأرضِ يـرفُـدهُـمْ
مـثـلَ الـبـدور ولـكـنْ لـيس تنخسف
فـي (بـارقٍ) عِـوضٍ عـن (خـالـدٍ) وكـذا
فـي (مـاهـرٍ) ألـفُ (قـعـقـاعٍ) لـه خَـلَـف
يـكـاد يـرشـقُـكُـمْ مـلـحٌ وعـوسـجُـهُ
مـن جـانـبِ (الـفـاو) والحِـنـاءُ والسّـعف
كـأنّ قـتـلاكـمُ والـطـيـرُ يـنـهـشُـهـا
مـقـابـرُ حـذفـتـهـا الأرضُ أو جـيف
تـعـفَّـنَ الـبـحـرُ مـن أشـلائـكـم وغـدت
ولائـمًـا فـوقـهـا الحـيـتـانُ تعتكف
وبـدَّلـتْ نـكـهـةُ الأسـمـاكِ ريـحـتَـهـا
وكـاد ينبت فـيـهـا الـشَّـعـرُ لا الـصـدف
يـعـفُّ عـن أكـلـهـا مـن كـان ذا شـغـفٍ
بـأكـلـهـا وبـه عـن صـيـدهـا قـرف
أتـاكُـمُ المـوتُ مـن شـتـى مـسـالـكِـهِ
والخـسـفُ والـرجـم والـتـنـكـيـل والـتَّـلـف

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٦/٣/٢١.

Book14.indd 708 3/8/14 4:04 PM

إن كـان لا بـدّ مـن حـربٍ فـمـا بـرحـتْ
تـلـك الـسـيـوفُ ولـم يـبـرحْ لـنـا هـدف
نـسـمـو بـه عـن حـــروبِ المـــارقـــينَ ومـا
يـــدعـــو لـــه كـــل دهـــقـــانٍ بـــه صـلـف
يـشـــدُّ مـــن أزرهِ مـــن لا يـشـابـهـنـا
فـــي مـــحـــتـــواهُ وفـــي بـنـيـانـهِ زيـف
يـــبـــدّلُ الـــنـــاسُ فـــي جـلـدٍ ومـلـمـسِـهِ
إلا الـعـروق ومـــا أبـقـى بـهـا الـسّـلـف

****

Book14.indd 709 3/8/14 4:04 PM

حوار بين شاعرين[1]

بعث الشاعر البحريني أحمد محمد آل خليفة هذه الأبيات للشاعر محمد الفايز:

يـا مُـتـرعَ الأقـداحِ مـن خـمـرِ الـهـوى
أو مـا رأيـتَ عـلـى الـكـؤوسِ رغـابـي
إنّـي أحـسُّ بـهـا تحـومُ عـلـيـكـمُ
وتمـوجُ فـوق كـؤوسِـكـمْ كَـحُـبـاب
فـأنـا بـجـسـمـي نـازحٌ عـن داركـمْ
والـروحُ سـاجـدةٌ عـلـى الأكـواب
هـل مـن صـحـابِ الأمـس مـن مُـتـذكِّـرٍ
أم صـارتِ الأصـحـابُ غـيـرَ صـحـاب
حـسـبـي مِـنَ الـذكـرى حـنـيٌن مـوجـعٌ
أو مـا يَـردُّ الـمـوجـعـاتِ عـتـابـي

فأجابه الشاعر محمد الفايز بهذه الأبيات:

إن كـنـتَ تـشـربُـهـا مـع الأصـحـابِ
فـأنـا فـقـيـدُ الـكـأسِ والأحـبـابِ
وحـدي مـقـيـمٌ كـالـغـريـب وهـكـذا
صـرنـا بـهـذا الـكـونِ كـالأغـراب

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٦/٤/١٧.

Book14.indd 710 3/8/14 4:04 PM

هـمّـي كـهـمِّـكَ فـي الـسـمـوِّ كـأنـنـا
بـهـمـومِـنـا نـسـمـو وبـالأتـعـاب
فـكـرٌ يـضـيـعُ بـغـابـةٍ مـذؤوبـةٍ
وهـــوًى يـهـيـمُ بـبـلـقـعٍ وسـراب
يـا (أحـمـدَ الـبـحـريـنِ) يـا قـنـديـلَـهـا
يـخـتـال بـيـن مـشـارفٍ وقِـبـاب
لـمـا رأيـتُـك بـعـد عـشـريـنَ مـضـتْ
مـتـنـقـلاً فـي الـنـاس كـالـمـرتـاب
ألـفـيـتُـكـم أرضًـا بـهـا نَـبَـتَ الـهـوى
وأحـالَ رمـلـتَـهـا جـنـانَ تَـصـاب
ولـعـنـتُ مُـنـصـرَفِـي ومـيـلـي عـنـكـمُ
وكـذا الـنـجـومُ بـعـيـدةُ الأسـبـاب
وأكـادُ أنـشـقـكـمْ وأنـظـركـمْ عـلـى
بُـعـدٍ وأسـمـعـكـمْ وراءَ حـجـاب

****

Book14.indd 711 3/8/14 4:04 PM

يا جارة البان[1]

أوى إلــى الــرّمــل لمـا أقـفـرَ الـشـجـرُ
وجـــفَّ نـهـرٌ حَـسِـبْـنَـاه سـيـنـهـمـرُ
أوى إلــى الـرمـل أو عـــادت مـلامـحُـهُ
لـوجـهـهِ وهـــداه الـسـمـعُ والـبـصـر
تـتـوق لـلـنـفـسِ نـفـسٌ حـين تـشـبـهُـهَـا
وفـــي الـتّـبـايـنِ تـشـتـيـتٌ ومـنـحـدر
لـولا الـنـسـائـمُ مـن نجـدٍ لمـا شـخـصـتْ
عـــينٌ لـهـا حـــاجـــةٌ تـهـفـو وتـنـتـظـر
ذكـرتُـهـا فـذكـرتُ الـقـاطـنـيَن بـهـا
والأرضُ سـاكـنـهـا لا الـنـبـتُ والـثـمـر
أكـــاد أسـمـــعُ أصـــواتًـــا تُـحـاورنـي
فـيـهـا ويـنـشـدنـي مـن شِـعـرِه عـمـر
قـالـوا الـريـاحُ ستمحو كـلَّ خـارطـةٍ
عـلـى الـرمـال ولـم يـبـرحْ بـهـا الأثـر
إذا انـتـهـى أُفـقـهـا مـن قـولـه نـطـقـتْ
فـيـهـا مـفـاوزُهَـا أو سـبَّـحَ الـحـجـر
قـالـوا (الـريـاض) فـقـلـتُ الـنـورُ ثـانـيـةً
يـعـودُ لـــلأرضِ وهـــي الـسـنـدسُ الـعـطـر

(١) الرياض - الخميس ١٦ جمادى الآخرة ١٤٠٨هـ/ ٤ فبراير ١٩٨٨.

Book14.indd 712 3/8/14 4:04 PM

بنيانها الدين والتقوى يمدُّهما
علمُ الكتابِ وما جاءت به السير
وما تضمَّنَ كثبانٌ مباركةٌ
والساحلانِ اللذانِ فيهما العبر
أولى العواصمِ أولى القبلتين لها
كالشمس يقبس منها النجمُ والقمر
جاراتُها القِبطُ الأولى ومنشؤها
(فهدُ الفهودِ) و(عبدالله) والظفر
والمشرقونَ وجُوهًا حين تنظرهمْ
والطاهرونَ نفوسًا حين تختبر
قد رَوَّضوا الريحَ حتى لا تمرّ بهم
إلا رخاءً وكانت قبلُ تستعر
والأرض من جسدٍ بعضُ أسافله
والبعضُ هامته الشماءُ والغُرر
ذرا جبالٍ أناخت في حمولتها
وجنّة تحتها الأنهار تنفجر
أسالَ كلّ لعابٍ تحت ألْسُنةٍ
ونَزَّقَ الوحشَ حتى كاد ينتحر
وحشٌ تعمَّمَ، ما أقسى الوحوشَ إذا
تعمّمتْ فهيَ لا وحشٌ ولا بشر
رأتْ منازلَ (سلمى) أشرقتْ وربَتْ
أرضٌ حجارتُها الياقوتُ والدُّرر
كأنها أوعزتْ للناس في لغةٍ
أخرى تُخاطبهمْ آياتُها الصور

Book14.indd 713 3/8/14 4:04 PM

أن يـتَّـقـوا الـلـهَ فـي أرضٍ مـقـدسـةٍ
فـي ظـلـهـا الـبـيـتُ والآيـــاتُ والـسُّـور
يـهـفـوا لـهـا الـنـاسُ مـن شـتـى مسـالِـكهم
حـتـى تـلاقـوا عـلـى وعـدٍ ومـا شـعـروا
يـا حـــارةَ الـبـانِ بـل يـا خـيـمـةً رسـخـتْ
أطـنـابُـهـا ورســتْ أوتـــادُهَـــا الأُخَـــر
لأنـــتِ أرفـــعُ مـن أطـمـــاعِ مـن غـدروا
وأنـــت أكـبـرُ مـن أحـــلامِ مـن صَـغـروا
وأنـــت أقـــوى عـلـى كـبـح الألـــى جمـحـوا
وأنـــتِ أرشـــدهـــم فـكـرًا لـو اعـتـبـروا
كـم حـاولـوا أن يـهـزّوا مـنـك يـا قـممًا
تـــوطّـــدَتْ ويـنـالـوا مـنـك فـانْـدحـروا
هـنـاك اثـــارِكِ الأولـــى ومـــا تـركـتْ
عـــزائـــمٌ كـــجـــذورٍ فـيـك تـنـتـشـر
ومـن هـنـا الـهـمُ الأخـرى الـتـي فتحتْ
بـوابـةَ الـبـيـدِ فـتـحًـا فـهـيَ تـزدهـر
نمـــوذجٌ أنـت لـلـفـكـر الـــذي انـطـلـقـتْ
مـنـه الحـيـــاةُ وحـــقٌّ ســـوف ينتصر

****

Book14.indd 714 3/8/14 4:04 PM

قصائد للفاو[1]

صـــاروا لـكـلِّ الـنـاس كـالأضـدادِ
ممـا يـجـيـش بـهـم مـن الأحـقـاد
الحـامـلـونَ رواســـبَ الـزمـنِ الـذي
جـــاؤوا وإيـــاهُ عـلـى مـيـعـاد
والمـجـهـضـونَ كـأنمـا أصـنـامُـهـمْ
عـــادتْ بـهـم وزواحـــفَ الاجـــداد
أشـلاؤهُـم فـي الـفـاو غـطّـت مِـلْـحَـهُ
وذئـابـهـم تـعـوي وراء الـــوادي
يَـبـسـتْ دمـاؤهـم عـلـى أجـسـادهـم
فـكـأنـهـم مـاتـوا بـلا أجـسـاد
أَنِـفَـتْ جـيـاعُ الـطـيـر أكـلَ مـواتـهـم
فـتـظـلّ لـلأحـيـاء بـالمـرصـاد
مـن عـهـد سـعـدٍ والـدّمـارُ يـعـمّـهـم
وثـيـابُـهـم أبـــدًا ثـيـابُ حـداد
والـشـرُّ يـقـتـل نـفـسَـهُ فـي نـفـسـهِ
ابـــدًا وتـبـقـى الأرضُ لـلـروّاد
رجـعـتْ شـرورُ الـغـاب فـي دعـواهـمُ
إن الحـــروبَ طـريـقُ كـلِّ جـهـاد

(١)نشرت في جريدة القادسية العراقية، ١٩٨٨/٦/٣.

Book14.indd 715 3/8/14 4:04 PM

ليس الذي يبني كَمنْ هو هادمٌ
شتَّانَ بين ضلالةٍ ورشاد
والسلمُ لم يبرحْ صراطَ مفكّرٍ
أبدًا يقود وليس بالمنقاد
ولذاكَ قيل بأن عفَّةَ عالمٍ
تبقى وتذهبُ نزوةُ الأحقاد

☆☆☆☆

ماذا أحدثُكُمْ عن الأشرارِ
والمختفينَ وراء كلِّ ستارِ
صاروا وسيلةً من رآهم حجةً
للغزو وانجرفوا مع التَّيَّار
من كلِّ مهترئ يلوذُ بمثلهِ
كممزقٍ يلتف في أطمار
يقتاده فكرٌ تعفَّنَ مثلهُ
إلا الذي مازال كالآثار
يا بئس ما ورثوا وما اعتنقوا وما
يتبجَّحونَ به من الأفكار
رفضوا السلامَ وعاودتهم نوبةٌ
للنار أو ورثوا عذابَ النار
جبلوا الدمارَ لأهلهم وديارِهم
وكذا الفجورُ يحيقُ بالفجَّار
يا نخلةً في الفاو أحنى جذعَها
رجمٌ وكانت حلوةَ الأثمار

Book14.indd 716 3/8/14 4:04 PM

مـا كـنـتُ أحـسـبُ مُـذْ غـدوتِ مـتـارسًـا

أن الـنـخـيـلَ يـثـورُ كـالـثـوَّار

ألـيـافـهـا كـفـتـائـلٍ.. وعـذوقُـهـا

كـمـقـابـسٍ والجـــذعُ عـــود شـــرار

يـا غـابـةَ الحـنـاءِ تـقـطـف «زيـنـبٌ»

مـنـهـا وفـيـهـا مـنـزلٌ «لـنـوار»

سـنـرى بـك الأعـــراسَ ثـانـيـةً وإن

كـــرِهَ الـغـــزاةُ ومـوسـم الأشـجـار

هـم حـاصـروك فـفـضّ سـورُ حـصـارهـم

شـــوق إلـيـك يـفـضّ كـل حـصـار

فـتـحٌ تـفـتَّـحـتِ الأمـانـي مـرّة

أخـــرى بـــه فـــي لـيـلـةٍ ونـهـار

والأرضُ يـسـأل بـعـضُـهـا عـن بعضِـهـا

وتحـــنُّ أقـــطـــارٌ إلـــى أقـطـار

☆☆☆☆

عـادوا إلـى الـنـار لكن لـم تـكـنْ حطبًا

بـل مـن جـسـومٍ لـهـم تُـلـقَـى بِـآتـونِ

لـم تـبـقَ نـيـرانُـهـم مـنـهـم سـوى طبقٍ

مـن الـرمـاد وإلا نـفـخ مـلـعـون

يـظـل يـنـفـخُ فـيـهـا وهـي خـامـدةٌ

عـلـى مـواقـدِهـا نـفـخَ الـثـعـابـين

تَـرصَّـدوا جـانـبَ الافـاقِ وانـتـبـذوا

مـن جـانـبِ الأرض بيتَ الخسفِ والهون

Book14.indd 717 3/8/14 4:04 PM

ثم استعاروا جناحَ النَّسرِ لو ملكوا
دمَ النّسورِ وأخلاقَ الشَّواهين
متى ستصحو جبالٌ في سواحلها
ورملةٌ تتلظى كالبراكين
كأنها شعلةٌ في كفِّ قابسِها
أو أنها جسدٌ ينزو بماعون
والنائمونَ يظلِّ خلفه شبحٌ
يكاد يَنْقَضُّ بين الحين والحين

****

Book14.indd 718 3/8/14 4:04 PM

أغنية إلى الرحاب الزرق[1]

رَبَّـــاهُ يـا ربَّ الـسَّـمـا إنـي سـئـمـتُ هـنـا بـقـائـي
الـنـورُ مـلءُ الأرض لـكـنـي أعـيـشُ بـلا ضـيـاءِ
ظـمـأي عـلـى شـفـتـي يـصـيـح يـضـجُّ دومًـا بـالـنّـداء
وكـأبـتـي سـحـبٌ بـلا مـطـرٍ ولـيـل مـن عـمـاء
مـات الـشـبـاب بـأضـلـعـي وذوى عـلـى شـفـتـي غـنـائـي
أعـراسُ حـبـي فـي الـدُّجـى دُفـنـتْ وفـجـري فـي انـطـفـاء
حـتـى الـهـوى مـاتـت لـيـالـيـه وافـتـراحَ الـلـقـاء
عـشـرونَ عـامًـا كـلـهـا ضـاعـت هـبـاء فـي هـبـاء
أشـبـاحُ لـيـلـي لا تـزال ولـم يـزلْ لـيـلُ الـشـقـاء
مـا قـيـمـتـي أنـا أن بـقـيـت بـلا مُـنًـى وبـلا هـنـاء
أعـطـيـتـنـي قـلـبًـا يـحـسّ وصـغـت روحـي مـن ذُكَـاء
ومـلأت أعـصـابـي لـهـيـبًـا قـد تـغـلـغـل فـي دمـائـي
ورمـيـتـنـي فـي عـالـم هـيـهـات يـفـهـم مـا ورائـي
هـيـهـات يـفـهـم مـا أحـسُّ ومـا تـوارى فـي ردائـي
شِـلـوٌ أنـا بـيـد الـعـذاب ومـضـغـةٌ بـفـم الـفـنـاء
وحـقـيـقـة حـرقـت وغـطـاهـا الـرمـاد عـلـى غـطـاء
رَبَّـاهُ هـل وجـد الـوجـودُ لـكـي يـقـوم عـلـى غـبـاء؟

(١) نشرت في مجلة الرسالة ص ١٥ (لا يوجد تاريخ).

Book14.indd 719 3/8/14 4:04 PM

أتـــفـــوحُ رائـــحـــة الحـــقـــول لـــكـــلِّ خـــنـــزيـــرٍ مُـــراء
والـــكـــأسُ هـــل وجـــدتْ لـتشربـها الأفـاعـي فـي الخـفـاء؟
والأرضُ هـل بُسطت ليسلكها اللصوصُ إلى العلاء؟
الـقـمـحُ مـــلءُ الأرض لـكـنَّ الـكـثـيـرَ بـلا غـذاء
فـــي كـــل نـــاحـــيـــةٍ لـــهـــم حـــربٌ وريـــحٌ مـــن عـــداء
قـد شـوَّهـوا الأرضَ الجـمـيـلـةَ بـالـظـلام والـرِّيـاء
الأنـبـيـاءُ جـمـيـعُـهـم مـاتـوا فـيَـا لـلأنـبـيـاء
أيـعـود «عـيـسـى» آخـرُ لـيـرى «الـصـلـيـبَ» بـلا ذراء
و«مـحـمـدٌ» أيـعـودُ ثـانـيـة «لـمـكّـةَ» أو «حـــراء»
مـاتـت قـنـاديـلُ الـظـلام فـيـا لأرضـك مـن وبـاء
كـهـفٌ دجـوجـيٌّ الـظـلامِ وبـؤرة مـن أدعـيـاء
الـشـاربـيـنَ دمَ الحـيـاةِ المـبـتـلـيـنَ بـكـلِّ داء
والـراكـضـيـنَ وراء أشـبـاحِ الـدعـارةِ والـزّنـاء
أسـفـي عـلـى شـمـسٍ تـطـلُّ عـلـى كـهـوفٍ مـن رقـاء
أسـفـي عـلـى قـمـرٍ يـطـلُّ عـلـى المـقـابـر والشّـقـاء
أسـفـي عـلـى مـعـنـى الحـيـاة يـضـيـع فـي الـتـيـه الـعـراء
رَبَّـــاه أرضُـــكَ هـــل تـظـل كـذا هـــراءٌ فـي هُـــراء
أنِـهـايـةُ الـدنـيـا هـنـا؟ أحـقـيـقـةٌ بـعـدَ الـفـنـاء؟
أتـظـلُّ هـذي الأرض مـجـزرة الـضـعـافِ الأبـريـاء؟
خـذنـي لـعـالـمَ الـفـسـيـحِ لـكـي أرى مـا فـي الخـفـاء
خـذنـي إلـيـك فـراشـةً، غـنّـتْ ومـاتـت فـي الـغـنـاء
خـذنـي إلـيـك جـوانـحًـا تـهـفـو لـعـالـمك المـضـاء

Book14.indd 720 3/8/14 4:04 PM

خـذنـي إلـيـك نجـيـمـةً لـهـثـت وذابـــت فـي الـسـمـاء
آمـنـت فـيـك بـرغـم آلامـــي الـتـي ابـتـــزّتْ هـنـائـي
آمـنـت فـيـك وفـكـرتـي اسـتـعـصَـتْ عـلـى كـفـري ودائـي
مـرضـي يمـزقـنـي ويـنـتـشـلُ الـحـقـيـقـةَ مـن لحـائـي
ولـهـيـب أعـصـابـي كـعـاصـفـةٍ تُـعـربِـدُ فـي فـضـائـي
عـالجـتُ إيمـانـي الـذبـيـحَ بمـا تـبـقَّـى مـن رجـاء
وجـعـلـتُ مـن قـلـبـي المـمـزَّقِ شـمـعـةً بـدجـى غـوائـي
وسـلـكـتُ دربًـا كـم أود بـأن يـؤولَ إلـى انـتـهـاء
مـزقـتُ أعـصـابـي عـلـيـه وقـد نـثـرتُ بـه دمـائـي
ويـطـول حـيـث يـطـول فـيـه - بـلا نـهـايـتـه - عـنـائـي
سـمـراءُ يـا لـطـفَ الـورود ويـا تـرانـيـمَ الـصـفـاء
سـمـراء يـا لـيـل الـهـوى والـكـأس يـا حـلـمَ الـطّـلاء
سـمـراءُ يـا شـدوَ الـطـيـورِ الـعـائـداتِ مـع المـسـاء
سـمـراءُ يـا مـرحَ الـفـراشـاتِ الجـمـيـلـةِ فـي الـفـضـاء
سـمـراءُ يـا ضـوءَ الـنـجـومِ المـبـحـراتِ مـع الـنّـقـاء
سـمـراءُ يـا طـربَ الـهـوادجِ حـين تـسـكـرُ فـي الحُـداء
يـا أغـنـيـاتِ الـصـيـفِ تسـكـبُـهـا الحـنـاجـرُ فـي سـخـاء
يـا هَـدهـداتِ الـضـوءَ فـي الأسـحـار تـراث الـعـطـاء
أنـا لـن أمـوت أنـا هـنـا أنـا قـمّـةٌ مـن كـبـريـاء
لا تـقـنـطـي أنـا إن رقـدتُ ومـات فـي شـفـتـي نـدائـي
أنـا شـرفـةٌ لـلـنـورِ مـشـرقـةٌ وفـجـرٌ مـن وفـاء
نـشـوانُ يـنـضـحُ بـالـعـطـورِ وبـالجـمـال وبـالـبَـهـاء

Book14.indd 721 3/8/14 4:04 PM

مـــا مـــات مـــن غـــنّـــى بمـــجـــدِ الأرض نـــشـــوانَ الأداء
فـــي أضـــلـــعـــي عـــشٌّ مـــن الأقـــمـــار فـــي أبـــهـــى فـضـاء
فـــإذا فـــنـــيـــتُ تـــذكّـــري أنـــي ســـأحـــيـــا فـــي فـــنـــائـــي

✱✱✱✱

Book14.indd 722 3/8/14 4:04 PM

لوحات على الطريق
(وسوسة الشيطان)

وســوســةُ الــشــيــطــان مــا وســوســا
والــلَــيــلُ فــي أضــلاعــه عــسعــسا
فــلــم يــعــدْ يــنــظــرُ مــا حــولَــهُ
ولا يــعــي الــقــولَ كــمــن أخــرســا
إذا رأى كــأنــه لا يــرى
شــيــئًــا ولــم يــسـمــعْ ولــن ينبسا
فــكــيــف نــشــتــاقُ لمــن أغــلــقــت
أبــوابــه عــنّــا وإن نــأنــسا
يــا أيــهــا الــنــافــخُ فــي جــسـمــهِ
وروحــــهُ تــكــاد أن تــفــلــسا
مــا عــدتُ كــالأمــسِ لــه وحــشــةٌ
إن غــاب أو نــهــوى لــه مجلسا
ولا نــرى فــيــكَ لــنــا غــايــةٌ
وشــأن مــن يــرجــوكَ أن ييأسا

****

Book14.indd 723 3/8/14 4:04 PM

لوحات على الطريق
(عبيرك الريحان)

عـبـيـرُكَ الـريـحـان مُـذْ يـعـبـقُ
لـه حـديـثٌ فـي الـهـوى شـيِّـقُ
إن أحـاديـثَ الـهـوى جـمـةٌ
أعـذبُـهـا الـصَّـمـتُ ومـا يَـنـطِـق
كـم قـال لـي الـثـوبُ وغـمـازةٌ
مـن فـوقـهِ تـفـتـح أو تـغـلـق
ونـفـحـةٌ تـهـبُّ مـن مـوضـعٍ
أنـظـرْهُ حـيـنًـا واسْـتـنـشِـق
تـشـدّنـي إلـيـك تـسـريـحـةٌ
كـأنـهـا مـن شـجـرٍ تُـورق
ووضـع كـفّـيـك عـلـى حـاجـةٍ
اسـمـعُـهـا تـنـبـضُ أو تـشـهـق
تجـمَّـعَـتْ فـيـكَ الـصّـفـاتُ الـتـي
يـهـفـو لـهـا الـعـاشـقُ مُـذْ يَـعـشَـق

****

Book14.indd 724 3/8/14 4:04 PM

لوحات على الطريق
(عندي من الأحزان)

عـنـدي مـن الأحـــزان مـا يكفيني
فـدعـي هـمـومـك جـانـبًـا ودعـيـنـي
شـرُّ الـهـمـومِ هـمـومُ مـن لـم يلتمسْ
سـبـبًـا لـهـم مـاكـثٌ وشـجـونِ
والأرضُ واسـعـةُ الجـوانـب إنمـا
ضـاقـتْ لـضـيـق خـيـالـك المسجون
وتـسـكـعٌ لـك فـي خـريـطـة رُبّـة
فـيـهـا بـقـيـة عـالـم مـدفـون
ألـفُ المـجـازر والحـروب وتحـتـه
كـنـزٌ يـكـاد يـضـيـعُ مـنـذُ قـرون
لـولا الـذيـن تـريـن فـي قـسـماتِـهـم
شـمـسًـا تـطـلّ بـأوجـهٍ وعـيـون
سكـنـوا الجـبـالَ وبـعـضُـهـمْ بـسـواحـلٍ
تـنـمـو بـهـمْ بمـواهـبٍ وفـنـون
طـاش الـزمـانُ بـغـيـرهـم وأراهـمْ
قـد وقّـروا مـن طـيـشـهِ المـجـنـون

****

Book14.indd 725 3/8/14 4:04 PM

لوحات على الطريق

(لكم أوطانكم)

لـكـم أوطـانُـكـمْ ولـيَ اشـتـيـاقـي
وهَـمٌّ فـي رحـيـلٍ أو تـلاقِ
إذا وَدَّعْـتُـكُـمْ ودّعـتُ خـلـفـي
هـوًى بـاقٍ وآخـرَ غـيـرَ بـاقِ

☆☆☆☆

لا تـطـلـبـي مـنـه شـيـئًـا لـيـس يملـكُـهُ
ولا بـقـاءٌ عـلـى وضـعٍ سـيـهـلـكُـهُ
يـراقـب الأمـر عـن بـعـدٍ فـيـؤلـمُـهُ
مـا يـسـتـشـفُّ بـه أن سـوفَ يـدركُـه
يـظـلُّ مـرتـقـبًـا دومًـا يـحـاذرهُ
حـيـنًـا وحـيـنـا عـلـى بـعـد يـشـابـكُـه
حـتـى غـدًا كـلّ آن وسْـطَ مـعـركـةٍ
مـع الحـيـاةِ يـعـانـيـهـا وتَـعْـرُكُـهُ

✱✱✱✱

Book14.indd 726 3/8/14 4:04 PM

لوحات على الطريق

(تعبت من الأمر)

تـعـبـتُ مـن الأمـــر الـــذي أنـــت تـأمـرُ
نـــطـــاوعُـــهُ ســـــرًّا وجـــهـــرًا ونـصـبـرُ
إلـــى أن أتـانـا الـسـيـلُ مـن كـل خـنـدقٍ
ولـــيـــس لـــنـــا جـســـرٌ يُـــؤدي ومـعـبـر
يـقـربـنـا مـنـكـم عـلـى بـعـد شَـقِّـنـا
قـــــــراءةُ أيـــــــامٍ بـــــدتْ تـتـغـيّـر
ومـــوقـــفُ حـــقٍّ قـــاطـــنٍ فـــي مـشـاعـرٍ
تـضـيء ضـيـاءً أو تـقـولُ وتـنـشـر
ومـــا جـحـدوا مـنـكـم مـواقـفَ صـامـدٍ
عـلـى الـهـول بـل لَـجُّـوا بـغـيٍّ وأدبـــروا
وصـــاروا كـمـا شـاءت طـمـوحـاتُ طـامـحٍ
ولـكـنـهـم ضـلّـوا ضـــلالاً وأقـفـروا
يـطـلُّـونَ مـن أعـلـى عـلـيـنـا تـشـدُّهـمْ
ظـهـورٌ أراهـــا أوشـــكـــتْ تـتـكـسَّـر
أرى كـــلَّ آنٍ مـذهـبًـا يـذهـبـونَـهُ
وفـــي كـــلِّ آنٍ فـيـلـسـوفٌ مـفـكـر
ولـــم يـبـقَ إلا مـــا تـــراهُ بـصـيـرةٌ
تـشـعُّ شـعـاعًـا أو تـسـيـلُ وتُمـطِـر

****

Book14.indd 727 3/8/14 4:04 PM

لوحات على الطريق
(ألغت خرائطها الصحراء..)

ألـغـتْ خـرائـطَـهـا الـصـحـراءُ مـذْ جـاؤوا
كـأنـهـم رسـمـوهـا كـيـفـمـا شـاؤوا
وراح يـنـفـضُ رمـلٌ عـن كـواهـلـهِ
مـا تحـمـلُ الـريـحُ أو يـأتـي بـه المـاءُ
يـكـاد أثـلـهـمُ يـجـتـازُ واقـعَـهُ
فـالـظـلُّ اسـتـبـرقَ والـعـودُ حِـنـاء
قـل مـا تـشـاءُ. فـمـا زالـتْ نـوازفـهـم
كـأنـهـا فـي عـروقِ الأرضِ إسـراء
لـئـن تـزحـزحَ عـن بـنـيـانـهِ حـجـرٌ
فـإنـهـم جـبـلٌ رأسٌ وقـعـسـاء
يُـروّضُـونَ شـرورَ الـنـاسِ فـي خـلـقٍ
كـأنـهـا سـنـنٌ شـتَّـى وآراء

****

Book14.indd 728 3/8/14 4:04 PM

لوحات على الطريق

(ابك على ظلّ..)

ابْـــكِ عـلـى ظـلِّ تـفـاحٍ ولـيـمـونٍ
وابــكِ عـلـى الــوردِ مـن فُــلٍّ ونـسـريـنِ
ابْـكِ عـلـى الـطـيـر مـذبـوحًـا عـلـى شـجـرٍ
كــأن أغـصــانَــهُ أضـــلاعُ مـسـكـيـن
ابْـــكِ عـلـى جـنّـةٍ ضـاعـتْ عـهـدتـكـم
كـنـتـم تـعـيـشـونَ فـيـهـا كـالـسـلاطـيـن
وبـاسـقٍ مـن جـنـانِ الـخـلـدِ يـحـرقُـهـا
وحــشٌ تـنـصَّـلَ مـن لـطـفٍ ومِــن لـيـن
مُـلْـكٌ يـضـيـعُ. كـأن الـشـرقَ أنـدلـسٍ
تَـنـاهـبـتْـهـا طـمـوحـاتُ الـشـيـاطـيـن
شــرٌّ يـلـوذُ بـشــرٍّ. هـكـذا اجـتـمـعـتْ
عـنـاصـرُ الـغـدرِ فـي شـتـى الـمـيـادي
لـــذاكَ تـخـتـزنُ الأفـكـارُ طـاقـتَـهـا
لـسـاعـةٍ لـيـس ذو شــرٍّ بـمـأمـون

****

Book14.indd 729 3/8/14 4:04 PM

لوحات على الطريق

(أعاتب)

أُعــاتِــبُ لــو ستـفـهـمُ مـا الـعـتـابُ
ولــو ردَّ الــذي ضــاعَ الخـطـابُ
وحــاولــتُ الجــوابَ عـلـى كـتـابٍ
بـعـثْـتَ بـه فـأعـيـانِـي الجــواب
فـأصْـمـتُ والـشـجـونُ لـهـا حـديـثٌ
وأسـكـتُ والـهـمـومُ لـهـا اصـطـحـاب
أعــزِّي الـنـفـسَ أنــكَ لـسـتَ تـدري
بمــا تحــوي المـظـاهــرُ والـثـيـاب
وإنّــكَ ربمــا صــادفْــتَ كـنـزًا
خَـلـوتَ بـه وفــي كـفِّـي الـسَّـراب
ومـا اخـتـلـفـتْ شـجـونٌ عـن شـجـونٍ
ولا هــذا الـتَّـمــزّقُ والـعــذاب
ســوى أنــي ذهــبــتُ وأنــتَ بــاقٍ
عـلـى جـمـرٍ تحــفُّ بــكَ الـذئـاب
تُـلاطِـفُـهـا ومـا كـانـت لـطـافًـا
وتُـطـعِـمُـهـا ولـيـس بـهـا ثـواب
فـلـولٌ مـن غـثـاءِ الـسـيـل ألـقَـتْ
بـهـا تـلـك المـسـالـكُ والـشِّـعـاب

Book14.indd 730 3/8/14 4:04 PM

ولـســتُ أرى الـــذي مــا لا تــراهُ
ولــكــن ربمـــا ضـــاعَ الـــصَّـــوابُ
ســنــكــتــبُ مــا ســنــكــتــبُ عــن زمـــانٍ
حـــوادثُـــهُ بــهــا الــعُــجْــبُ الــعُــجــاب

✱✱✱✱

Book14.indd 731 3/8/14 4:04 PM

الحمامة الساهرة

هـل تـــذرفُ الـدمـــعَ عـيـونُ الحـمـامْ
وهـــل تـعـانـي مـن ســهـادِ الـغـرامْ
ســمـعـتُـهـا تـئـنُّ تحـت الـدُّجـى
كـمـا يـئـنُّ الـعـاشـقُ المستـهـام
أُصـغـي إلـى حـديـثـهـا وهْـــيَ لا
تـــدري ولا تـسـمـعُ قـــولَ المـلام
كـأنـهـا تـبـكـي عـلـى غـائـبٍ
أو مـنـزلٍ كـان وأمـسـى حـطـام
لا يـهـتـدي بـصـوتِـهـا سـامـعٌ
لـهـا ولا يـذهـبُ هـذا الـظـلام
حـاولـتُ أن أشـكـو لـهـا مثلما
تـشـكـو تـبـاريـحَ الـهـوى والـهُـيـام
لـعـلّـهـا تـعـلـمُ عـلـمـي بـهـا
لـنـسـهـرَ الـلـيـل مـعًـا أو نـنـام
قـلـتُ لـهـا لـو انـهـا تـهـتـدي
لـلـقـول أو تـفـهـم بـعـضَ الـكـلام
يـا جـارةَ الـلـيـلِ اسْـمَـعـي سـاهـرًا
مـثـلَـكِ لا يـرقـدُ إلا لـمـام

Book14.indd 732 3/8/14 4:04 PM

عـيـنـاكِ لا تـخـتـرقـان الـدُّجـى
وجـسـمْـكِ الـغـضُّ رقـيـقُ الـعـظـام
فـهـل تُـعـيـريـنـي جـنـاحـيـكِ كـي
أطـيـرَ أو أبـلـغَ بـعـضَ المـرام
فـي لـيـلـةٍ تَجـاوزتْ صـبـحَـهـا
طـولًا. وغـاب الـنـجـمُ خـلـفَ الـغـمـام

****

Book14.indd 733 3/8/14 4:04 PM

يا نخلة الجرف

(١)

فـارقـتُـهـم وبـــودي لـــو أقـاطـعـهـم
لـولا الـضّـرورات مـا أقسـى الـضـرورات
كـأنـهـمْ مُـسـخـوا لـــولا مـلامـحُـهـم
أو أنـهـم دخـلـوا فـي الـعـالـم الآتـي
تـكـادُ تـرفـضـهـم أرضٌ مـعـالـمـهـا
تـقـول ذراتـــهـــم لـيـسـت كـذراتـي
يـا نـخـلـةَ الجـرفِ لا نـقـوى الـبـقـاءَ ولا
تـقـويـنَ أنـــتِ رحـيـلاً فـي مـسـافـاتـي
وَهَـبْـكِ جـئـتِ مـعـي هـل أنـت قـادرةٌ
عـلـى احـتـمـال ظـهـيـراتـي الـعـصـيـبات

(٢)

ولـلـطـيـورِ حـكـايـاتٌ وأحـزنُـهـا
طـيـرٌ يَـلـوذ بـجـرفٍ شـبـهَ مُـنْـهـدمِ
كـأنـه ومـيـاهُ الجـــرفِ تـرفـسُـهُ
حـــوتٌ تـرهَّـلَ مَـتْـنَـاهُ مِـــنَ الـهـرم
تحـــاذرُ الـسّـعـفَ الـهـاوي كـأجـنـحـةٍ
مـنـقـضَّـةٍ أو كـأسـرابٍ مـن الـرَّخَـم

Book14.indd 734 3/8/14 4:04 PM

ظـامـي الجـــذوعِ كـــأن الـنـخـلَ أتـعـبَـهُ
وقـــوفُ مـنـتـظـرٍ أو صـمـتُ مُـتَّـهـمِ
مـــاذا تـقـول طـيـورُ الجـــرفِ؟ لـو نطقتْ
لأردفَـــتْ حـكـمـةً مـن أروعِ الحِـكـم
إن غـصَّ مـن دافـقـاتِ المـاء ضـفـدعُـهَا
فـــإنَّ طـائـرَهـا قـد غـصَّ بـالـنَّـغـم

****

Book14.indd 735 3/8/14 4:04 PM

نهمة: كوني على حذر

كـونـي عـلـى حـــذرٍ مـنـهـم ولا تثقي
إلا بمـــا فـيـك مـــن رأيٍ ومـنـطـلَـقِ
مـشـى عـلـى الـرمـل خـطـو مـنك فـانبثقتْ
مـنـابـعُ الـنـــورِ فـيـه أيَّ مُـنـبـثـقَ
وروَّضَ الـريـحَ بـحـارُ إلـيـكِ سـرى
تحـت الـغـيـاهـب لا يـخـشـى مـن الـغـرق
ولا تـــزالـــين أفـــكـــارًا تجـــيء بـهـا
إرادةٌ تـتـحـدَّى حـــالِـــكَ الـطـرق

****

Book14.indd 736 3/8/14 4:04 PM

نهمة: لا تغضبوا البحر

مـــاذا تـــريـــدونَ مـــن بـــحْـــرٍ وبَـــحَّـــارِ
بـــه مـــخـــاضـــةُ ريـــــحٍ ذات إعـــصـــارِ
يـــكـــادُ يـــطـــلـــقُـــهـــا لـــــولا كـــوارثُـــهـــا
لـــو تـــعـــلـــمـــونَ ولـــــولا حـــرمـــةُ الجـــار
وفـــتـــنـــةٌ وجَـــــــدتْ فـــيـــكـــمْ مـــواقـــعَـــهـــا
فـــأوقـــعـــتْـــكُـــم بـــأنـــيـــابٍ وأظـــفـــار
لا تـغضـبوا الـبـحـرَ إن الـبـحـرَ ذو غـضـبٍ
وحـــــاذروا الـــرمـــلَ إن الـــرمـــلَ مـــن نـــار

****

Book14.indd 737 3/8/14 4:04 PM

عُمَان

هــذي عُــمَــانُ وهــذه جَـنّـاتُـهـا
والخــالــدانِ جـبـالُـهـا وحـمـاتُـهَـا
بـنـيتْ عـلـى الحـجـر الـعـريـق وأُردِفَــتْ
بـالـبـحـرِ وانـفـتـحـتْ عـلـيـه جـهـاتُـهـا
مـسـكـتْ سـواحـلُـهـا زِمــامَ عُـبـابـهِ
وتــبــوَّأتْ أرضًــا يـضـيء بُـنَـاتُـهـا
أرضَ الـشَّـذا والـزّعـفـرانِ ونـخـلـةٍ
تـهـتـزُّ حـين نجـيـئـهـا ثـمـراتُـهـا
زيـتـيّـةٌ خـضـراءُ فـيـهـا هـاتـفٌ
مـن أمِّـهـا رسـمـتْ صـداهُ صـفـاتُـهـا
وكــأنمــا تـلـك الجــبــالُ مـنـازلٌ
وقـلاعُـهـا فـوق الـذرى شـرفـاتُـهـا
وتَــعــدَّدتْ ألـوانُـهـا فـحـجـارُهَـا
مـا تـرسـمُ الأيــام أو كـلـمـاتُـهَـا
وكــأنمــا تـلـك الـسـفـوحُ مـهـابـطٌ
لـلـوحـي أو صـحـفٌ لـهـا آيـاتُـهـا
وكــأنمــا عـنـد الـضّـفـافِ سـفـائـنٌ
مـا أُفْـرِغـتْ أحـمـالُـهـا وهـبـاتُـهـا

Book14.indd 738 3/8/14 4:04 PM

هـــي مـــن نـــبـــاتِ الأرض إلا أنـهـا
صـــخـــرٌ عـلـيـه هـيـبـةٌ وسِـــمـــاؤهـــا
ومـــن الجـبـــال حـــجـــارةٌ مـرصـوفـةٌ
رصـفًـا عـلـيـهـا غَـــبْـــرَةٌ وحـصـاتُـهـا

✷✷✷✷

Book14.indd 739 3/8/14 4:04 PM

في مدائن عمر بن الفارض
(نخلةٌ في النيل)

ويـا نـخـلـةً فـي الـنـيـل شَـــذَّبَ جذعَـها
مـــرورُ ريـــاح فَـــهْـــيَ مـنـهـا فـتـائـلُ
رأيـــتُـــكِ فـــي الحـــالـــين نـــورًا وغـربـةً
تـفـتِّـشُ عـن أجـزائـهـا وتُـسَـائـل
وهـــل تـرتمـي فـي كـل أفـــقٍ أضـالـعٌ
وتـذهـب هـــدرًا أو حـريـقًـا مـنـازل
ولـم يَـكْـفِـهـا رجـمٌ فـجـاءت عـواصـفٌ
ولـم يـكْـفِـهـا خـسـفٌ فـجـاءتْ زلازل
كـلانـا عـلـى الأمـــر الـــذي لا نـريـدُهُ
ويـخـبـطُ فـيـنـا الخـابـطُ المـتـجـاهـل
ومـــاذا يـريـدُ الـشِّـعـرُ مـن نـزف خـاطرٍ
يـنـاقـشُ فـي أسـفـارهِـم ويـجـادل
ومـــا هـــم بِـجـنٍّ غـيـر أنّ مـكـانَـهُـم
صـــخـــورٌ عـلـيـهـا هـيـبـةٌ وشـمـائـل
خـلاصـةُ أرضٍ تحـت أرضٍ وفـوقَـهـا
سـمـــاءٌ لـديـهـا هـــاتـــفٌ ورسـائـل
ومـــا جـــاءنـــا مـنـهـا قـطـافٌ وإنمـا
مـقـاصـيـرُهَـا مـعـمـورةٌ والمـنـاهـل

Book14.indd 740 3/8/14 4:04 PM

وجـــاء لـهـا عـشْـقٌ قـــديمٌ وزلـــةٌ

يـحـاول مـن تـكـفـيـرهِـا مَـن يـحـاولُ

وجـــاء لـهـا مـن كـلِّ قـــومٍ قـبـيـلـةٌ

ومـــا بـرحـتْ تـهـفـو إلـيـهـا الـقـبـائـل

وفـيـهـا الـتـي قـالـت لـنـا سـوف نلتقي

على البعض أنّ البعضَ لا شكَّ عامل

ومـهـدُهَـا رغـم اخـتـلافـاتِ جنسـها

شـعـورُ الـتـي فـيـهـا شـعـورٌ مماثل

ويـا ربِّ نـقـشٌ فـوق صـخـر تـلـطَّـخَـتْ

زخـارفُـهُ الـنَّـشْـوَى بـه والـرسـائـل

وفـيـهـا مـيـاهٌ لا تـــزال سـخـيـةً

ولا ذبـلـت شـطـآنُـهـا والـسـواحـل

****

Book14.indd 741 3/8/14 4:04 PM

في مدائن عمر بن الفارض
(لئن ذهبتِ بلا وعدٍ)

لـئـن ذهـبـتِ بـلا وعـــدٍ نُـقـرِّرهُ
ولا لـقـاءٍ إذا شـئـنـا نُـكـرِّرهُ
فـلـسـتِ أوَّل مـن ولّـتْ مـخـلـفـةً
فـؤادهـا بـين أضـلاعـي أُدثِّـره
وقـد مـكـثـتُ شـعـورًا حـين يـطـفـح بي
يـبـدو لـقـاءٌ لـنـا آتٍ سَـنـحـضـرُه
سـأرفـضُ الحـاضـرَ المـفـروضَ سيدتي
بـالـرغـم مـنـا وأجْـفُـوه وأُنْـكِـره
هـل تـذهـبـيَن وفـي عـيـنـيك أكـثـر من
عـشـقٍ يـحـاول أن نـبـقـى نـفـجّـره
هـل تـذهـبـيَن إلـى مـا تـكـرهـيَن كما
أبـقـى أعـانـي حـضـورًا لا أبـرِّره
كـأنـنـي حـامـلُ أحـزانَ مـن عشقوا
ولـم يـنـالـوا وحـزنـي فـيـك أكـثـره
كـأن طـيـفَـك مـذْ يـأتـي يـذكّـرنـي
ذاك الـلـقـاءَ وإنـي سـوف أذكـره
لـقـد أتـيـتِ كـمـا لـو كـنـتِ جـاهـزةً
إلـى الـلـقِـاء كـنـهـرٍ خِـفْـتُ أعـبـره

Book14.indd 742 3/8/14 4:04 PM

لا مـوعـدٌ بـيـنـنـا حـتـى نـقـول كما
يـشـاءُ وعـــدُ أعـانـيـهِ وأسـهـره
ولـسـتُ أعـرفُ مـن أنـت سـوى زخـمٍ
قـد راح يـنـفـضـنـي نـفـضًـا وأسـتُـره
تـكـرريـنَ الـتـفـاتًـا لا أقـاومُـهُ
فـأنـتـحـي جـانـبًـا والـقـلـبُ يـنـظره
لـم أدرِ مـن أنـتِ كـانـت مـقـلـتـاك هـوى
يـدعـو وفـيـك شـعـورٌ صـرتُ أشـعـره
وجـاء صـوتُـكِ نـشـوانًـا فـنـبَّـهـنـي
وجـرّنـي لـحـديـثٍ أنـتِ مـصـدره
وقـد رأيـتُ جَـمـالاً قـبـل ذاك ومـا
رأيـتُـه فـيـكِ أحـلاه وأكـبـره
يمـتـدّ نـحـوي شـهـيًّـا فـي تـطـلّـعـهِ
بـلا اكـتـراثٍ ويـدعـونـي وأحْـذَره
ومـا نـكـرتُـكِ لـكـنـي شـدهـتُ كـمـا
يـرتـاعُ لـلـبـدر طـفـلٌ حـين يـبـهـره
وحـاصـرتـنـي عـيـونٌ مـثـلـمـا فُـتِـحـتْ
خـزائـنٌ وفـمٌ قـد لـجّ أحـمـره
وكـنـتُ مـذْ كـنـتُ دومًـا أسـتـجـيـب إلـى
داعـي الـهـوى حـين يـدعـونـي وأشـكـره
إذا صـمـتُّ فـفـي صـمـتـي هـواتـفُـهُ
أوِ الْـتَـبـسـتُ مـخـالاتـي تـفـسِّـره
والـعـشـقُ مـن صِـفـة الـعـشّـاقِ نـكـهـتُـهُ
فـيـهـم وعـالـمـه الأقـصـى وجـوهـره

✱✱✱✱

Book14.indd 743 3/8/14 4:04 PM

من ظلال الألوان المختفية

سلوا ليالي الهوى عن طيفِ ذكراها
هل عادني والنَّدامَى عن حميّاها
أعتاضُ بالطيف عنها لو يعوّضني
وبالطَّلا عن لماها حين أُسْقَاها
سمراءُ كلّ نواحيها محبّبةٌ
كأنما اللهُ سوّاها لأهواها
سلوا ليالي الهوى عن شاطئٍ وهوى
قلبينِ هامَا على الشاطئ وقد تاها
أشتاقُ للدار والشطآن لا عجبٌ
في عاشقٍ يشتهي دارًا وسكناها
تلك الدهاليزُ ما أبهى زخارفَها
وللمباخرِ عطرٌ في زواياها
كنا نثبِّتُ في جدرانها صورًا
كما نُنَقِّلُ أقدامًا بمشاها
ألوذُ بالصمت أحيانًا وتغلبني
صبابتي حين تلقاني وألقاها
حتى العصافيرُ كانت من هوايتِنَا
نختار أجملَها لونًا وأشجاها

Book14.indd 744 3/8/14 4:04 PM

كـــان الـــهـــوى عـــنـــدمـــا كـــانـــت فـــفـــرَّقَـــنَـــا
دهـــــرٌ أمـــــالَ صـــبَـــابـــاتـــي وألـــواهـــا

☆☆☆☆

أحـــــنُّ لـــعـــيـــنـــيـــكِ الـــلـــتـــيـــن تـــألَّـــقـــا
غـــداةَ الْـتَـقـيـنـا مـثـل طـيـريـنِ حَـلَّـقـا
لـقـد ألـهـمـانـي الـشِّـعـرَ حـين تـعـذّرتْ
قـوافـيـهِ فـي كـأسـيـهـمـا حـين صـفَّـقـا
عـيـونٌ ومـــا كـــلُّ الـعـيـونِ جـمـيـلـةٌ
ولا كـــلُّ صـــدرٍ مـثـل صـــدرِكِ أورقـــا
لـه رعـشـةُ الـــوردِ الـــذي رفـــرفَـــتْ به
نـسـائـمُ حـقـلٍ دغـدغـتْ فـيـه زنـبـقـا
أعـــدتِ حـــروفَ الـشِّـعـرِ لـلـشـعـر عندما
تـنـصَّـلَ مـــن ألـــوانـــهِ ثـــم أخـفـقـا
لـــه مـــثـــلُ إيمـــــاءٍ بـســيـمـاءِ شـاعـرٍ
حَـــــواكِ خـيـالًا أو تـقـصَّـاكِ رونـقـا
كـأنـي إذا حـاولـتُ شـعـرًا رأيـتُـهُ
بـعـيـنـيـكِ نـشـوانَ الـرسـومِ مَـحـدِّقـا

✱✱✱✱

Book14.indd 745 3/8/14 4:04 PM

كتابات فوق الأبواب القديمة
(تشعُّ معاضدُها)

(١)

تـشـعُّ مـعـاضـدُهَـا فـي الـدّجـى
ويـصـحـبُـهَـا طـائـفٌ مـن شـذا
فـصـارت تحـسُّ وصـارت تـشـمُّ
خـلالَ الـظـلام وصـارت تـرى

(٢)

بـعـيـنـيكِ مـن إشـراقـكِ المـتـدفّـقِ
ومـن روعـةِ ثـغـرك المـتـألّـقِ
فـلـم يـدرِ لمـا قـد حـوتْـكِ ذراعُـهُ
يُـسَـمِّ عـبـيـرًا أم يـعـوم بـرونـق
يـفـيـضُ عـلـى خـديـك مـنـه شـعـاعُـهُ
ويـشـمـخ فـيـك الـوجْـدُ فـوق المحلّـق
كـسـاقـيـةٍ صـبّـتْ بـحـوضٍ تـظـاهـرتْ
جـوانـبُـهُ عـن سـكـبِـهـا المـتـرقـرق
كـأن الـضـفـيـراتِ الـتـي اعـتـلـقـتْ بـهـا
قـلادتُـكِ الـفـيـروزُ عـنـد الـتَّـطَـوَّق
وحـيـثُ انـهـيـار الـثـلـجِ فـيـك وقـد عـلا
مُـحـيـاك هـول الـوالـهِ المـتـشـوق

Book14.indd 746 3/8/14 4:04 PM

أراجـيـــحُ وردٍ فـــوق وردٍ تـشـابـكـتْ
بـصـدرٍ عـلـى عـــامٍ مـن الـعـشـقِ مُـطْـبـقِ
تـضـيـقُ بـرسـغـيـكِ المـعـاضـدُ والـهـوى
يـصـفّـقُ فـي أنـحـــاءِ ثـــوبٍ مُـصـفّـقِ

✷✷✷✷

Book14.indd 747 3/8/14 4:04 PM

كتابات فوق الأبواب القديمة

(أطفأت ضوءها)

(١)

أطـفـأتْ ضـوءهـا ونـامـتْ «عـهـادُ»
والـهـوى سـاهـرٌ بـهـا وقّـادُ
أطـفـأتْ ضـوءهـا ومـا انـطـفـأ الشـو
قُ ونـامـتْ ولا يـنـام الـفـؤاد
أطـفـأت ضـوءهـا وغـابـتْ ستـا
ئـرُهـا الـزرقُ واحـتـواهـا الـرّقـاد
حَـمـلَـتْ شـوقَـهـا الـنـوافـذُ حتى
أنـهـا فـي نـقـوشِـهـا تُـسـتـعـاد

(٢)

بـلـونِ خـدودهـمْ ضـوءُ الـزهـورِ
وفـي جـدرانـهـمْ أثـرُ الـبَـخُـورِ
وقـد رسـمـوا المحـاسـنَ فـهـي تـبدو
ومـيـضًـا فـي الـعـيـون وفـي الخـصـور

(٣)

يـا أنـتَ مـا أنـتَ بـدرٌ
مِـن أيـن لـلـبـدرِ ثـغـرُ
مـن أيـن لـلـدرِّ خـدٌّ
مـن أيـن لـلـبـدر شَـعـرُ

Book14.indd 748 3/8/14 4:04 PM

ألـــــــــوانُ حـــســـنِـــك بـــيـــضٌ

وفـــــــي خـــــــــــدودكَ حـــمـــرُ

وفـــــــي عـــــيـــــونِـــك لـــيـــلٌ

وفـــــــي قـــــــوامِـــــــك فـــجـــرُ

✷✷✷✷

Book14.indd 749 3/8/14 4:04 PM

لبنان والنواحي الأخرى

– ١ –

تكاد به الأعضاء ترفض نفسها
وينفر منه صلبه حين ينسبُ
عجبت له كيف استقام وبعضه
يناقض بعضًا مثلما اعوجَّ أحدبُ
لقد دبَّ في أعراقه الوهن مثلما
تجاوز أقصى العمر كهفٌ وغيهبُ
أراد قيامًا فانحنى فيه كاهلٌ
وظَهْرٌ أبى أن يستقيمَ ومَنْكَبُ

– ٢ –

والأرضُ كالناس بعضٌ رحمةٌ فتحتْ
وبعضُهمْ يابسٌ الأنحاء مسدودُ
وقد تجفُّ قلوبٌ في أضالعِها
كما تجفُّ بأغصانٍ عناقيد
وقد يحاصرُ نهرٌ في سواحلهِ
وينزوي فسواقيهِ أخاديد

****

Book14.indd 750 3/8/14 4:04 PM

قراءة الحجر

مـــــاذا تـــقـــول ســـواحـــلُ الأحـــــلامِ
فـــي الـنِّـيـلِ والأحـــجـــارُ فـــي الاهـــرامِ
ســكـنَ الـــهـــوى بـهـمـا ولـــم يـبـرحْ هنا
أبـــــدًا مـقـيـمًـا حـيـث لاتَ مـقـامِ
إلا لمـــامـــةَ غـــــارفٍ وهـــل ارتـــوى
عـــشـــقٌ بِـــغَـــرْفَـــةِ غـــــارفٍ ولمـــام
قـــالـــوا هِـــي الاهـــــرامُ قـلـتُ تـلـبّـثـوا
كـــي نـــقـــرأ الأيـــــامَ فـــي الأهـــــرام
حـجـرٌ كـأبـراج الـــحَـمـام تـنـاسـقـتْ
أضـــلاعُـــه أو فـيـه صـمـتُ حِـمَـام
تـتـعـاقـبُ الاعـــــــوامُ وهـــو كـأنـهُ
يُـسـقَـى ويَـشـربُ مـن هـوى الأعـــوام
وكـأنمـا الـصَّـخـرُ المـبـعـثـر حـولـهـا
أعـضـــاء أشـبـاحٍ عـلـى أجـسـام
تـسـتـنـطـقُ الإحـســاس وهـــي هـوامـدُ
وتـقـول بـعـضَ الـقـولِ دون كـلام
أرضٌ مـنـابـتُـهـا الـنّـقـوشُ كـأنمـا
جـــاءت حـجـارتُـهـا مـن الإلـهـام

Book14.indd 751 3/8/14 4:04 PM

نـتـلـوا حـطـامَ بـنـائـهـا فـنـرى الـذي
مـــا غـــاب عـنّـــا فـــي نـــثـــارِ حـطـام
فـــإنمـــا الاشـــيـــاءُ يمـكـث بـعـضُـهـا
فـــي بـعـضِـهـا. وتـلـوح فـي الأوهـــام
حـجـرٌ يـحـاول أن يـقـولَ وبـعـضُـهـمْ
حـــجـــرٌ ولـــكـــن مـــن دمٍ وعـظـام

****

Book14.indd 752 3/8/14 4:04 PM

من خرائط البرق

(لم يعلموا العلم..)

لـم يـعـلـمـوا الـعـلـمَ ولـم يـفـهـمـوا
شـيـئًـا وإن حـدثـتُـهـمْ جَـمـجـمـوا
ولا يَـــــرَوْنَ الـــشـــرُّ إلا إذا
جـــاءهـــم الـــشـــرُّ ولـــم يـعـلـمـوا
أشـــيـــاؤهـــم اكـــبـــرُ مـــن كـونـهـم
وكـــونُـــهُـــمْ ضـــاق بمـــا يـكـتـم
وأمـــسُـــهـــمْ مـــا زال فـــي يـومِـهـم
كـالـعـطـرِ فـــي أكـمـامـه يـخـتـم
كـــأنّـــهُ اســتــهــلــكَ اســبــابَــهُ
الأولـــــى وجـــاء الـــزمـــنُ المـعـتـم
جـاءهـم الـعـالَـمُ مـن حـيـث لـم
يـــدروا بـــه.. والـبـعـضُ مستسلم
وكـــلُّـــهـــمْ يـــأوي الـــى قـــوّةٍ
لا أحـــدَ مـــن بـطـشِـهـا يـسـلـم
وكـــلُّـــهـــم هـــاجـــمَ إنـســانَـهُ
فـــيـــه.. وفـــي قُـــنـــوطـــهِ ملـجـم
تـبـلَّـدَ الـنـاسُ فـلا عـاقـلٌ
يـرجـى ولا ذو قـــوّةٍ يَـرحـم

Book14.indd 753 3/8/14 4:04 PM

وضـــجَّـــتِ الأرضُ بـأشـلائِـهـا
وضـــجَّـــتِ الـدنـيـا وضـــجَّ الـــدّم
تجـــــاوَزتْ عـــصـــورَ غـابـاتِـهـا
أو هَـــرِمَـــتْ والـــشـــرُّ لا يَـهـرم
أظـفـــارُهَـــا تـنـهـشُ فـــي جـلـدِهـا
نـهـشًـــا وفـــي حـجـارِهـــا تـرجـم
يُـــحـــرَقُ الـنـخـلُ بـشـطـآنِـهِ
ويُـسـحـقُ الـزيـتـونُ والسِّـمـسـم
وأنـــت يـــا رمـــلاً يـكـاد الـشـذا
يـسـكـنُـه.. يـــا صـــخـــرةً تحلم
أنـبـيـكَ أن الأرضَ قـد هـاجـرتْ
إلـيـك أو فـيـك لـهـا مـوسـم
كـأنـهـا تـرمـي بـاثـقـالِـهـا
كـمـا رمـــى أحـــجـــارَهُ المحـــرِم
ولـــم يـــزلْ لـلـفـكـر روادُه
يـسـتـقـرئ الـغـيـبَ ويَـسـتـلـهـم

****

Book14.indd 754 3/8/14 4:04 PM

حادث الغدر[1]

وقَـــــاكَ ربُّـــــكَ فـــي حـــلٍّ وتـــرحـــالِ
وجـنَّـبَ الـنـاسَ يـومًـا لـيس فـي الـبـالِ
تجـــرّأوا أن يـعـوقـوا مـوكـبًـا سَـلـكَـتْ
ركـــابُـــهُ بـــين آســـــادٍ وأشـــبـــال
عـلـى الـضـفـافِ الـتـي لـــلآنَ مـا بـرحـتْ
لـــكُـــمْ بـهـا صـــوتُ مـــجـــدافٍ ومـــوّال
وعـــن يـــســـارِكَ أرضٌ طـالـمـا شـهِـدَتْ
لـــكـم مـــواســـمَ إنـــعـــامٍ وإفـضـــال
كـــادت مـنـازلُـهَـا الأولـــى تـراشـقـهـم
صـــخـــرًا ويـحـذفُـهـمْ بـحـرٌ بـشـلال
كـأنمـا الـرمـلُ والأمـــــواجُ قـد صـنَـعَـا
ســـورًا مـنـيـعًـا وأنـتـم سـورُهـا الـعـالـي
وأنـتـمُ الـنـخـبـةُ الأولـــى الـتـي ظـهـرتْ
لـكـي تـصـحِّـحَ أخـطـــاءً لجِـهـال

(١) نظم الشاعر هذه القصيدة بعد حادثة الاعتداء الآثم على موكب حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح في الخامس والعشرين من يوليو ١٩٨٥، عندما كان يعبر موكب سموه شارع الخليج العربي متوجهًا، إلى قصر السيف العامر، حيث اندفعت سيارة كانت تقف عند فتحة جانبية حاول سائقها اقتحام موكب سموه، إلا أن رجال الحرس الأميري اعترضوا السيارة وتعاملوا معها فانفجرت وانفجرت معها إحدى سيارات الحرس الأميري، مما أدى إلى استشهاد اثنين من أفراد الحرس الأميري، أما حضرة صاحب السمو الأمير فقد حفظه الله ورعاه ونجاه من هذه المحاولة الآثمة حيث لم يصب إلا بجروح طفيفة. (نشرت القصيدة في مجلة الكويت العدد ٣٦).

Book14.indd 755 3/8/14 4:04 PM

واجـهـتـمُ المـــوتَ فـــي شـتـى مـواقـفـهِ
وجـهًـا لـوجـهٍ فـكـنـتـم خـيـرَ أبـطـال
كـأنـكـمْ فـــي دروعٍ لا تـلـــينُ إلـى
ســـــلاحِ عـصـــرٍ تـبـنَّـى كـــلَّ دجـــال
أو أنـــكـــمْ فـــي ســـــلاحٍ لـيـس يملـكُـهُ
سِـــواكـــمُ وحـــصـــونٍ ذاتِ أقـفـالِ
فـقـد نجـــوتَ بـحـــالٍ لا نجـــاةَ بـهـا
كـأنـهـا بـعـضُ آيـــــاتٍ وأمـــثـــال
يـا حـاقِـنًـا دمَ مـن هـانـتْ دمـاؤهُـمْ
ومـاسـكًـا أرضَ مـن هُـــزَّتْ بِـزلـزال
لـئـن تمـــادى بـهـم مـكـرٌ فـقـد سقـطوا
فـي مـكـرهـم كـسـقـوطِ الـهـيـكـلِ الـبـالـي
يـا جـابـرًا كـلَّ عـظـمٍ. يـا مـنـارَ هـدًى
يـا جوهـرَ الـفـكـرِ.. بل يـا شيـخنا الـغـالي
إنَّ الخـــدوشَ الـتـي فـي وجـهـكَ انتشرتْ
فـي حـــادثِ الـغـدر أبـكـتـنـي وأطـفـالـي
فـــزعـــتُ أبـــحـــثُ عـــن شـــيءٍ أقـــوم بـه
فـمـا وجَـــدتُ وخـــارتْ كـــلُّ أوصـالـي
لأنـــتَ أكـــبـــرُ مـــن شـــعـــرٍ وقـائـلِـهِ
شـــتَّـــانَ مـــا بـــين أقـــــوالٍ وأفـــعـــال
وقـد تـصـبَّـرتُ كـي يـأتـي فـمـا فـسَـحَـتْ
لـــه الـهـمـــومُ وكـــانـــت ذاتَ أثـقـال

****

Book14.indd 756 3/8/14 4:04 PM

وادي البلابل

تـــودُّ رقـــــادًا لـــو يُـــتـــاحُ رقـــادُ
عـــيـــونٌ لـــهـــا حـــالاتُـــهـــا وفـــؤادُ
خَـلـيـلـيَّ فـي وادي الـبـلابـل والـضـحـى
أحـــقًّـــا دعـــتـــكـــمْ هـــمّـــةٌ وجـــهـــاد
لـئـن كـنـتـمـا قـد ثـرتـمـا فـلـطـالـمـا
ولا تـحـزنـا إن الـــصِّـــراعَ يـــراد
لـئـن هَـدَّمـوا بـيـتًـا لـلـيـلـى فـقـبـلَـهـا
بـكـتْ دارُهَـــا فـــي الـرِّقـتـيـنِ سـعـاد
وكـان صـراعُ الـنـاسِ أرضًـا فـأردفـت
عـــقـــولاً.. وأمـــا أنـتـمـا فـسـداد
ضـلـوعٌ بـهـذي الأرضِ تمـتـدُّ فـيـكـمُ
كـذلـك فـيـكـمْ فـكـرةٌ وعـنـاد
تـخـلّـلَ هـذا الـنـاسَ نـاسٌ شـبـيـهـه
يُـــكَـــرَّرُ فـــي أشـكـالـهِ ويُـعـاد
ومـــا هـــذه الأفـــكـــار إلا سـلالـةٌ
تـلـوحُ بـرسـمٍ والـرسـومُ جـمـاد
لـئـن فـقـدتْ نـقـشًـا صـخـورٌ فـإنـهـا
تمـاسـكَ مـنـهـا هـيـكـلٌ وعـمـاد

Book14.indd 757 3/8/14 4:04 PM

سـلامٌ عـلـى الـنـهـرِ الحـزيـنِ كـأنـه
كـمـا قـيـل عـنـه أحـمـرٌ ومِـداد
إذا مـا غَـفَـتْ تـلـك الـنـواعـيـرُ حـولَـهُ
تحـرَّكَ فـيـه بـلـبـلٌ وحَـصـاد
وقـد سـدَّدَ الـرمـل الـديـون عـلـى الـتـي
خـطـتَـنـا رَوَابٍ عـنـدهـا وَوِهـاد
خـلـيـلـيَّ فـي وادي الـبـلابـلِ إنـنـا
نـكـاد نـلاقـي دربَـنـا ويـكـاد
ولـكـنَّـنـا كـلٌّ لـه مـعـطـيـاتُـهُ
وكـلٌّ لـه زيـتـونـةٌ وبـلاد

✱✱✱✱

Book14.indd 758 3/8/14 4:04 PM

بيني وبينكم فضاء واسع

بـيـنـي وبـيـنـكـم فـضـاءٌ واسـعٌ
لـن تَـبْـلـغـوهُ وحـاجـزٌ ومـوانـعُ
شـتَّـانَ بـين أضـالـعٍ مـطـمـوسـةٍ
واضـالـعٍ فـيـهـا شـعـاعٌ ساطـع
ولـئـن رَغَـبْـتْ بـكـمُ الـسـيـولُ فـإنـكـم
رغـوٌ عـلـى تـيّـارهـا وفـواقـع
ورواسـبٌ مـحـذوفـةٌ بـسـواحـلٍ
يـرمِـي بـهـا تـيـارُهَـا المـتـدافـع
أولَا تـرى كـيـف اسـتـفـاقـتْ دولـةٌ
فـإذا بـهـا مـدنٌ وكـونٌ شـاسـع
كـانـت مـهـابـطَ لـلـذئـاب فـأصـبـحـتْ
وحـيَ الـهـوى والـشـعـرَ فـهـيَ مـرابـع

****

Book14.indd 759 3/8/14 4:04 PM

صبرًا

صـــبـــرًا وإنْ قـــلَّ صـبـرٌ
وقـــــد تـــــعـــــذَّرَ أمـــــرُ
صـــبـــرًا عـــلـــى كـــل حـــالٍ
فـــكـــلُّ حـــــــالٍ تمـــرُّ
هـــــم عـــصـــبـــة تـــتـــلـــظّـى
شـــــــرًّا ولا تـــســـتـــقـــرُّ
يُـــوحَـــى لـــهـــا ثـــم يـــرخـــى
لـــهـــا عـــنـــانٌ وسِـــتـــرُ
رواســـــــبُ الأمـــــــسِ فـيـهـا
ومـــــا يـــخـــلِّـــفُ دهـــرُ
ومـــــا تجـــــيءُ ســـيـــولٌ
بـــه ويـــحـــذفُ عـــصـــرُ
فـــي كـــلِّ أرضٍ خـلـيـطٌ
كـــمـــا تَجـــمَّـــعَ طـيـرُ

****

Book14.indd 760 3/8/14 4:04 PM

العشق أبدًا

تـضـيءُ عـيـونُـهـا فـيـضـيءُ وجْـدُ
بـخـديـهـا كـمـا يـحـمـرُّ وردُ
وتـنـفـضُ عـن ضـفـائـرِهـا عـبـيـرًا
إذا قـامـت كـمـا يمـتـدُّ وَقْـد
وثـوبٌ تـرسـمُ الأزرارُ فـيـه
مـشـاويـر الـهـوى مـن حـيـث تـبـدو
إذا انـحـرفـتْ عـبـاءتـهـا قـلـيـلاً
فَـلاحَ خـلالُـهـا بـرقٌ ورعـد
ولـم أرَ قـبـلَـه جـسـمًـا تـوارتْ
بـه حـركـاتُ وجْـدٍ لا تُـعَـدُّ
وقـالـت لا يـزال كـمـا عَـهِـدْنَـا
بـه مـن قـبـلُ قـال لـهـا وبـعـد
وقـالـت كـلُّ يـومٍ فـيـكَ قـلـبُ
فـقـال وأنـتِ مـن فـي الحُـسْـن فَـرْد
وقـالـت كـلّ يـوم فـيـكَ عـشـقٌ
فـقـال فـدتـكِ أسـمـاءُ وهـنـد
يُـخَـبِـطُ فـي الـهـوى زمـنًـا ويصحـو
عـلـيـك كـأنَّ هـواك وجْـد

Book14.indd 761 3/8/14 4:04 PM

يـــلاصـــقُـــهُ هـــــــواكِ فـــلا مـفـرُّ

لـــــه مـــنـــه وشـــــــوقٌ لا يُـــحَـــدُّ

وكـيـف يـــــردُّ عـــن قـلـــبٍ غـرامًـا

يُـــــعـــــاوده وقـلـــبًـــا لا يُـــــردُّ

وكـانـت فـي أقـاصـي الـوجْـدِ حتى

تـــهـــاوتْ مـثـلـمـا يَـنـــهـــارُ سـدُّ

يـحـلُّ ضـفـائـرًا ويـشـمُّ مِـسـكًـا

ويـنـقـشُ فـــي رخـــامٍ وهـــوَ قـدُّ

****

Book14.indd 762 3/8/14 4:04 PM

في سواحل الريحان[1]

هـــل لـــلـــصَّـــواري مـــن سـبـيـلْ
لـــك يـــا عـــيـــون الـسـلـسـبـيـلْ
يـــا ســـاحـــل الـــرَّيـــحـــانِ والـــ
ـــحـــنـــاء والـــظـــلِّ الـظـلـيـل
فـلـقـد طـمِـئـتُ ولـــم أجـــدْ
إلاكِ مـــن يُـطـفـي غـلـيـلـي
ولـقـد يـئـسـتُ مـــن المـطـافِ
كـمـا تـعِـبـتُ مـــن الـــنـــزول
غـصّـتْ أغـانـي الـعِـشـقِ أو
كـــأدتْ وأخـــرســـنـــي ذُهـــولـــي

☆☆☆☆

أَعُـــمَـــانُ يـــا ذات الـفـضـا
ءِ الـــرحـــب والأرضِ الـبـتـول
يـــا أمَّ مـســقـطَ والجـبـا
لِ الـــشـــمِّ والخـــيـــرِ الجـزيـل
لـــو أســتـطـيـعُ مـكـثـتُ دهـ
ـــرًا فـيـكِ يـا أحـــى حـقـول
يـــا أبـــحـــرَ المـــرجـــانِ والـــ
ـــيـــاقـــوتِ يـــا أرضَ الـنـخـيـل

(١) أهدى الشاعر هذه القصيدة لصاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد سلطان سلطنة عُمان.

Book14.indd 763 3/8/14 4:04 PM

لأُتـــــرجـــــمَ الأشـــــجـــــارَ ذا
ت الـطـيـرِ والـفـيـضِ الجـزيـل
وزخـــــــــارفَ الألـــــــــوانِ فـي
تـــــرفِ الحـــــجـــــارةِ والـتّـلـــول
بـــــكِ مـــــن فـــنـــونِ دمٍ عـريـ
ـــقِ الـنّـبـضِ دفّـــــاقِ الـهـطـول
إن الـــــدمـــــاءَ قـبـائـلٌ
ولَـــنِـــعـــمَ ذلـــك مـــن قـبـيـل
زالَ الـــغـــزاةُ جـمـيـعُـهـم
ومـكـثـتِ أنـــت ولـــن تـزولـي
وسـتـمـكـثـيَن مـنـيـعـةَ الـ
أركـــــانِ راســـخـــةَ الأصـــول
فـــي عـــهـــدِ قـــابـــوس الأمـيـ
ـــنِ الـقـائـدِ الـفـذّ الـنـبـيـل
والمـــهـــتـــدي بـخـلائـقٍ
هـــي فـــي سُـــراه كـالـدّلـيـل
خُـــلُـــقٌ تـــوارثـــهـــا الأُبـــا
ةُ الـصِّـيـدُ مـن جـيـلٍ لجـيـل
والـــفِـــكـــرُ ذو زيـــغٍ يـطـيـ
ـــشُ ولـيـس كـالخُـلُـقِ الأصـيـل
فـرِحـتْ جـبـالُ عُـمـانَ بـالـمـ
ـــلـكِ المـظـفّـرِ والجـلـيـل
جـبـلٌ يـضـافُ إلـى الجـبـا
لِ الـشُّـمِّ والمـجـدِ الأثـيـل

Book14.indd 764 3/8/14 4:04 PM

وبـــــه الـــسـكـيـنـةُ والـــوقـــا
رُ كـــكـــوكـــبـــينِ بـــــلا أفـــــول
فـــكـــأنـــه قـــمـــــرٌ ولـــــ
ـــكـــنْ قـــد تـــواضَـــعَ فـــي الـــنُّـــزول

☆☆☆☆

أعُـــــمـــــــانُ إنـــــي قـــد سـلـكـ
ـــتُ الأرضَ فـــي عـــــرضٍ وطـــول
وســـمـــعـــتُ هـــاجـــسَـــهـــا الـعـمـيـ
ـــقَ وصـــــوتَ مِـــحـــورهـــا الـهـزيـل
خـــلـــعـــت بـــــراءتَـــهـــا الـــقـــديـ
ـــمـــةَ أو تـــــدانـــــتْ لـــلأفـــول
وتـــلـــبَّـــســـتْ فـــي الـغـامـضـا
تِ الـــعـــاصـــيـــاتِ عـــلـــى الحُـــلـــول
فَـــتـــمـــسّـــكـــي بـــهُـــدى المـلـيـ
ـــكِ فـــإنـــه عـــــينُ الـــدلـــيـــل
فـــلـــقـــد تمـــــــــرَّسَ بـــالحـــيـــا
ةِ ومـــــا تـــــوارى فـــي الـــسُّـــدول
فـــيـــه ســـــمـــــاتُ المـلـهـمـيـ
ـــنَ ورونـــــقُ الـــسـيـف الـصـقـيـل
وبـــــكـــــلِّ نـــــاحـــــيـــــةٍ لـــه
أثـــــر الـــســـحـــائـــبِ والـــســـيـــول

☆☆☆☆

أعُـــــمـــــــانُ هـــــل تُـــصـــغـــينَ لـي
فـــلـــقـــد ســـمـــعـــتُ ولـــــم تـــقـــولـي

Book14.indd 765 3/8/14 4:04 PM

تـــرجـــمـــتُ هـــمّـــكِ فـــي جـبـا
لـــكِ أو جـمـالـكِ فـــي الـسُّـهـول
إنـــي عـــشـــقـــتُـــكِ واصـطـفـيـ
ـــتُـــكِ أو جـعـلـتُـكِ كـالـخـلـيـل
أعُـــمـــانُ هـــل لـــي مـــن مَـقـيـ
ـــلٍ فـلـقـد تـعـبـتُ مـــن الـرحـيـل
لأعـــيـــدَ فـيـك قـصـائـدي الـــ
أولـــــى وأخـــــرجَ مـــن طُـلـول

☆☆☆☆

ولـــقـــد شـــجـــانـــي قـــــولُ تـلـ
ـــكَ غـــــداةَ داهـمـنـي قُـفـولـي
قـــالـــتْ أتـــهـــجـــرُنـــا وكـــا
نَ لـــقـــاؤنـــا كـالـمـسـتـحـيـل
وتـــركـــتُـــهـــا تـبـكـي عـلـيْـ
ـــيَ وبـــي حـــنـــينٌ كـالـعـويـل
لا تـســتـطـيـعُ بـــي الـلـحـا
قَ ومـــا إلـيـهـا مـــن وُصـــول
وطـــفـــقـــتُ أســـــألُ عـــن ربـا
كِ وذلـــــكَ الـــزمـــن الجـمـيـل
ومـــجـــالـــسِ الـــسّـــمـــارِ حـيـ
ـــن نجـيـئُـهـا عـنـد الأصـيـل
وروائـــــــحِ الحـــلـــوى وقـهـ
ـــوتِـهـا ومـــــاءِ الـزَّنجـبـيـل
وحـــــنـــــينِ نـــــاعـــــورٍ يـدو
رُ بـفـرحـة الـــنَّـــزقِ الـعَـجـول

Book14.indd 766 3/8/14 4:04 PM

وســقــيــفــةٍ كــالــهــودجِ الْــ

ــمــرفــوعِ تحــت ذُرى خَــمــيــل

وحــصًّــى كــمــنــخــرطِ الــقــلا

ئــدِ أو كــيــاقــوتِ الحُــجــول

والــراقــصــيــنَ مــع الــسـيـو

فِ الــهــازجــيــنَ مــع الــصَّــلــيــل

خِــلْــتُ الــدفــوفَ مــن الــطـيـو

رِ وصــوتَــهــنَّ مــن الــهــديــل

مــتَــجــاوبــاتٌ مــثــلــمــا

يُــصــغــى الــزمــيــلُ إلــى الــزمــيــل

بــأكــفٍّ مــتــقــديــنَ مــن

عــشــقٍ وحَــمَّــالــي حُــمــول

يــتــألّــقُ الــتــاريــخُ فــي

تــلــكَ المــلامــحِ كــالــدلــيــل

ويــروِّضــونَ شــراســةَ الــ

أيــامِ والــزمــنِ الــبــخــيــل

ويُــوقِّــرونَ الأرضَ حِــيْــ

ــنَ تــيــطــشُ فــي ورعِ الــعــقــول

وبــذلــكَ الــنــهــجِ الــقــويـ

ــمِ وذلــكَ الــسـنـدِ الــكــفــيــل

فــي دولــةِ الــسـلـطـانِ (قــابــوس)

وقــائــدِهــا المــعــيــل (م)

Book14.indd 767 3/8/14 4:04 PM

قـــابـــوسُـــنـــا مـــلـــكٌ إذا
ذُكِـــــرَ المـــلْـــوكُ بـــلا مـثـيـل
وإذا طـلـبـتُ لـــه الـبـديـ
ـــلَ فـمـا لـشـمـسٍ مـــن بـديـل
خُـــلـــقٌ يُـــضـــاء بـــه وفـكـ
ـــرٌ فـــي مـــدى نـــهـــجٍ طـويـل
لـــكَ فـــي عُـــمـــانَ صـنـائـعٌ
ســتــظــلُ مـــن جـــيـــلٍ لجـيـل
فـــــاذا مـــدحـــتـــكَ زدتـــنـــي
شـــرفًـــا بمـــدحـــكَ والـــقُـــبـــول
جَـــمُّ الـــتـــواضـــعِ والـفـضـا
ئـــلُ فـيـك لـيـسـتْ بـالـقـلـيـل
فـلـمـحـتُ بـــرقـــكَ لاح لـي
عـــبـــرَ المـــهـــامـــهِ كـالـرسـول
والـــعِـــطْـــر يُـــنـــشـــقُ والـــورو
دُ خَـبـيـئـةٌ خـلـفَ الـفـصـول
والـــشـــعـــرُ تـــرجـــمـــةُ الـصـنـا
ئـــعِ والـفـضـيـلـةُ فـــي الـفـضـيـل

****

Book14.indd 768 3/8/14 4:04 PM

خلق من ذهب

(أبـــا عـــلـــيٍّ)[1] خُـلـقـتَ مـن ذهـبٍ
إن كـان بـعـضُ الأنـــامِ مـن خشبِ
يمـــــدُكَ الـلـــه فـــي عـنـايـتـهِ
ولـطـفِـه واصـطـفـاكَ لـلأدب
كَـبُـرتَ عـن مـنـصـبِ الـوزيـر فقد
أغـنـاك غـرّ الخـصـالِ عـن لـقب
يـشـعُّ فـي وجـهـك أدب الـسـمـو إذا
مـا عـبَـسـت أوجُـــهٌ بـلا سـبب
كـأنـك الـسـيـفُ فـي تـوقـدِه
يـشـعّ فـي هـالـةٍ مـن الحسب
والـنـاس مـن مـعـدنٍ فـبعضهمُ
مـن جـوهـرٍ والـكـثـيـرُ مـن حطب
تـأكـلُـه الـنـارُ حـين تـلمسه
وأنـتـمُ تـشـرقـونَ كـالـشُّـهـب
والـعـلـمُ والـفـكـرُ والـسـيـاسـةُ والحكمةُ
حـتـى عـلـوتَ بـالـرتـب

****

(١) هو الشيخ جابر العلي الصباح رحمه الله.

Book14.indd 769 3/8/14 4:04 PM

شيئًا فشيئًا تخرجين[1]

شيئًا فشيئًا تخرجينَ
من كونكِ امرأة إلى عطش تُغطيه الحرائر
والصياغات الحديثة والدم المغلوب
يفلت من يديك زمام قلبك
تهبطين الأرض ذات السطح
تنسكبين بين يديه
يكبح من جماحك
يطلق العطش الذي استرخى على عينيك
كالعصفورتين طواهما برد المساء
شيئًا فشيئًا تكبرين
وتهزّ جسمك نشوةَ العشرين
تطلق من وقوف النهر فيك
تسترخين كالشجرِ المحملِ بالفواكه
تفتحين خزائنَ التفاح
ها أنت اتَّحدتِ وصرت خطّاً ينحني للأرض
بلورًا قديمًا صرت رائحة الدماء الجاهلية
صرت امرأة حديثة
يا روعةَ الكشميرِ رنَّحه اهتزاز العمق

(١)نشرت في جريدة الوطن، الخميس ١١ نوفمبر ١٩٧٦.

Book14.indd 770 3/8/14 4:04 PM

كيف تساقطت تلك الحراشف

والجلود الزرق

إنك تستعدينَ الغريزة من جديد

شيئًا فشيئًا صرت أحذف منه في النّشوات

فاضَ النهرُ حتى أغرق القروي

كان يزيحُ عن مسراه أحجارَ الطريق

وعندما اجتمعت منابعه تدفق

أيها النهر الذي كانت غريزته تشمك

قبل أن تتغامز الألوان

قبل تراصدتك

كان يعلم أنك استحدثت عشقًا

أو أتاكَ العشق

كانن يريد أن يلقاك في الشوق المناسب

كنت أسرع منه

كأن النهر فيك تجاوز الشَّطان

كنت هوى يفتش عن هوى

كانت عيونك كالبحيرات البعيدة

كنت جاهزة كفاكهة الصباح

كحلوة الأعياد

ناعمة كألوان المفارش

كنت خاتمة النساء

✱✱✱✱

Book14.indd 771 3/8/14 4:04 PM

العطش السريع[1]

– ١ –

العطشُ السرعُ في الملامح السمراء
والصور التي لها مهابط
في الأعينِ السوداء
قد علّمتهُ الشعر والغناء
يا ثغرها الصغير يا عيونها الفضاء
يا شعرها الذي له تطايرُ الألوان
من مخاضةِ المساء
يا عزلةَ الدماء
متى؟
متى ينكشفُ الغطاء
عن هذه البيادر البيضاء

– ٢ –

ويجيء الليل بطيئًا
كحصانٍ أسود
يدخل صوتك من كل الأنحاء
صوتُكِ صوتُ النهرِ الباحثِ عن منبعه

(١)نشرت في صحيفة الهدف بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٧٦.

Book14.indd 772 3/8/14 4:04 PM

– ٣ –

ما جاءه أحد سواها
كان منعزلاً ومُحتدما
وكانت كأسُه العشرونَ جاهزةً
لقد كانت مظاهرةٌ من الألوان
كان العيدُ يخرج من ضفائرِها
من الثوب الفرنسي
الذي شهقت أعاليه
وكان العيدُ يضحكُ
في ملامحها المعبرة
في تصاميم الرداء

✶✶✶✶

Book14.indd 773

3/8/14 4:04 PM

حواشي المخمل[1]

عَلِّمني كيف أهواكِ كثيرًا
فلقد علّمني حبك أشياء
وقد كان خبيرا
علِّميني كيف صار الوقتُ عندي
حين ألقاكِ جميلاً وقصيرا
ولماذا يستحيلُ الشايُ خمرًا
مثلما أصبحت كنزًا وعبيرا
وله عزفٌ إذا جاءَ
وأضواءُ الخلاخيلِ إذا جئت
وقد صرتِ كمن تسكُنكِ الأرضُ
أو استوعبْتِ شكلَ العطشِ السامعِ
في الليل طيورا
طالما راقبتُ عينيك إذا جئت
وراقبتُكِ خصرًا مثلَ فتحِ الكفِّ
أو صارَ ارتخاءً وفُتورا
وطموحاتٌ بعينيك
وحالاتٌ عميقاتٌ
وقد كنتُ بصيرا

(١) نشرت في صحيفة القبس بتاريخ ٢٥ مارس ١٩٨١.

Book14.indd 774 3/8/14 4:04 PM

إنني أنقلُ عن عينيك صوتًا
وكذا أسمعُ في مشيتكِ الوَطْفاءِ
هزَّ الشجر المثمرِ
عيناكِ ثُريّاتُ دهاليزٍ
وأضواءُ حوانيتٍ
لماذا تجعلينَ الصمتَ أساسًا مثيرا
وأنا ما جئتُ بل جاءتْ ليَ الأرضُ
وجاءتني السّماواتُ
كأني أحلبُ النجمَ
وما زلتُ بعينيك جديرا
يبردُ الشايُ
ونبقى آخرَ الأخبارِ طَيْرينِ
يطيرانِ إذا نامت عيونُ الناسِ
أو كنا طيورًا
جاءني العشقُ ولا أدري
وما بيني وبين العشقِ شهرٌ
مثلما يعزفُ جمرٌ
ربما تَسْكُنكِ النار
ولا تَشْويكِ مثلي
جاءني العشقُ على دورقِ فُلٍّ
لم يكن فلاًّ
ولا زورقَ نعناعٍ على الماء
ولا كانت فتوحاتٌ من المخملِ

Book14.indd 775 3/8/14 4:04 PM

بل كانت تعدُّ الشايَ والثوبَ

وما أشهاك يا شعرًا

على عاطفةِ المرمر ينمو

وكأني امتطي النجمةَ عريانا

واجتازُ البُحورا

*****

Book14.indd 776 3/8/14 4:04 PM

من الرسوم الأخرى[1]

تجاوز القمر

بهاءَهُ فصارَ من حرائر

وصر من درر

وصار من قلائد

كأنها عاطفةُ الشجر

خلخالُها صوت لي

وشعرها وما انهمر

وخصرها وما سكر

وعطرها وما انتشر

وغمزة الخطو الذي يرسم أو يصنعني جسور

أنا رأيتُ النور

في جسدِ البلور

غشاؤه من نشوة الياقوت

أو غلائل الغروب

كأنها من عسل الخليل أو لبنان في الجنوب

كأنها من صحوةِ الشامِ إذا تماوجت

ونهرها الموهوب

كأنها تدخل من نوافذ الحسّ

(١)نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٢/٩/١٢.

Book14.indd 777 3/8/14 4:04 PM

ومن مغالقِ الضلوع

كأنها الينبوع

يبحث عن مصبهِ ونهرهِ الممنوع

كأنها رقصة وهزجها

يا هودجَ الأرضِ الذي يسكنُ في هودجها

يرتفع العشق

فيمسي فكرةً في برجها

حراكها من غَزل الحَمام

واقرأ الفجر على زخارف الرّخام

☆☆☆☆

لم تكن برقًا ولكن

ضوء خديها من البرقِ

وعيناها مدائن

وخزائن

لم تكن عطرًا وتفاحَ جنائن

أو تهاويلَ مفاتن

لم تكن عشقًا ولكن

من حضور قاطنٍ في وسَني

إنها فاتحةُ العشقِ الذي أدخلني

غرفة من جسد يسكنني

وبساتين من التبغ الذي أشعلني

وهي ما كانت من النور

ولا ما يشبه النور اذا اهتزّ على الماء

Book14.indd 778 3/8/14 4:04 PM

ولا سرب خلاخيل وأعناق حمائم

ذهبتْ صورتْها الأولى وصارتْ

صورًا أخرى.. وعيناها بداياتُ سلالم

يدفق المسك اذا اشتدت

وتنقادُ كطاووسٍ مُسالمْ

✷✷✷✷

Book14.indd 779 3/8/14 4:04 PM

حوار مع سلمى[1]

الـمْ تـرَ سلـمى كيـف عـافَـتْ صغـارَهـا
وكـيـف تـنـاسـتْ أهـلـهـا وديـارَهـا
بـلـى إنـهـا قـد هـاجـرت أو تـطـوّعـتْ
وقـد بـلـغـتْ مـن أمـرهـا مـا آثـارهـا
تـقـول وقـد مـال الخـيـالُ بـرأسـهـا
إلـى جـهـةٍ تـهـوَى كـثـيـرًا مـزارهـا
ويـحـجُـبـهـا عـنـهـا جـدارٌ وطـالـمـا
تـهـدّمـت الجـدرانُ إلا جـدارَهـا
أحـسُّ بـشـيءٍ سـوف يـأتـي كـأنـه
يـعـيـدُ لـسـلـمى رشـدَهـا واعـتـبـارهـا
كـأن بـهـا مـن نـشـوةِ الحـسِّ زخـرفٌ
أطـارتْ بـه أعـمـاقـه وأطـارهـا

ألم تنظري كيف ولوّا هروبًا
وشنّوا علينا الحروبا
ألم تنظري كيف صاروا رقيبًا
علينا وصاروا حدودا
ألم تنظري كيف صاروا علينا شُهودا
وصاروا جنودا

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٢/٣/٢٧.

Book14.indd 780 3/8/14 4:04 PM

وصاروا أسودا

لقد حاصروا الحربَ حتى استحالتْ حروبا

لماذا يشبَّون نارًا بلبنان

واعتمروا القدس حتى استحالتْ يَهُودا

تَحُوطُنا الحربُ والعالمُ المستعارُ

وما كنتُ أدري بأن التماسيحَ في الماء..

مثلُ التماسيح في الأرضِ

هذي صغارٌ

وهذي كبارٌ

من القدس يبتدأ الإنبهارُ

من القدس مرّ علينا النهار

رأينا انطلاقَ الزواحف من بشرٍ

والفرارَ الرهيبا

وخارطةً لوَّنُوها جنودا

هي الحربُ قائمةٌ كلَّ آنٍ

وتشملُ كلَّ بلادٍ وكلَّ مكانٍ

وأنّ الحقيقةَ في الناس صارتْ

ممارسةَ الغدر

صارت حبائلَ شتى

وفتكًا عجيبا

فمن ذا يُغَرْبِلُ هذا الخليطَ المريبا

وهذا الزمانَ الغريبا

ومن ذا يعيدُ اتزانَ العناصرِ

Book14.indd 781 3/8/14 4:04 PM

من ذا يناسقُ أضدادَها

من يَفُكُّ طلاسِمَها والغموضَ الرهيبا

تدبُّ دبيبَا

كذاكَ تهبُّ بشتى النواحي هُبُوبَا

✶✶✶✶

Book14.indd 782 3/8/14 4:04 PM

هاجر كلُّ العالمِ كي يسكننا[1]

إن الأشياءَ
تتجدّد كالإنسانْ
وتموت وتحيا كالإنسانْ
ما دخلوا القدسَ ولا لبنان
ما سكنوا الطورَ ولا سيناء
والأرضَ الأخرى والجولان
بل زحفوا في الأشياء
لما وقفت كلُّ الأشياء
وجدوا ما يشبههم
في مدن الخسف
وأسوار الأحزان
قلبوا الإنسان
حقنوه بألوان الحرباء
صنعوا نارًا تطحن صخرا
صنعوا ريحًا تنفخُ بحرا
وتمطّوا في الأجواء
وغدًا
حين يعمُّ الطوفان

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٢/٨/٨.

Book14.indd 783 3/8/14 4:04 PM

سيرونَ بأنهم سقطوا

بنقائضهم

بحبائلهم

وشباكهم الرعناء

كل الألوان إذا ذبلتْ تصبحُ صفراء

ولقد علمنا غربلة الألوان

والسير على الأسنان

من ينقذُ سيدتي ذات النبعين

من هذي الألوان السوداء

من زحف العالم

هاجر كلُّ العالمِ كي يسكنَنا

ويطوّقها

ويدجّننا

جاء العالم من خلف البحر

ومن عبر الأجواء

جاءت مدنٌ

جاءت أنحاءْ

جاءت أزياءْ

وانهارتْ قببُ الملحِ وأصباغِ الغوغاءْ

✱✱✱✱

Book14.indd 784 3/8/14 4:04 PM

وبعدما طحنوا لبنان[1]

ها هم يرفعونَ هراواتِهم على دمشق
بعد أن مضغوا لبنان ليبتلعوها
وها هم يمنحون النملَ أجنحةً
ليوغل بعيدًا متسربًا في الأنوف والملابس
أنها الحربُ في الأرض العذراء
ذات الكنوز الملغوزة في كل مكان
تحت الصخور الجاثمة كالجواميس المحنطة
تحت الجدران الواقفة كالأيدي المؤشرة
وعند الشواطئ الممتدة كالسجاجيد
وفي المدن الهادئة في الليل كالحوامل
والمتشنجة في النهار كالنحل الجبلي
لقد أطلقوا نملهم الطائر
بعد أن طحنوا لبنان كي يعجنوه
وبعد أن وضعوا القدسَ على كفّ عفريت
ثم جاؤوا بعوّاماتهم الذريةِ
وجنودهم المدججينَ بالغموض
وخرائطهم العسكرية ذات الخطوط الحمر

(١)نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٣ سبتمبر ١٩٨٢.

Book14.indd 785 3/8/14 4:04 PM

مهددين الشام بعدما ملأوا البقاع بالمصفحات

والصواريخ المدثرة بالأغصان والأعشاب

☆☆☆☆

منذ خمسينَ سنةٍ وأكثر

وهم يستعدون للحرب

ومنذ أيام قليلة فقط تتجسد الخارطة

عندما ارتطمت بالعيون ارتطامًا

وعندما تلاها الناطق الرسمي

القادم من الكونغرس على صهوة طائرته

مع حقيبته الدبلوماسية المشحونة بالأوراق الأخرى

☆☆☆☆

فبماذا تحاربين الحديد أيتها الأرض البكر

أيتها الطيور التي تركت رواشنها وحدائقها

أيتها النوارس المذبوحة على الشطظانَ

أيتها الزهور الملطخة بالدم والحليب

أيتها الجنائن المحاصرة بالحرب والقمل

والمنافقين الذين يمتهنون الدعارة السياسية

والمستفيدين من الحرب لأنهم عجزوا عن المواجهة الفكرية

عجزوا عن قراءة هذا العالم الذي بدا يمتد

ليكتسحَ الجاثمين على أشجاره كالجراد

والمتمططين على سواحله كالأشباح

والمتلثمين بالأصباغ والشعارات

أنه زمن الغربلة واجتياز الموانع

Book14.indd 786 3/8/14 4:04 PM

إنه زمن الإنسان المفكر لا المتسكع

والمتأرجح كذيول الأيائل الخائفة

☆☆☆☆

هم يستعدون للحرب

ومنذ أيام قليلة فقط تتجسد الخارطة

تتجسد الخارطة على حقيقتها

عندما ارتطمت العيون ارتطاما

وعندما تلاها الناطق الرسمي

القادم من الكونغرس على صهوة طائرته

مع حقيبته الدبلوماسية المشحونة بالأوراق الأخرى

☆☆☆☆

ولماذا يحاصرون الحرب؟

لماذا يرشقون العصافير بالنار

والنخل وأشجار الكرز

والينابيع وسمك الأنهار الصافية

والأطفال عند النوافير

ولماذا يطلقون النار على الحوامل

على الكتب ونمارقها الناعمة

على المقاهي وحوانيت التبغ والنبيذ

على العاشقة القادمة من السوق

على ممرات الريحان ونوافذ الغرف الساهرة

على الأرض التي ملأت جيوبهم

لماذا يحاصرون الحرب فوق أرض النعناع

Book14.indd 787 3/8/14 4:04 PM

والقمح والعنب الذي يواصل قطافه

واخضرار دواليه في جميع الفصول

☆☆☆☆

وأنت يا دمشق

أيتها الشام

أيتها الخارجة من كل العواصف

ومن جميع الاتجاهات ناصعة

طاهرة ومتوهجة كالعنب في الفجر

ويا أيتها المغطاة بالخضرة والمنائر

أياك أن تفقدي نصاعتك القديمة

وذكاءك الذي أخرجك من الظلمات إلى النور

إياك يا دمشق

وكوني حذرة أيتها الأخت

✶✶✶✶

Book14.indd 788 3/8/14 4:04 PM

هنا أشياؤهم وهناك جندهم[1]

جاؤوا وما دخلوا من الأبواب
بل جاؤوا بكم
كانوا غرائزكم. وكانوا الصورة الأخرى لكم
نادوا فجاوبهم دم فيكم يمارس قتله فينا
وأرهقنا كثيرًا
جاؤوا ولم تتوقعوا
جاؤوا وكنتم تحلبون الأرض والإنسان
ما كانوا قُساةً مثلما كنتم. بلى. كانوا وحوشًا
مثلما كنتم. ولكن جددت أنيابها
وتهدمت أنيابكم فينا
وعانيناهم فيكم دهورا
أرض محاصرة بماضيها الذي حجزوه
إنسان مكشفة نواحيه مشاع
تحته ماء وخضراء
وفي فمه غثاء الريح. يحترف الضياع
ويسكن الزمن الأخيرا
مدن من البلور
حارات من النعناع والتبغ المهرب

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٢/٨/٢٢.

Book14.indd 789 3/8/14 4:04 PM

ملتقى النهرين

أبار من الياقوت نادتهم

فجاؤوا يستحثون الحديد

ويركبونَ الريح والأنفاس

وامتشقوا البحورا

من أين لم يأتوا؟ أتوا من كل ناحية

وما دخلوا من الأبواب. لا بابَ هنا

من أين لم يأتوا؟ أتوا منكم ومنهم

أصبحوا جيشًا وأطماعًا تنافسكم

وكانوا إخوةً في الدين

كانوا إخوة في المال

كانوا اخوة في الجنس، ثم تقاسموكم

واستخفوكم جميعًا

وسيوغلون

وربما وصلوا ولا ندري

هنا أشياؤهم وهناك جندهم

هنا أشباحهم وهناك صورتهم

هنا بصماتهم وهناك زحفهم

لقد جاؤوا ولا تدرون أو تدرون

واصطدموا بعزلتنا وغفلتكم

كان شواطئ المتوسط امتدت

لتغزونا عساكرهم وتغزوكم موانئه

كأن جسورهم تمتد في كل اتجاه

Book14.indd 790 3/8/14 4:04 PM

والموانع تمنع التاريخ أن يأتي
وما كانت لردع
والموانع تحجب الآتي ورؤيته
وكل سلاحكم منهم
ويمتدون
ينتشرون في المدن التي فقدت هويتها
وصارت تقتفي المدن التي رجمت ودكّت
ثم عاودها المخاض، ولقحت بمعادن الأرض
التي يبغونها نهبًا سريعا.

✷✷✷✷

Book14.indd 791 3/8/14 4:04 PM

الغضب سيد المواقف[1]

تقولين فجأنا الطير والحوت والذئب
كوني من الطير والحوت والذئب لو تستطيعين
إن المخالب جائزة. والحراشف من صفة العصر
من لا أظافر فيه يكن نهزة للأظافر والنهش
هم علّموك المناحات والدمع فأبكي كثيرا
ونوحي كثيرا
وهم علموك التسكع في الحزن
أعطوك حرية الدمع والنوح
واحتجزوا الأفق
والماء
والأرض
أين اتجاهك؟
صارت شعائرهم في اللحى وانتحال الشعارات
صارت شعائرهم أن يكونوا شرورا
تقولين فاجأنا الوحش
قولي مكثنا بعزلتنا وانتشار النقائض فينا
ونوباتنا والضياع الذي يعترينا
ولن تنتهي الحرب

(١)نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٢/٩/١٩.

Book14.indd 792 3/8/14 4:04 PM

جددت الحرب أنيابها

وأزياءها

وساحاتها. والسلام الذي يدعون من الحرب

وحش من الحرب. نوع من الحرب

إن السلام الذي يدعون مراوحه

واختراع سلاح جديد

تطورت الحرب، صارت قنوطًا رهيبا

وموتًا عجيبا

كأني أصيخ فأسمع طيرًا

يلقنني سورة الحرب هم جددوا آلة الحرب

ما جددوا الحرب ليس غريبا عليك الجراحات

ليس غريبًا عليك اقتحام المجاهيل والصمت

إن الحروب ستبقى

وإن الحروب لشتى

وما جاءت الحرب

جاء الذين استعاروا السلاح

وجاء الذين انتميت لأشيائهم

وأزيائهم

واغمائهم

وكنت افقت اخيرًا

رأيت أساطيلهم في المحيطات والأفق

صاروا ذئابًا من الناس

صاروا تتارًا حديثًا وعلمًا ضريرا

Book14.indd 793 3/8/14 4:04 PM

لقد سقطوا في رثاث الشعارات

والبعض في هوس المال

مازلت سيدة العقل والأرض

رغم الجراحاتِ والغدر

مازلت صاحبةَ الأمر

رغم انهمار الثلوج

ورغم انهيار الطلول

ورغم انتفاخ الفقاعات

لم تسقط الأرض جددت الأرض بنيانها

وانسانها واستحالتْ نشورا

✷✷✷✷

Book14.indd 794 3/8/14 4:04 PM

من خرائط البرق[1]
(اختر موتًا من موتين)

اختر موتًا من موتين
إما أن يأكلك التمساح أو الذئب
أو أن تحيا في المابين

☆☆☆☆

كلُّ الأشياء لها
حركاتٌ تنبضُ أو تزحفُ فيها
يتحرك كلُّ حديدِ الأرض
وتنمو كل صخور الأرض
وتزحف كل جبال الأرض
إليكَ ولا تدري

☆☆☆☆

لغة في الألوان
لغة في الحركات
لغة في كل الأشياء

☆☆☆☆

صوتٌ في الألوان
صوتٌ في الحركات
صوتٌ في كل الأشياء

(١)نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٢/١٢/١٢.

Book14.indd 795 3/8/14 4:04 PM

ورحيلٌ لم يتوقف في سكناتِ الأكوان

☆☆☆☆

لكأني أسمع أشياء تزحف

تنمو

تحتل الأشياء الأخرى

ولغات أخرى أرسمها

وأعاقرها

ليس العالم ما ننظره

ليس العالم ما نلمسه

☆☆☆☆

تعتزل العالم أو تدخل معركة فاشلة

فالشر يسانده الشر

والخير ثواب يتأجل

تعتزل العالم أو نلبس ألسِنةً

ووجوها شتى

وعيونا شتى حتى تتحلّل

تعتزل العالم أو تتقمص أشباحًا

تعتزل العالم أو تعزل نفسك

عن نفسك

عن جلدك

عن أرضك حتى نتبدل

تعتزل العالم أو ترحل

☆☆☆☆

Book14.indd 796 3/8/14 4:04 PM

لن يفلت منكم أحد فالخطة محكمة. أولها

أن ينقسم الإنسان إلى قسمين

يقول نعم في ظاهره

ويقول كذلك لا في باطنه

☆☆☆☆

لن يفلت منكم أحد ما داموا

قد وجدوا شكلاً آخر للإنسان

وقلبا آخر للإنسان

ومفهوما آخر للإنسان

☆☆☆☆

لن يفلت منكم أحد ما دامت

كل الأشياء تجيء كما شاؤوا

والحرب كما شاؤوا

والسلم كما شاؤوا

☆☆☆☆

لن يفلت منكم أحد ما دمتم

كتباً نتصارع

أو نوبات دماء تتقاتل

أو نزعات تتقمص تاريخا

تتكرر فيه الحالات الأولى

وكهوفهم الأولى

وصخورهم الأولى

☆☆☆☆

Book14.indd 797 3/8/14 4:04 PM

إن التاريخَ دم
يتحرك في جسد الأرض
لا يسعُ الجسمَ سوى دمه

✶✶✶✶

Book14.indd 798 3/8/14 4:04 PM

لبنان وليالي الميلاد[1]

هل تذكرينَ ليلةَ الميلاد في لبنان؟
وذلك العشق الذي فاض على الوديان
وشاعَ في كل نواحي الأرض والبلدان
هل سقطتْ جميعُها
ستائر الكشمير والريحان؟
هل ذهبتْ قصورُها
هل هاجرت صقورُها
هل غوّرت نجومُها وانخسفتْ بدورها
وأين تلك أهلُها
وأين تلك دورُها
باكية حقولها نائحة طيورها
كأنها لؤلؤة تعيدها بحورها
تدحرجت كأنها الضّياع في الميزان
مالي وللعشق الذي كان في لبنان
قد أرضعته مرّة وبعدها
ألقته في الضياع والخسران
والحرب ذات الموت والنيران

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٣/١/٣.

Book14.indd 799 3/8/14 4:04 PM

من ينقذ الأشجار من حريقها

والطير من نعيقها

والحرب من بريقها

والهوس السكران

لو أجمعوا الأمر لما جاءتهم

ثانية زواحف الحيتان

وجاءت الزواحف الأخرى وما تزحف الشطآن

فحاصروا الجميعَ والمكان

وأطلقوا النارَ على نوافذِ العصفور والألحان

على الصدورِ والهوى

على الثياب والشذا

وهدموا الخوانَ والصحون

ومزّة الليمون

والآتيات بالهوى والشذر والزيتون

والقربَ السِّمان

والبائعات الرقص في (بحمدون)

يا قرية بيوتها من زخرفات الخشب الريان

والحجر الصّوان

جاءت لك الذئاب من شتى جهات الأرض

جاء الخسف والطوفان

أواه لو يشبع من غسيله الحوت

ومن ألوانه الثعبانْ

✱✱✱✱

Book14.indd 800 3/8/14 4:04 PM

من كتاب الأصوات والإيقاعات[1]

«صوت»

يـضـيءُ عـلـى جِـنَّـائـهـا غـمـزُ لـؤلـؤ
وتـسـري بـثـوب شـهـيٍّ ويـعـبـرُ
تـفـاجـئـنـي أطـيـافُـهـا عـنـد خـلـوتـي
فـأنـظـرهـا فـي الـقـلـب والـقـلـب ينظر
كـأن شـعـاعَ الـكـحـل بـين جـفـونـهـا
مماشي ضـفـافٍ فـوقـهـا الـعـشـقُ مقمر
لـقـد مـكـثـتْ وحـشـيّـةٌ جـاهـلـيـةٌ
ولـكـنـهـا فـي حـسـنـهـا تـتـطَـوَّر

«صوت»

يـا لـثـوبٍ كـرمـوشِ المـقـلِ
وعـيـونٍ كـشـعـاعِ الـشـعـلِ
جـاءنـا يـرفـلُ بـالحـسـن كـمـن
صـار بـدرًا رافـلا فـي حـلـل
قـلـت لـمـا قـد أتـى أهـلاً وقـدْ
قـال لـي أهـلاً وإن لـم يـقـلِ
ومـكـثـنـا نـتـسـاقـى غـزلاً
مـن عـيـونٍ صُـنِـعـتْ لـلـغـزلِ

(١)نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٣/١/٣١.

Book14.indd 801 3/8/14 4:04 PM

«صوت»

كـتـبـتْ عـلـى عـيـنـيـك أتـلـو نـورهـا
وأضـــيء فـــي عـيـنـيـك حـــين أراكِ
لـــم أدرِ كـيـف يـكـون حـالـي إنمـا
أدري بـــأن هـــواي مـثـلُ هـــواكِ
أقـتـاتُ بـالـنـزقِ الـشـهـيِّ عـلـى فـمٍ
وأدور حـيـث أدور فـي الأفـــلاكِ

«صوت»

تـــقـــول هـــــذي الـــعـــيـــونُ
كـــن عـــاشـــقًـــا فـتـكـونُ
كـــمـــا حـــدّثـــتـــنـــا رمـــــوشٌ
وكـــلّـــمـــتـــنـــا جـــفـــونُ
وخـــاطـــب الـــعـــشـــق عـشـقًـا
شـــبـــيـــهـــه وحـــــنـــــيْنُ

«صوت»

يـــا حـــبّـــذا الـــســـاقـــيـــانِ والـقـمـرُ
وحـــبّـــذا الـــســـامـــرونَ والـسّـمـرُ
يـــا ســاقـيـيـنـي اشـــرَبـــا مـدامـكـمـا
وانـــتـــظـــرا فـــالمحـــبُّ يـنـتـظـرُ

«إيقاع»

لماذا يشع السواد بعينيك حتى
يصير السواد امتداد بعيدا

Book14.indd 802 3/8/14 4:04 PM

ويمتزج العشقُ والشعر في مقلتين
يقولان كن عاشقًا مرتين
ويصبح ذاك البياض المحلق لونًا
جديدا
ويصبح ذاك السوادُ المفرد أفقا وعيدا
فهذا يضيء اتجاهي إليك
وهذا بظلمته قد هداني
مصابيح عينيك أم هاتف قد دعاني
كأن لصوتك صوت العصافير في الماء
أو أنه طائف من سماء أتاني
كأنك مشتقة من بهاء السواحل في الصيف
أو من حقول الفواكه والطير
أو من ليالي الأغاني
لما تديرين كل اتجاهي إليك
وكل انتباهي إليك
كأنك أشهى حنين أعاني
لماذا يظلّ حديثك أشهى حديث
وتبقى معاني رسومك أحلى المعاني
لماذا تجيئين ما بين آن وآن
نعاسًا يحلق في يقظتي
ويطلقني من حدود المكان

«صوت»

العيون التي تحدثني
والسكوت الذي يكلمني

Book14.indd 803 3/8/14 4:04 PM

أيها العاشقون إنكم

من غرام العيون في شجن

ملك الحسن أو تملكني

حسنه جامع الي الفتن

يا عيون الهوى أرى سببا

من خلال العيون ينظرني

«صوت»

عـيـد يـــروح ويـــأتـــي بـعـده عـيـدُ

وأنـــت أنـــت أنـاشـــيـدٌ وتـغـريـدُ

تحـــوزكُ الـشـمـسَ مـن شـتـى جـوانـبـهـا

وفـيـك ظـل مـــن الـريـحـــان ممـــدود

يـــأوي إلـــى رمـلـك الـنـشـوان وردهـــم

فـيـزهـر الـــورد أو يـخـضـوضـر الـعـود

«إيقاع»

هل تذكرين نخلة

نأكل من سكرها الأصفر كالمرجان

مثل بيوت الشعر في عيبها الأوكان

هل تذكرين الجسر بين الليل والألوان

وكنت في قميصك المشتق من شهيتي

للأكل والنوم أرائك الكتان

وأقرأ الشعر على صحائف اللوز

واستهدي بضوء الزخرف النشوان

Book14.indd 804 3/8/14 4:04 PM

في ثوبك المصنوع من أبهة الشرق

ومن عاطفة الأكوان

بين ظلال التين والرمان

والظل ذي الأفنان

وألف جنس تحتنا

يموج بالعزف

وبالرقص الذي ترسمه الأبدان

يا دعوة الشوق إلى الشوق

اذا تغازت نوازع

واتفق الاثنان

****

Book14.indd 805 3/8/14 4:04 PM

هل تذكرين الداليات الخضر[1]

هل تذكرين الداليات الخضرِ حين تعصرُ

وموسمَ الريحان حين يزهرُ

والليلَ حين يقمرُ

وروعةَ الجبال حين تمطرُ

هل تذكرينَ الرقصَ حين نَسمر

في الحقل والأشجار حين تثمرُ

جميعهم قد رحلوا وبعضهم ينتظرُ

وبعضهم مات على دينِ الذي ينتحر

وبعضهم مات ولا يدري

ولا يعلم ما يجري وما يدبر

قد أحرقوا الجنة في بيروت

والبيت الذي كنا على أبوابه ننتشر

نستعرض الدنيا التي تجيئه في الصيف حيث تكبر

غلائل التفاح والكَرْز الذي يحمرّ أو يدوّر

واحترقت خيام من عادوا من القدس

ومن تورطوا في الحرب

بئس الحربُ حين تشمل الجميع بئس المنظرُ

(١)نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٣/٢/٦.

Book14.indd 806 3/8/14 4:04 PM

والحرب عمياء فكيف تبصرُ

قد حوصر الساحلُ من أوله وحُوصِروا

جاؤوا من البحر

على خيل من الحديد

حتى عبروا

واخترقوا السواحل الأخرى

ومن هنا أمثالهم قد عبروا وما دروا

لم يركبوا خيلاً من الحدديد

بل تقمّصوا الناس ولما يشعروا

وروضوا الانسان حتى لم يعد يفكّرُ

☆☆☆☆

خـرجـوا مـن الأعـــرابِ والـعَـرَبِ

وتـداخـلـوا فـي سـائـرِ الـكـتـبِ

لـم يـقـؤوا الاشـيـاء بـاطـنـةً

وبـظـاهـرٍ رغـوٍ مـن الـكـذبِ

والـنـاس لا تـنـقـاد عـن خـلـقٍ

لـكـنـهـا تـنـقـادُ عـن سـبـبِ

سـلـك الحـديـدُ مـنـازلاً لـهـمُ

وأنـاخَ بـعـضـهـمُ إلـى الـرُّكـبِ

الـكـلُّ يـبـطـشُ حـيـث شـاء لـهُ

وهـمُ عـلـى الأعـقـابِ والجـنـبِ

أسـفـي عـلـى الـزّمـان والـعـنـبِ

ونـوافـذ الـقـرمـيـدِ والخـشـبِ

Book14.indd 807 3/8/14 4:04 PM

ومـيـاهـهِـنَّ إذا شـربـنَ ضـحًـى
ونـهـارِهـنَّ الـواسـعِ الـرحـبِ
وحـديـثِـهـنَّ إذا جـلـسـنَ عـلـى
فُـرُشِ الحـريـرِ وغـصـنِ فـي الـذهـب
ورواقٍ مـنـعـزلٍ بـشـقـتـهِ
وبمـا يـجـيء لـهـا مـن الـشّـهـبِ
سـدّوا طـريـقَ دمـشـقَ واعـتـمـروا
لـبـنـانَ وانـتـشـروا عـلـى الـنّـقـبِ
لـم أدرِ عـنـهـا غـيـرَ مـا ذكـروا
ورأيـت مـا فـي الأرض مـن عـجـبِ
الأرضُ تـزحـفُ. أمـس قـلـتُ لـكـمْ
ولـقـد تـقـمـصـكُـمْ مـن الـهـربِ

****

Book14.indd 808 3/8/14 4:04 PM

من كتاب الأصوات والإيقاعات[1]

(تطلّق العشق بها)

تطلَّقَ العشقُ بها

وشعَّ فيها القمرُ

كأنه يخرج من جيوبها

فتسفرُ

وأومأت مواسمُ الجوريِّ

حين تزخر

تقاربتْ جميعها

وفكّ فيها الكوثرُ

كأنها من شجر التفاح حين تثمر

وصوتُها العصفورُ حين يكبر

قالت لنا سنلتقي

ولم أزلْ أنتظرُ

☆☆☆☆

يأخذني الشعرُ إليك ولا أدري

وأفسرُ فيك المجهول

اقرأ فيك الصحفَ الأولى

لما كان الشعرُ رسولا

---

(١)نشرت في جريدة الأنباء بتاريخ ١٩٨٣/٢/١٣.

Book14.indd 809 3/8/14 4:04 PM

وكتاباتٌ

وإشاراتٌ

ورسوماتٌ

كشعاعاتٍ تسري

هي أولُ حالاتِ الفكرِ

ينقلها الشاعرُ من صحفِ الأكوانِ إلى الشِّعر

☆☆☆☆

مـــازلـــتِ رغـــم تـــعـــاقـــبِ الأيـــــامِ

مـكـتـوبـةً بـأضـالـعـي وعـظـامـي

مـــازال صـــوتـــكِ يـسـتـفـزُّ نـوازعـي

ويـضـيءُ بـي ويـبـلُّ بـعـضَ أوامـــي

والأمـــسـيـــاتُ المـشـرقـاتُ كـأنـهـا

صـحـفٌ مـن الإشـــراق والإلـهـــامِ

فـــي كـــل يـــوم صـفـحـةٌ وتـــلاوةٌ

وبـــكـــلِّ آن دعـــــوةٌ لـــغـــرامِ

لا تـفـحـمـيـنـي فـي الـسـكـوتِ فـطالما

صـار الـسـكـوتُ الـعـذبُ مـن إفـحـامـي

مـــاذا أقـــول وأنـــت صـامـتـةٌ وفـي

حـركـاتِ جـسـمـك فـوق كـل كـلامِ

جـسـدٌ كـــأن دمـــــاءَ مـشـتـقـةٌ

أعـــضـــاؤه مـــن سـكَّـرٍ ومُـــدامِ

وفـــمٌ كـسـاقـيـةِ الـنـبـيـذ تـدفّـقـتْ

صـــورُ الـهـوى فـي لـونـهِ الـبـسَّـامِ

Book14.indd 810 3/8/14 4:04 PM

تـتـوهـجـينَ كـمـا تـوهَّـجَ كـوكـبٌ
يـسـري ولـكـن فـي مـدارِ قـوامِ
لـم أدرِ هـل سـأراكِ ثـانـيـة وهـلْ
مـازلـتِ ذاتَ تـوقُّـدٍ وهُـيـام
يـا نـحـلـةً طـارتْ مـخـلِّـفـةً لـنا
مـن شـهـدِهـا مـازلْـتِ كـل مـرامـي
ولـئـن ذهـبـتِ فـطـالـمـا ذَهَـبـتْ بنا
أحـلامُـنـا فـي الـتـيـهِ والأوهـامِ

****

Book14.indd 811 3/8/14 4:04 PM

الطيور والزيوت العائمة[1]

إلى أين ذاهبة
يا جزيرةَ زيتٍ على البحر تطفو
لماذا سلكت الطريقَ المؤدي لهم
وفي البحر ألفُ طريقٍ وألفُ
وكيف التصقْتِ
على الموج وهو جموحٌ وللريح عصفُ
لماذا ترهّلت مثل زعانفِ حوتٍ
على السطح يقفو
ومثل كتابٍ على الماء
نقطه السمك الميت
والطير من فوقه يستشف

☆☆☆☆

ويا بيتها في أعالي «المنامة»
أن البحارَ إلى الآن مالحة
والرياح إلى الآن غدّارة
وهذا زمانُ الحروب المعارة
وهذا زمان الجنونِ المسلح
هذا زمان الزيوت

(١) نشرت في صحيفة القبس بتاريخ ١٩ إبريل ١٩٨٢.

Book14.indd 812 3/8/14 4:04 PM

وأنت رسو على الأرض والبحر

كلتاهما لك يهفو

إذا ما أدلهمّتْ جوانبُ جرفٍ تبلج جرف

ومن قبل أن تشربي رغوة البحر

فيك شرابٌ طهور

وظلٌّ

ولطفٌ

وفيك عيونٌ من الماء دافقةٌ لا تجفُّ

كأنك في وسط الموج صاريةٌ

وامتدادُ عروقٍ عليها تلفّ

وخارجة من ضباب المحطيات

وفي الأرض كفّ

☆☆☆☆

لأي السواحل مبحرة

أنت يا بقعة الزيت

كل السواحل ملغومة والشواطئ حتف

لقد غربلوا الماء من ملحه فهو يصفو

وقد هذبوا الرمل

فهو حدائق عشق ترفُّ

فكيف الوثوب على جسد الريح

كيف أدارتها

وهي جامحة لا تكفُّ

☆☆☆☆

Book14.indd 813 3/8/14 4:04 PM

وفي ليلة خلفت فيها الرعود وانهيار جبال

كأن الرياحَ عصيّ رعاةٍ

تهشُّ على السحب

تقتادها من جحور السماواتِ

أو بها خطوات على الأفق

فيها احتدامٌ وعنف

كأن البروقَ وميضُ نواجذ وحش

له من خلال الظلام والضباب زحف

وهزهزتُ الأرضُ

فغدت بقعة زيتٍ على البحر

قد مطّطوا القول فيها وسفوا

وقالوا سيحترق البحر منها

كأن البحارَ من القطن

أو رغوة الموج ندف

أسيشربك البحر

أو ترسبين إلى القاع

فاتَّسعي يا بقاعَ الزيوتِ على الماء

ما برح الورد في بيتها

والنوافير فيها هديلٌ وعزفُ

✱✱✱✱

Book14.indd 814 3/8/14 4:04 PM

من خرائط البرق[1]

لا ينتمي الإنسان لمبدأ في هذه الأزمان
وربما ينحاز للشيطان
يحترف التلفيق والعدوان
لاتفه الأسباب في أزمنة البهتان
أزمنة الحروب والخرائط المعاره
أزمنة الرجوع للحجارة
أزمنة الضياع في الحضارة
أزمنة المدائن المنهاره
أزمنة الأزياء والأدهان
كأننا في زمن غير الذي قد كان
قد خلعت ثيابها الأرضُ وألقت حملَها الوديان
وهاجرت شواطئٌ عن دمائها وهاجر المكان
أواه لم يحتكم الناس إلى سلطان
لو يُوضَع الميزان
ما بُعثِرتْ خزائنُ الأرض
ولا زلزلها الطوفان
دمٌ على أرائك النَّدمان
دمٌ على مفارش الريحان

(١)نشرت في جريدة الأنباء بتاريخ ١٣/٥/١٩٨٤.

Book14.indd 815 3/8/14 4:04 PM

دمٌ على الأفنان

دمٌ على النخيل والشطآن

دمٌ على الأوكان

دمٌ على حدائق الرمان

دمٌ على ناعورة الليل التي تنوح

على سواقيها التي تلوح

كأنها نهرٌ على حقوله مذبوح

أهذه حصيلةُ الإنسان والطموح؟

✶✶✶✶

Book14.indd 816 3/8/14 4:04 PM

زمن الحرب[1]

تتجمعُ شرورُ العالم لتؤلِّف للحرب المسلحة
وتنشقُّ الأرضُ كبطون الحوامل
بحثًا عن الحديد والمعادن لصنع الدبابات
وتطويرها وقد يمنحونها الأجنحة فيما بعد
لتحلق وتطحن في آن واحد
واذا كانت هناك بلدان تتمتع بالسلام
فإنها ستشملها الحرب لأنها أصبحت كالصناعة
أجل إنها أصبحت صناعة حديثة ومتطورة
وذات وجوه كثيرة ومتعددة
وقد تكون ذات مبررات ودوافع

☆☆☆☆

تتجمعُ شرورُ العالم لمهاجمة العالم نفسه
وتنصرفُ العقول والمصانع الضخمة
لتطويرها أيضًا وجعلها قائمة واقعة
ومتسربة مع كل ذرة هواء
مع الكلمات والتصرفات والأخيلة الهاجعة
وحتى الصمت أصبح ملتهبًا ومعبأ بالغليان
أنهم يهيئون الإنسان ليصبحَ متوحشًا وشريرا

(١) نشرت في صحيفة الأنباء ١٩٨٣/٩/٢٠.

Book14.indd 817 3/8/14 4:04 PM

وجاهزًا للانفجار كبلونات الأطفال

أنهم يتجهوون بالإنسان وبالأرض نحو الهاوية

وحتى الآفاق محتشدة بالحرب وصفارات الإنذار

ودبيب المركبات المشحونة بالإشارات

والأصابع الالكترونية المتشنجة

كأعصابٍ معبأة بالصرع

☆☆☆☆

أسرابٌ من الذباب الأزرق يتجه نحو الشرق

أسراب من الذباب الأزرق يتجه نحو الأنهار

والصحارى التي بدأت تكتسي وتتوهج

كالاثداء المعبأة باللطف والأنوثة

أسراب من الذباب الأزرق

يباغت الوعول التي ضلت طريقها

فانطلقت مهرولة نحو المدن الآمنة

والقرى الخضراء التي تدرّ العسل والحليب

والجبال التي تحمل مسارح الصقر

مواسم تطلعاته

☆☆☆☆

طهرانُ وبغدادُ تقتتلان

ويطفح الخليجُ بالدم والمخلفات والأسماك الميتة

وبالمخبرينَ السياسيين وإشارات الأقمار

وفي لبنان تحترق جبالُ الورد وبحيرات العطر

وإلى القدس والشام تتجه الصواريخ والمدافع الثقيلة

Book14.indd 818 3/8/14 4:04 PM

وإلى المدن والعواصم الأخرى وأرياف البلابل
تتجه وتستعر الحرب الباردة وصراع المال والجنس
إن شراهةَ العالم تجند الحديد لتهديم هذه الخارطة
وعلى الباخرة الذرية الجاثمة على سواحل المتوسط
تتهيأ الصواريخ والطائرات الحربية
للقيام بمهامها الآتية
بعدما اشتعلت الحرب الأهلية والعقائدية
والعنصرية، والمالية، والحروب المختفية الأخرى

☆☆☆☆

تتجمع الوحول لتسد طريق الأنهار
تتجمع الوحول لكي يرشقوا بها الشواطئ
تتجمع الوحول لتحصار المدن
والأرض التي بدأت تنفض حمولتها
وأسرارها وخزائنها وخطوطها المختفية

☆☆☆☆

لقد صنعوا كل شيء للإنسان سوى السلام
لأنه لم يصنعْ ولم يصدرْ ولا يباع
ولأنه لا يعترفُ بالحرب ولا يقبلها
ولأنه سيأتي بموكبه وعرائسه وشعاره
بعدما تتهرأ وتنسحق كل هذه المراكب
وهذه المواكب التائهة في ظلمات العصور
والتاريخ القديم الماكث في الأدمغة الملتفة

Book14.indd 819 3/8/14 4:04 PM

كأفاعي الجبال المنعزلة

☆☆☆☆

أيه أيتها المدن الشقراء المنتفخة دائمًا
والتي تلد كل شهر صاروخًا أو شريرًا
أو داعية حرب أو سفاحا
أو سياسيًّا سكيرًا يلوح بقبضته أو عجيرته
لماذا تلدين الجراء في الليل أيتها الشمطاء
وتطلقين دم حيضك في الشوارع والشواطئ
ولماذا تحاصرين القمر بأسراب النمل المجنح
لماذا تجهضين الفكر المبدع
وتحرفينه عن مداره وسراطه المستقيم
وتورطينه بغرائزك غير الإنسانية

✷✷✷✷

Book14.indd 820 3/8/14 4:04 PM

من كتابات الأصوات والإيقاعات[1]

– ١ –

تكاد الأظافرُ تنبتُ في وجهه والقشورْ
ويُقتَلَعُ الشوكُ من جلدهِ والصخورُ
كأنّ ملامحه أول الكهْفِ
أو في مضامينه حقبة لا تسيرُ

– ٢ –

تـكـادُ بـه الأعـضـاءُ تـرفـضُ نفسَـها
ويـنـفـرُ مـنـه صـلـبُـه حـين ينسبُ
عـجـبـتُ لـه كـيـف اسـتـقـام وبـعـضُـهُ
يـنـاقـضُ بـعضًـا مثلما اعـوجّ أحـدبُ
لـقـد دبَّ فـي أعـراقـهِ الـوهْـنُ مثلما
تجـاوز أقـصـى الـعـمـر كـهـفٌ وغـيـهـبُ
أراد قـيـامًـا فـانـحـنـى فـيـه كـاهـلٌ
وظـهـرٌ أبَـى أن يـسـتـقـيـمَ ومـذهـبُ

– ٣ –

تـتـنـاسـقُ الأكـوانُ فـي تـكـويـنِـهـا
ويـضـيـعُ هـذا الـنـاس كـالـمـتـردّمِ

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٣/٥/٢٤.

Book14.indd 821 3/8/14 4:04 PM

وتجـــيء أعـشـــاب الـفـصـول بـوقـتِـهـا
مُـخـضَـلَّـةً وتجـــفُّ بـعـدَ المـوسـمِ
وكـأنمـا الأشـــيـــاءُ رغـــمَ سـكـونِـهـا
فـيـهـا حـــــراكُ الـقـــائـمِ المـتـكـلـمِ

– ٤ –

الكل يطمحُ أن يتلَّ النجمَ من آفاقه
ويجرَّ قرن الشمس كالحمل الوديع
أو يرجمَ القمرَ البعيد بصخرهِ
ويزحزحَ الجبل المنيع
أو يجهضَ الأشجار
أو تأتيه ماشيةً وساجدة
ويمسك في تلابيب الربيع
ويدير أفئدة الرياح بأمره
ويقودها مثلَ القطيعْ
لكنه لن يستطيع

– ٥ –

والأرضُ كـالـنـاس. بـعـضٌ رحـمـةٌ فُـتِـحـتْ
وبـعـضُـهـم عـابـسُ الأنـحـاء مـسـدودُ
وقـــد تجـــفُّ قـلـــوبٌ فـــي أضـالـعِـهـا
كـمـا تجـــفُّ بـــأغـصـــانٍ عـنـاقـيـدُ
وقـــد يُـحـاصَـرُ نـهـرٌ فـي رواسـبِـهِ
ويـــنـــزوي فـسـواقـيـه أخـاديـدُ

Book14.indd 822 3/8/14 4:04 PM

أنــهــارُكَ الــــزّرقُ مــا روَّتْ حدائقَنا

يــا أرض فـأنبـثقـتْ أنــهــارُكَ الـسُّـودُ

– ٦ –

حُـبِـكَـتْ ورقـرقَـهـا المـصـاغُ كـأنـهُ

مــن فـوقـهـا يـهـتـزُّ فـيـه شُـعـورهـا

وتـلـهَّـبَـتْ ألـوانُـهـا فـكـأنـهـا

لــولا الــرســومُ ســمــاوةٌ وبـدورُهـا

وكــأنمــا مـنـشـورُهـا مـكـنـونُـهَـا

وكــأنمــا مـكـنـونُـهـا مـنـشـورُهـا

بـلـغَ الـهـوى مـنـهـا بـحـيـثُ أحـالَـهـا

كـمـواسـمِ الـريـحـانِ فـاضَ عـبـيـرُهـا

بَــدويّــةٌ لــولا حــداثــةُ شَـكـلِـهـا

غـجـريـةٌ لــولا الــدمــاءُ ونـورُهـا

جـلـسَـتْ ضـفـائـرُهـا قُـبـيـلَ جـلـوسِـهـا

فـكـأنمـا هــي تـاجُـهـا وسـريـرُهـا

وتجــــاوزَ الإيمــــاءُ فـي حـركـاتِـهـا

وسـكـونِـهـا لـغـةً لـهـا تـعـبـيـرُهـا

– ٧ –

من أي ناحيةٍ حقول الزعفران

وخمائل الحناء

والشجر الذي يبني مقاصير الجنان

من أي ناحية (عمان)

وجبالها البيضاء

Book14.indd 823 3/8/14 4:04 PM

والسوداء

والصفراء

والخضراء

كالخرز الملبَّد

أو كأحداقٍ محاجرُها الزمان

وعمائم تُطوى كأروقة المتاحف

ثم تنشرُ في وجوهٍ كالمصاحف

أو بها قبس يضيء به المكان

✶✶✶✶

Book14.indd 824 3/8/14 4:04 PM

ولكنهم لم يستطيعوا[1]

اسمحوا للشاعر الآن

الآن فقط

أن يخلعَ قافيتَهُ وأوزانَهُ

ويخرجَ من كهف القصيدة

ليواجه الزلزالَ والعاصفة القادمة

وليترجمَ الحديد

والمعادنَ الخارجةِ من الأرض

كحيوانات أسطورية تهاجم المدن

وتباغت الحقول كالذباب المدرب

☆☆☆☆

اسمحوا للشاعر أيها السيدات والسادة

أن يترجمَ لكم صوت الجرس الكبير

المعلق فوق العواصم

ذات البنوك والمفاعلات والقطط المدللة

والإنسان المسحوق كعجين الفطائر

والرخيص كنقود الحكومات المنهزمة

☆☆☆☆

إن القصيدة التي تريدونها ساخنة كالخبز

(١)نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٣/٧/٢٥.

Book14.indd 825 3/8/14 4:04 PM

هذه القصيدة الشهيدة

قد ذهبت بلا عودة

لم يقتلوها كما يقتلون عصافير الحدائق

لم يسحقوها كما يسحقون حقول الكرز

والنخيل والبيوت العامرة

بل هاجرت بعيدًا

رجعت إلى وطنها الأصلي

والذي لم يزلْ مجهولا حتى الآن

ولكنها ستعود

عندما تجد لغتَها الجديدة

وصوتَها الجديد

☆☆☆☆

وكانت القصيدة ذات عرش

فنهبوا عرشها

وكانت ذات لسان فقطعوه

وها هي الآن صامتة جاحظة العينين

تلم أشلاءها

مثلما تلمُّ أنثى الصقر جناحيها فوق الجبل

☆☆☆☆

إن الناس لم يعودوا يجيدون قراءة الشعر

لأنهم فقدوا فطرتهم ودخلوا في التوتر

دخلوا في حالة الهوس الأوروبي

والحذر الآسيوي

Book14.indd 826 3/8/14 4:04 PM

والفزع الأفريقي

وكأن العالم تمساح رأسه في الماء

وجسده فوق اليابسة

ومتى كنتِ تقرأينَ الشِّعرَ أيتها التماسيح

☆☆☆☆

إنه زمن الأسلحة المستعارة

وبنوك العواصم المهددة بالحرب

والثراء المهرب والادقاع الموروث

والغباء الموظف

والمواهب المعلبة كالسمك المدجن

والزيوت العائمة كالقيء فوق الملابس

☆☆☆☆

لماذا تغنينَ أيتها القصيدة وقد خلعوا أسنانك

لماذا ترقصين أيتها القافية وقد كسروا مزمارك

وبماذا تتنفسين أيتها الحروف

وقد حشوا منخريك بالطين والسراويل المزقة

☆☆☆☆

لقد استطاعوا أن يخرقوا حجاب الهواء

وينفخوا في الحديد ليتحرك

كأطراف الوعول المذبوحة

ويهاجم كخراطيم الفيلة الشبقة

وجاؤوا بقلوب جديدة

وعيون جديدة

Book14.indd 827 3/8/14 4:04 PM

واخترعوا الأواكس
والصواريخ عابرة القارات
واكتشفوا القطب الشمالي داخلين في رحم الثلج
وجاوروا المريخ
وعرفوا لغة الطير
وحركات البكتريا
واستوطنوا الماء كسمك القرش
ثم انطلقوا ليسكنوا في الأفق
كأنهم الجن أو العفاريت
ونقلوا الجبال من أماكنها كأكياس من القطن
صنعوا هذا وأكثر من هذا
ولكنهم لم يستطيعوا أن يصنعوا السلام
لم يستطيعوا أن يوقفوا الحرب
لم يستطيعوا أن يكونوا شرفاء
أنهم في الجانب المتقهقر من الإنسان
وإن سكنوا في الجانب المضيء من الأرض
ومن يدري؟
فلعلّنا في الزمن الاخير
زمن التعفن والتلوث
زمن المكروب الآخر
في الزمن الآخر

☆☆☆☆

فكيف يغنّي الشاعر فوق الانقاض
وكيف تنتشر القصيدةُ في الزمن المتعفن

☆☆☆☆

Book14.indd 828 3/8/14 4:04 PM

لقد ولّى زمان القصيدة

إذ ليس هنا رؤيا

ولم يعد للكلمات المغردة ذلك الرنين النحاسي

فَكَسِّروا أقلامَكم أيها الشعراء

لقد ولى زمان الشعر وجاء زمان الصمت

والانبهار أمام الاحداث الغامضة

والمهاجمة كالوباء

والمتربصة كالقطط الوحشية

☆☆☆☆

منذ أغنيات هوميروس

وحتى شهقات إليوت

والقصيدة كأنثى الصقر

لم تدخل المدينة بعد

ولم تضعْ بيضها عند النوافذ

وفوق اغصان الصنوبر

وغالبًا ما يموت الشاعر مسممًا بدماء الآخرين

أو مقتولاً بسيوف هذيانه المنغم

أو منفيًّا بتطلعاته

فلماذا تمارسون عذاب الشعر أيها الشعراء

لماذا تنتحرين يا أسراب الكناري

لماذا لا تبدلين لهجتك أيتها الأميرة المنكوبة

إن هذا القطيع لا يفهمك

ولم ينظر بريق دموعك

Book14.indd 829 3/8/14 4:04 PM

لأنه لم يرَ كما ترين

ولم يمارسْ رحيلك في السماوات

وتوغلك في الآتي

ثم تعودين إلى الأرض الخراب

وإلى الحاضر الغائب

لاهثة كالثدي الممتلئ بالحليب.

✷✷✷✷

Book14.indd 830 3/8/14 4:04 PM

تاريخ الماء والنار[1]

اذا كانت الارض تغمرها المياه قبل ملايين السنين
وكانت ملتهبة تغطيها النيران والبراكين
وفقاعات اللهب المنبثق من سيول النار
وبحيرات الجمر المنتشر فوق جلدها المزق
اذا كانت الارض كذلك
فإني أخالكم قد خرجتم من تمخضات النار القديمة
مثلما تخرج الديدان من البطون المبقورة
والظهور المتعفنة يا دعاة الحرب
أيها المنتمون للدمار والمنحرفون مع الشر
والفتنة. وشعارات المضللين والمتعفنين

☆☆☆☆

لقد انطفأت النيران القديمة
وغاضت سيول البراكين في الأرض
أما أنتم فما زلتم تلتهبون وتتوقدون
ولكنه لم يكن لهبًا مقدسًا مضيئًا
بل أنها النار التي تتأجج في أجسادكم
لتطمس وجوهكم وتحشوها بالدخان
والغضب الوحشي البدائي المضال

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٣/٩/٢٦.

Book14.indd 831 3/8/14 4:04 PM

الذي لم يتنشق الهواء الجديد بعد
والذي لم يزلْ ملتهبا بغليانه وجفافه
كالأرض التي لا يأوي لها الطير
ولا تسكنها الاشجار

☆☆☆☆

لقد انطفأتِ النيران لتكون قبسًا وتهذبتْ لتكونَ وقودًا
وما زلتم تشتعلون لتكونوا رمادًا
والرماد بداية التراب كما أعتقد
أما القبس الذي يباغت وجوهكم
القبس الذي يضيء الفوانيس الساهرة
القبس الذي يشعّ في الشفاه العاشقة
القبس المنتمي للعيون البراقة المتحمسة للعشق
والخارج من جيوب القلوب المضاءة
والمعباة بقشعرية النور المفاجئ
أما هذا القبس فلن تمارسوه
ولم يسكنكم لأنكم ما زلتم ملتهبين
وهناك فرق بين القبس المضيء
والنيران المشتعلة البشعة
كأشداق التماسيح المطاردة

☆☆☆☆

ويا ليتكم تملكون طهارة النار
وذكاءها أيها المنتمون لاشعالها
لقد استطاعت النار أن تأسركم

Book14.indd 832 3/8/14 4:04 PM

وتتقمصكم من خلاياكم وأنوفكم وذقونكم
وتتحرك بكم وتقودكم
وتغريكم بأشعالها وتصنيعها
وتصديرها إلى العالم
لكي تعودَ لكم فيما بعد لتحرقَكُم
فالذي يشعل النار لإحراق الناس
سوف تحرقه فيما بعد
والذي يستضيء بقبسها سيهتدي
ولكنكم لم تفهموا حكمةَ النار
ولم تتمتعوا برؤية القبس المنتشي الوهاج

☆☆☆☆

وكانت الأرض من ماء ونار
فانحرفتم إلى النار. ومكث الماء في الورد
والأرحام. أو ليكون رحمًا ووردًا
وأنهارًا ذات نخلٍ وكرز. وفراشًا
يأسرُه القبس فيجذبه من غرائزه
وبذلك يكون الفراشُ أولَ محاربٍ ضد النار
أو أكثر المحاربين جرأة
فبماذا تحاربين النار أيتها الفراشات الشرقية
بماذا تتحصن الحدائق في القدس وبيروت
وهي محاصرة بالنيران الملعونة
وكيف يعود للبنان جماله القديم
وقد خدشت الأظافر خدوده الطرية
وأحرقت ساقيه الشهيتين كقوارير العسل الأبيض

☆☆☆☆

Book14.indd 833 3/8/14 4:04 PM

سوف نسلط عليك الماء المفكر

أيتها النار التي لا ترعوي ولا تَعْقِل

ولا مارست التفكير أو الحياء الإنساني

وسنشعل قبس الأرض ليشتعل

سوف نشعل الضياء في هذه الغرفة المظلمة

وسوف تعلمين كيف يفكر الماء

ويحارب الحمام

وتتسع طموحات النحل والقبس المفكر

☆☆☆☆

وما هي قيمة هذه النار المسلطة

كالسوط الذي تهرأت قبضته

فأصبح يؤخذ من جميع أطرافه

أيتها النار الفاسقة التي لم تستحم

والتي لم تتزوج بعد لأنها لا مساس

فأشعلت أوارها ودخانها في العواصم

وارتفعت عالية في كل اتجاه

كأمرأة فاسقة تمد رقبتها من النافذة

☆☆☆☆

إن النار حيوان أرضي لم يتعلم بعد

وعندما تتثقف النار يتثقف كل شيء

فمتى تتثقفين أيتها النار؟ متى؟

ولكن كيف تتثقف النار؟

وقد طوَّروا شراهتَها وغليانَها

Book14.indd 834 3/8/14 4:04 PM

ومنحوها خصائصَ كثيرة

بعد أن أطلقوا أظافرها الحادة

وألسنتها المتنوعة وجبروتها الصناعي.

✶✶✶✶

Book14.indd 835 3/8/14 4:04 PM

عودة الحلاج[1]

أربع دولٍ تحاصرُ لبنان
في كل دولة عشرونَ دولة أو أكثر
وكأن العالم كان يزحف متجهًا نحو الشرق
وعندما أشرف على لبنان والأرض التي تليه
توقف ليبتكرَ سلاحًا جديدًا
وقراصنة جددًا
وذئابًا وتماسيح أكثر بطشًا
وأشد عداوة وفسوقا

☆☆☆☆

أربع دول تحاصر الأَرْزَ
والحسونَ وعصافيرَ النوافذ
أربع دولٍ تحاصرُ الينابيع الباردة
والسفوح الدافئة كأواخر الأروقة الملكية
أربع دول تحاصر الفلاح القادم من الريف
متجهًا نحو بيروت المهدمة
وسوق الفاكهة الملطخ بالدم وعصير الطماطم

☆☆☆☆

اربع دول تحاصر المقاهي في بحمدون

(١)نشرت في صحيفة القبس بتاريخ ١٩٨٣/١٠/١م.

Book14.indd 836 3/8/14 4:04 PM

وساحات الرقص

والطريق المتجه نحو الأقبية البعيدة

والنوافذ المتدلية كسلالِ الكرز

والذكريات التي تحيلني إلى طوفان

☆☆☆☆

أربع دول مسلحة تحاصر العشق الأعزل

أربع دول تحاصر أسماء

أربع دول في كل دولة عشرونَ سفاحًا

في كل سفاح عشرون دولة

يحاصرونَ لبنانَ كالحيض الخبيث

متدفقًا من رحم الدول التي أجهضها اللصوص

وأرعشها الهربس السياسي الحديث

☆☆☆☆

أربع دول تحاصر العالم في لبنان

أربع دول تحاصر مخلفاتها في لبنان

أربع دول تحاصر حضاراتها في لبنان

أربع دول تحاصر المسيح في لبنان

بعدما حجزت موسى وأخاه هارون في القدس

مثلما حجزهما فرعون لمواجهة السحرة والمشعوذين

في الزمن المنصرم القديم

والذي لا يختلف كثيرًا عن هذا الزمن الملتهب

الواقف بين القدس ولبنان من جهة

Book14.indd 837 3/8/14 4:04 PM

والحرب التي يفتعلها الاستعمار الفكري والمالي
من جهة ثانية وثالثة ورابعة.

☆☆☆☆

إن حصار القدس ولبنان وعذابهما الصامت
قد اطلق الأرض الهاجعة من سباتها التاريخي
أطلق القصائدَ من عقالها القديم
والصحراء من قتادها وعرفجها وصبيرها
والأنهار من شواطئها المهدمة الهرمة
والنخل من عزلته ومستنقعاته
وكأني أرى الحلاج في بزة فلاح شرقي
يخرج إلى الناس ليقول لهم مرة ثانية
وقد طور مقولته القديمة:
إن العالم تحت شهوتي
وقد مكثت في قمقمها كالنار المدربة
لقد مكث جسدي وعاء حديديًّا لغرائزي
إلى أن روّضها وهذّبها
وسوف أطلقها في وقتها المناسب.

✱✱✱✱

Book14.indd 838 3/8/14 4:04 PM

الغرفة المغلقة[1]

ها أنتم ترتطمونَ بالعالم
مثلما ترتطمُ السفينةُ المشحونةُ بالجواهر
بشطآنٍ مملوءةٍ بالمشعوذين واللصوص
وقطاع الطرق المدجَّجين بالليل والأسلحة

☆☆☆☆

ليس هناك وقت للتفاوض
وطرح المواضيع العادلة في هذا الزمن الجامح
ولم تعدِ المفاهيمُ القديمةُ للعدل سارية المفعول
فالقضية من أوّلها ملفقة ومزورة
وذات ظروف ملتبسة كما يقول المكتشفون الجدد
لخرائط الأرض وطبائع البعوض

☆☆☆☆

لقد كبرت أشياؤهم لتشمل مكانكم كله
وتمطّطت قاماتهم وانتفخت رقابهم
كوعول جائعة تنهش من أشجار عالية مثمرة
ولم تعدِ الأسوار والحواجز تصدهم
لأنهم يتسللون مع الهواء ويتقمصون الاخرين
إنهم السحرة الجدد المروضون النار والحديد والحجارة

☆☆☆☆

(١)نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٣/١٠/٦م.

Book14.indd 839 3/8/14 4:04 PM

افراد قليلون لا يتجاوزون خراطيم الأخطبوط

أو يزيدونَ قليلاً

هم الذين يقودون العالمَ نحو الدمار

إنهم يسكنون في غرف أشبه ما تكون بالعلب

لا يدخلها أحد سواهم

وذات أبواب مختفية

ونوافذ مطلة على الأرض والآفاق

☆☆☆☆

أفراد قليلونَ

يترصدون حركةَ الليل والنهار

ويوعزون للرياح أن تهب أو لا تهب

أو هكذا يتصورون

وبما أننا نعيش في زمن الالكترون

زمن الانفجار باللمس والانهيار بالنفخ

فقد استطاع هؤلاء

هؤلاء البشر الذريون

الذين يلتقون في غرفة واحدة مجهولة

وقد تكون معلقة في الأفق

كبيضة أنثى رخ أسطوري

أقول

لقد استطاع هؤلاء وباللمس فقط

أن ينقلوا الأرض والبشرية من مرحلة إلى أخرى

ويوقفوا الجميع على حافة الهاوية

Book14.indd 840 3/8/14 4:04 PM

أو على حافة الحلم الذي أبدع الشعر
والحالة اللاحسية التي تمسك بناصية السر والنشوة

☆☆☆☆

وأنت أيتها الأرض الواقفة في الهواء كعلامة استفهام
كالقفل المتهدل
أو كإجاصة أفردتها العصافير
أنت يا ذات الزلازل التي تبقر بطنها
والأعاصير التي تهدم جبالها وكهوفها
أيتها الصخرة المفكرة
التي تجاوزت تمخضات فصولها
وحالات هيجانها عبر ملايين السنين
لكأنك على وشك الارتطام
بتلك الغرفة المنعزلة المتربصة
كالدلفين الشبق.

✶✶✶✶

Book14.indd 841 3/8/14 4:04 PM

العصافير التي تغادر أعشاشها[1]

تتكون الأشياء من دوافعها وصورها
وكذلك الأعمال الظاهرة
فشهوة النحلة لبناء الخلية
هي التي حددت مساحتها وأضلاعها
وعبث العصافير والأرانب الصغيرة
التي تغادر أعشاشها ومأواها
هو الذي يرسم اتجاهها الانتحاري
وضياعها في طريق السابلة

☆☆☆☆

ولكن كثيرا ما ينخدع الإنسان بالألوان البراقة
وبالحركات التي لا تعبر عن الفحوى الآخر
والاتجاه الذي تشير إليه
هناك مسافة واسعة بين الهدف والدوافع
وبين الحركة والبواعث
وبين الصوت والحنجرة
ولكن الأرانب الصغيرة العابثة
التي تغادر جحورها في الليل لا تعرف ذلك
وكذلك العصافير التي لم يجفّ زغبها بعد

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٨/١٠/١٩٨٣.

Book14.indd 842 3/8/14 4:04 PM

والتي غالبًا ما تنزلق من أعشاشها
وهي مزهوة بحمى ارتفاعها الشاهق
الذي لم تعرف مسافته وطبيعة أرضه

☆☆☆☆

إن أغلفة البيض كلها متشابهة وناصعة البياض
بما فيها الفاسد والمتعفن من الداخل
وهذه هي مشكلة الذين يكتفون بالنظر
دون الرجِّ والغربلة
ودراسة الوميض المتعفن في جدارات البيض الفاسد

☆☆☆☆

اسمحوا لنا أيها السادة أن نتكلم بالرموز
والإشارات والغليان المروض
فقد تكون الأحجية أكثر بيانًا
فنحن في زمن الرموز
زمن الاختفاء المستعير وجوها
وهكذا تفقد الأشياء والأعمال هوياتها
وتصبح جاهزة للفقس والإجهاض
كالجسور الخشبية المنخورة

☆☆☆☆

إنّ العالم الحديث لم يطور الأسلحة فقط
بل طوّر الأقنعة لتسع الوجوه العريضة
الوجوه التي تتمطط وتترهل كأثداء العوانس
الوجوه التي انسلخت من دمائها وجسومها

Book14.indd 843 3/8/14 4:04 PM

وتعبأت بدماء أخرى وقلوب أخرى أيضًا
ولكنها تعيش معنا كالصلع الذي لا يستحي
كالورم الوراثي
كدود الأشجار الذي يدخلها من الجذور

☆☆☆☆

سأحدثكم عن تواريخ الغزو ومراحلها
ففي الزمن القديم. زمن الأسوار والقلاع
زمن المدن المحاطة بالأبواب المغلقة
في ذلك الزمن المتساقط كأسنان اللبن
كان الغزو وجهًا لوجه
وكلٌّ له جنودُه وأسلحته
أما الآن التي لا تعبر عن زمنها المنهوب
ولا عن حضارتها المحاصرة بالصراصير والقش
أما الآن فقد تطور الغزو لينهار
وامتدت أظافره لتتشقق وتنحني
وأتحدت العفونة الدولية بالعفونة المحلية
التي تمهد له قبل الشروع بالرجم
ومن هنا تتجسد خريطة العالم الآتي
الخريطة التي يحاولون طمسها وخنقها
وهي أن العالم قد اصبح جسدًا واحدًا
والبثور التي تنتشر حول فمه
هي نفسها البثور المنتشرة حول عينيه
وآلام أرقه هي نفسه آلام سباته

Book14.indd 844 3/8/14 4:04 PM

وقد يحاصرون المحارب

ويجردونه من سلاحه وصوته

قبل المواجهة التي تستعرض عضلاتها المتشنجة

وعوائها المبحوح

ومن دواعي الحروب

أن يجد القوي دواعي مقنعة

للهجوم على الضعيف أو حصاره

لأنه لا يشعر بقوة خصمه أصلاً

وهذا ما يشير الى احتقاره الذي يستنفره

ويستفزّه ايضًا

إن الضعيفَ هو الذي يثير شهوة القوي لمهاجمته

أو محاصرته في جميع الأحيان.

✶✶✶✶

Book14.indd 845 3/8/14 4:04 PM

الأسلحة التي لم تكتشف[1]

جميعكم في الفخ أيها المتحاربون
وستطحنكم الحرب أو تشوهكم
لأنها لم تكنْ مقدسة كما كانت
ولم تكنْ محدودة كما كانت

☆☆☆☆

إنها ستتوغل في البحر لتقتل أسماكه الملونة
وغير الملونة أيضًا
وتهدم بيوت مرجانه وحاراته
وتعترض موكبَ ملكةِ البحر
وهي تستعرضُ حرسَها في مخيماته اللؤلؤية
وستترب وتشوه القمصان القزحية
ذات البريق المتوهج بجميع الألوان

☆☆☆☆

وستتوغل هذه الحرب في الهواء لتخنقه
لأنها ستنفث الدخان المسمم في الأفق
والصواريخ التي تتلمس الأبعاد
كقرون الجراد وأصابع النشالين

☆☆☆☆

(١)نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٣/١٢/٢٠م.

Book14.indd 846 3/8/14 4:04 PM

أما الأرض

فستخلع أشجارها ومدنها

مثلما تخلع العذراء حليها لتنتحر

☆☆☆☆

أن الهوس الحديث للحرب

هو آخر جرثومة في تاريخ البشرية

قد تعهدتها ودجنتها الوحشية الصناعية

وتراكم الأمراض النفسية والفكرية والخلقية

التي استطاعت أن تأخذ بزمام العالم

منذ عصوره الحجرية حتى عصر مراكب الفضاء

واختراقه بمخلفات الأرض

☆☆☆☆

إن مشكلة العالم الحديث هي انبهاره بالحرب

ووجومه أمام إفرازاتها وإنجازاتها

وتمكن الدوائر الرسمية في الدول المصدره للحرب

ان تجند العلوم الحديثة ومواد الأرض

لمتطلبات الحرب وجنون دعاتها ومضرميها

وشباكها المنتشرة في الأرض كالتجاعيد

☆☆☆☆

من رأى إنسانًا يحشر نفسه

مع عشرات الثعابين في غرفة مغلقة واحدة

ومن رأى انسانًا يزحف فوق ظهر التماسيح

ومن رأى انسانًا يتكوم فوق وجهه النحل

Book14.indd 847 3/8/14 4:04 PM

ومن رأى انسانًا تتسلق جسمه العقارب

ومن رأى انسانًا يرقص فوق الحجر الملتهب

انا قد رأيت هذا

والكثيرون قد رأوا أكثر من هذا

وأغرب من هذا

في هذا العالم الذي تروّضت فيه النار

وخرجت عن طبائعها التماسيح والأفاعي

والنحل والعقارب

والحديد الذي أصبحت له أجنحة وذاكرة

ولكنني لن أرى أحدًا يبتسم ويبارك

ويأمل البقاء المطمئن في هذا العالم

عندما يشاهد مخلفات الحرب في أوروبا وآسيا

وبقايا هوراشيما وحرائق لبنان في الليل

والجثث الأخرى تحت الأنقاض

والموت المعبأ تحت المتاريس والشعارات

والأشجار التي خرجت جذورها من بواطن الأرض

تم غرست أغصانها كعذارى منحنيات

وقد دفنت ضفائرهن في الوحل

إن مشكلة الفكر الحديث

تكمن في الجشع المسلح

والمبدأ الإنساني الأعزل

☆☆☆☆

وبما أن الحربَ اكراهٌ وإرغام

Book14.indd 848 3/8/14 4:04 PM

لأحدِ الطرفين المتنازعين

وهذا ما حدث في جميع الحروب

منذ أن بنيت الأسوار والدروع

وبما أن حالة الإكراه والإرغام

واغتصاب ممتلكات الغير بالقوة

أو بالاحتيال الخبيث والمكر السيء

أمر لا تقره الأديان والتشريعات الحديثة

وكذلك لوائح الأمم المتحدة وحقوق الإنسان

إذن فالشروع بمحاربة الحرب

وترصدها واغتيالها

وإعلان بطلانها

وعدم توافقها مع الإنسان والأرض

أمر ضروري بالنسبة لأحد الأطراف

الطرف المكره لدخول الحرب

الطرف الذي فاجأته الحيل الدولية

وصناعات التدمير والإبادة والدمار

الطرف الذي حوصر قبل أن تنشب الحرب

وحورب قبل ان تبدأ الحرب

ولكنه لا يدري

☆☆☆☆

إن مشكلة الطرف الآخر في الحرب الحديثة

هي دخوله بدمه وغرائزه الدفاعية

دون أن يجد سببًا مبررًا لهذه الحرب

Book14.indd 849 3/8/14 4:04 PM

الحرب الحديثة المتوارية خلف الألغاز

والتي تجعل المواجهة انتحارًا

والسكوت فضيلة متهمة

☆☆☆☆

وكانت الحربُ ذاتَ ميدانٍ واحد

أما الآن فقد أصبحت ذات ميادين متعددة

وكانت الحرب ذات وجهٍ واحد

أما الآن فقد أصبحت ذات وجوه متعددة

وكانت الحرب بين طرفين متنازعين فقط

اما الآن فهي حشد الشرور في مكان واحد

وتوزيعه في ثكنات وجهات متعددة

ضد جهة واحدة عزلاء

لم تكتشف أسلحتها بعد

☆☆☆☆

جميع الأسلحة الحديثة بضائع وصفقات

قبل أن تكون عدة محارب

لقد شاخت الحرب وتهرأت أسنانها القديمة

فلم تعد تعض كما كانت عذراء ومقدسة

بل أخذت تتخبط كالعجوز في الأسواق القديمة

التي لم تعد بضاعتها تكفي لإشباع جشعها

فابتكرت صواريخ كروز والدبابات الذرية

والأسلحة الأخرى التي يمكن شراؤها

واقتناؤها وسرقتها

Book14.indd 850 3/8/14 4:04 PM

وتداولها في السوق السوداء كالأفيون
وهكذا تصبح الحرب أدوات وبضاعة
ويتورط أغلب المحاربين بهوس الأسواق
وحمى الصراعات القديمة
التي تفشت في جسد الأرض كالورم الوراثي

☆☆☆☆

ويبقى المحارب الحقيقي يبحث عن سلاحه
الذي لا تشبهه جميع الأسلحة الحديثة.

✶✶✶✶

Book14.indd 851 3/8/14 4:04 PM

الخطوط والملامح[1]

انهم مغلفون بالصدأ والحراشف
كالقنافذ تحت الرعد
وكالنمل المسربل بالطحين
لأنهم معبأون بالعفونة
وبالدم الرخيص المبذول
والمهيأ للسقوط كالحوافر الطويلة

☆☆☆☆

ومثلما تتحاور الضفادع والصراصير بأصواتها
وانتفاخاتها الملبدة بالغرائز البدائية
يتفاهم هؤلاء بغريزة شم الأفكار
والانتماء للمستنقع الواحد
والانسجام تحت سقط المتاع
ومن يدري؟
لعل تمادي الغرائز وإسرافها
يتمخض عن ملامح فيما بعد
ويخرج البعض عن مجال بشريته
مثلما تتحول جلود بعض الحيوانات إلى حالة أخرى

☆☆☆☆

(١)نشرت بجريدة الأنباء بتاريخ ١٩٨٤/١/٣م.

Book14.indd 852 3/8/14 4:04 PM

وفي استمرار هذه الحالة

حالة الإسراف في السقوط

تفقد الملامح شكلها القديم

لتدخل في شكل آخر

وجنس آخر

☆☆☆☆

وإذا كان آدم أبًا للبشرية

وكان الله قد نفخ به من روحه

وعَلَّمه الأسماء

وأودعه عظمته

وإشراقه

فمن أين جاءت عتمة الملامح

والروائح الكريهة في الجلود والهواجس

وبهذه المرونة الفطرية

☆☆☆☆

في الأساطير القديمة

حكايات تقول كالمتنبئة

تقول هذه الأساطير

إن بعض النساء قد وضعن وحوشًا

وسلاحف وثعابين

وقططًا

وفئرانًا

وبعضهن قد ولدن تنّينًا

Book14.indd 853 3/8/14 4:04 PM

وأخطبوطًا وعنكبة في حجم العجل
وفي النشرات الطبية الحديثة
ما يبرهن على صحة هذه الأساطير
اذ تقول هذه النشرات
إن امرأة قد وضعت قردًا
وبعضهن قد وضعت دابة
وإلا فمن أين جاء كل هؤلاء المشوّهين
من الظاهر والباطن
والمترهلين بالشرّ كالغلاصم المتورمة

☆☆☆☆

ولماذا لا تكون الحيوانات كالدببة
والتماسيح من هؤلاء
ومن سلالاتهم الداخلة في البشرية
التي بدأت تستنكرهم
وتعتزلهم
تعتزل عصور الأحجار الماكثة في الملامح
والكهوف في الصدور والعيون
والغابات المترسبة في الدماء

☆☆☆☆

أمعنوا في وجوه البعض تجدوا ذئابًا
وامعنوا في بعض التجاعيد
تجدوا خطوط الجريمة

☆☆☆☆

Book14.indd 854 3/8/14 4:04 PM

نحن في زمن التوغل في المجاهيل

والأقاليم النائية

والتهيؤ لتمشيط الفضاء والكواكب

هذا الزمن الذي بدأ يتشقق

كالأرض بعد المطر

كالأرحام قبل المخاض

ومع هذا كله

تمكث بعض القوانين المدنية بدائية

لم تؤخذ من قراءة الإنسان

ومناخات غرائزه

والدبيب القديم في مفاصله وعموده الفقري

☆☆☆☆

لقد تعقد الإنسان واكتنفه الغموض

والسبب في ذلك لأنه مكث في حالاته القديمة

وتطورت الأشياء لتغتاله وتهاجمه

كالذئب الذي وقع في الفخ

إنه محاصر بإنجازاته

وغرائزه التي تلتف على رقبته

وعندما دخل المدينة هربًا من العزلة

فاجأه الصخب المبرمج

وعندما أنشأها وأقام حجارتها

نسي شيئًا واحدًا فقط

هو انها جاهزة للرجم في أية لحظة

Book14.indd 855 3/8/14 4:04 PM

لأنه لا يزال في ترسابته القديمة

ولم تتحلل قشوره بعد

وما برح النتوء في جبهته كالقرحة.

✶✶✶✶

Book14.indd 856 3/8/14 4:04 PM

ستعود الطيور مرة ثانية[1]

على الربوة ذات القرارة والينابيع
والمطلة على الوادي الأخضر
المعبأ بأشجار الكرز والتفاح
والبيوت القروية المضاءة في الليل
والمبرقة بسلال الفاكهة في النهار
والعشق المبثوث في الثياب والحركات
والوجوه المطلة من النوافذ
والأبواب الموشحة بالأعشاش والقرميد
والزمن المتتالي المواسم

☆☆☆☆

على الربوة ذات القرارة ومهابط الطير
على الربوة ذات الأزهار المخبوءة
والداليات المرتفعة كالقباب الخضر
كان يسكن فتى اسمه لبنان
كان يمارس البحر والحقول
والبداوة التي تملك الماء والظل
والسجاجيد الحريرية المرصّعة بالتاريخ

☆☆☆☆

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٤/١/٧.

Book14.indd 857 3/8/14 4:04 PM

على الربوة المطلة على العالم
والمشرفة على الارض جميعًا
والمواجهة للجهات الست
كان يعيش لبنان

☆☆☆☆

على عيون العذارى
كان يعيش لبنان

☆☆☆☆

على الوشم الأزرق المضيء
وفوق الاجساد الناصعة البياض
كان يسكن لبنان

☆☆☆☆

على الطموحات المحاصرة
على الأناشيد التي لم تكتب بعد
على بريق العاصفة
كان يسكن لبنان

☆☆☆☆

على المراعي التي لا تنضب
على الماء الذي يسقي الكنوز الطازجة
كان يسكن لبنان

☆☆☆☆

على الطريق الذي يسلكه الغرباء
على حافة الينابيع

Book14.indd 858 3/8/14 4:04 PM

على كل شيء كان يسكن هذا الفتى الشرقي
ذو العينين الزرقاوين
والقامة البيضاء الطويلة كالمنارة القرطبية
والمشرق كالسبائك تحت الثريات
والممتلئ كبيادر الجنوب

☆☆☆☆

كان مضيافًا وشهيًّا كالعسل في الفجر
وبريئًا كالذهب فوق الأرصفة
وكان العالم يأتيه من كل نهر ومستنقع

☆☆☆☆

وبجوار القلعة
التي مكثت أعمدتها كالشموع المطفأة
كالأيادي المبتورة الأكفّ
كأقواس قزح تخرج من تحت الارض
كالأسرجة الأسطورية
بجوار القلعة تمامًا
كان يتجول لبنان أحيانًا
وحيدًا كالقمر
كالعقد
كعش الصقر
ففاجأته العاصفة
العاصفة التي تجمعت تحت الأغطية
مثلما يتجمع النمل تحت القشور

☆☆☆☆

Book14.indd 859 3/8/14 4:04 PM

كانت أجراس الكنائس تدق

وليس هناك من يسمعها

ويتعالى الأذان من جميع المنائر

وليس هناك من يسمعه

وكانت الأبواق صامتة كعادتها

الأجراس فقط كانت تقرع

الأجراس تقرع

ولبنان ينزف تحت شجرة منعزلة

☆☆☆☆

كانت الحرب الأهلية وحدها

تكفي لتطويق لبنان

وحصره بين الدموع والبحر

فلماذا أشعلوا كل هذه الحروب

ضد لبنان وربوته المرتفعة كالمائدة

☆☆☆☆

أنا الذي يعطيكم الجواب

الجواب الذي لا يعرفه غير الحزن المفكر

والذي لا تتحسسه غير الأصابع

التي انتابها الغضب المرتعش

واليقين المستند على صخرته

☆☆☆☆

لم يجيئوا ليخدشوا خدود لبنان تحت الشجرة

ولينهبوا حليه ومائدته

Book14.indd 860 3/8/14 4:04 PM

بل جاؤوا ليغتالوا أنفسهم

وقد كان لبنان نبيًّا

علَّمته النبوة أن يكتبَ في البرق

ويكتب في المطر

ويكتب فوق ضفاف الساقية

ويكتب فوق الأجنحة

ويكتب فوق المناقير

ويكتب فوق الأحجار الملونة

ويكتب فوق جذوع شجر الفاكهة

ويكتب فوق النواقيس

ويكتب فوق الأديرة

ويكتب فوق ا لمآذن

وأشرعة الصياد الوطني

والجمال العائد من المدارس

والكنوز تحت الحجارة والماء

والتراب الممزوج بالصندل

فوق هذه الاشياء كان يكتب لبنان

وكنا نقرأ ما يكتبه

وكنا نتعلم الشعر من قصائده

وكنا كلبنان ننتظر الكارثة

وعندما ارتفعت النار لتخرج من النوافذ

ولحاءات الشجر

ووميض المناقير

Book14.indd 861 3/8/14 4:04 PM

عندما أضرموا الفتائل

وأشعلوا النار التي لم يروها

قرأنا النبوة الجديدة

قرأنا الحروب بجميع أنواعها وطوائفها

ومضرميها الذين سيحترقون بها

وسترتدي الاشجار معاطفها من جديد

وستعود الطيور مرة ثانية.

✶✶✶✶

Book14.indd 862 3/8/14 4:04 PM

الأرض المعبأة بالرموز[1]

منذ ثلاث سنوات

وأربعة شهور. وهذه الحرب قائمة

كصنم قديم أخطأه الراجمون

منذ زمان ونحن لم نأكلْ من تمور البصرة

☆☆☆☆

ولم نسهر ليلة من ليالي شيراز

فالسماء يتمطاها الدخان

والأرض مغطاة بالجثث والأسلحة

أما البحر

البحر الملبد بالمحار

والكنوز المختفية تحت الماء

فقد سرقوا زرقته

وأحالوها سوداء كضمير الحرب

☆☆☆☆

وهكذا تتسلل الفتنة السياسية

وتجيء من كافة النواحي

حتى من خلال التاريخ

لاستمرار هذه الحرب الملفقة

---

(١)نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٤/٣/١١.

Book14.indd 863 3/8/14 4:04 PM

كجنين غير شرعي

☆☆☆☆

آلاف البيوت تحترق تحت الصواريخ

آلاف الجثث تدفن في حفيرة واحدة

لكي تشتغل وكالات الأنباء المشبوهة

ولكي تسكت البلابل في الشطوط الزرق

☆☆☆☆

ومن هناك

من المدن التي فقدت بكاراتها

مدن المفاعلات والصواريخ

والسفن الفضائية المطلة على عورة الأرض

والمحدقة في جيوب النجوم

المدن التي تمتهن صياغة الأسلحة

وتدجين العلوم

من هناك تؤخذ رسومات هذه الحرب

وتحصى الأسلحة المطحونة

والرادارات المنحنية كالرقاب الملوية

والطائرات المحطمة كالأقفاص

والمحذوفة كصناديق الموانئ

ودخان الزوارق المحترقة

المتصاعد من رئة البحر

☆☆☆☆

تؤخذ رسومات هذه الحرب

Book14.indd 864 3/8/14 4:04 PM

على بعد آلاف الأميال

أما الذين أشعلوها

اما الذين تورطوا بها فهم لم يروا شيئًا

أو أنهم يرون ولكنهم لا يفهمون

☆☆☆☆

لقد تغيرَ مفهوم الحرب

مثلما تغير مفهوم المجتمعات

كانت الحربُ تصنع أسلحتَها

أما الآن فالأسلحةُ مستعارة

وكذلك أزياؤها ودخانها

لأنها هرمت وسقطت أسنانها

لذلك فهي تستعير أسنان الآخرين

التي نخرها السوس

وأكلها العفن

وأحناها العض والنهش

ومنذ ثلاث سنوات

وأربعة شهور

وهذه الحرب تأكل بأسنان مستعارة

تأكل إنسانها المحذوف على الشطآن

كالسلاحف الميتة

تأكل الرأسمال المحلي

المحول الى أولئك الذين فقدوا أسنانهم

فلم يعودوا يأكلون كما يأكل الناس

Book14.indd 865 3/8/14 4:04 PM

أو يشربون كما يشرب الناس

أو يتنفسون كما يتنفس الناس

إنهم يترصدون الأرض من خلال نوافذهم البعيدة

ويلعقون الأرض من بعيد كالحساء الحار

ويصدرون حمى الحرب التي أصبحت باطلة

ولكنها موجودة لوجود المناقضات

التي استغلت لبيع الأسلحة القديمة

التي لا تختلف عن النزعات القديمة

والأمراض القديمة

والعفن القديم الذي أصبح دوليًّا

وجاهزًا للتصدير في كل وقت

☆☆☆☆

منذ ثلاث سنوات

وأربعة أشهر. تضاف حرب ثالثة

وهكذا تتكدس الحروب المفتعلة

في هذه الأرض المعبأة بالرموز

والتمخضات التي لا يفهمها الآخرون

✷✷✷✷

Book14.indd 866 3/8/14 4:04 PM

لا فرق[1]

لا فرق بين الراجمينْ

والناسجينَ لك الشراكَ الخاتلينْ

والناصبينَ لك الكمينْ

ممن ترينَ ولا ترينْ..

وتعلمين وتجهلينْ

لا فرق بينهما..

أولئك يدخلون وهؤلاء يمهدون

لا فرق بينهما..

وكل آبقون

☆☆☆☆

والأرض تجمع نفسها

فكأنها أفعى يقلصها الجليد

تلقي حمولتها..

وتختار الذي تختار..

من إنسانها المنحاز للإنسان

والإشراق

والقيم النبيلة

---

(١) نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٤/٤/٢٦.

Book14.indd 867 3/8/14 4:04 PM

والبروق الخارجات من الوريد..

الى الوريد..

☆☆☆☆

عتقت خرائطهم..

وقد طمست مسالكهم..

وكل خابط فيها ويجهل ما يريد

ما عادت الأشياء مقنعة

ولا الأحداث واضحة

وكل في دوائره

يعيد ويستعيد

فتسببي.. لابد من سبب جديد

☆☆☆☆

لجأوا لغول الحرب ثانية

وعادوا للمجانيق القديمة والحديد

نفخوه بالنيران

والغضب الغبي

وصيروا الإنسان شيطانًا مريد

☆☆☆☆

وتسكَّعوا بالآخرين..

تدثروا بالآبقين

الرابضين على لهاتك من سنين

والآكلين لحومك الأولى

Book14.indd 868 3/8/14 4:04 PM

وما زالوا غزاة من غزاة

في دمائك يقطنون

وبكل جيل يخرجون

في صورة اخرى

وفي سبب به يتسبَّبون.

✶✶✶✶

Book14.indd 869 3/8/14 4:04 PM

في فمي مصر.. وفي كفي حجر[1]

للصخر عاطفةْ

وللأحجار ذاكرةْ

سمعتُ قصيدة من جانب الهرمين

يتلوها مثلثها

كنسر واقفٍ

بين الحجارةِ والطلولْ

وسمعت ضلع الأرض منشقًّا

كما فتح الكتاب

ومثلما اتّسع القمر

وسمعت همس الصخرة الصماء

خلت نقوشَها لغةً تقول

وكأنها وترٌ يحاوره وتر:

للصخر هاجسه

وانت ولا كأنك من بشر

اقرأ

واقرأ عزلةَ الأحجار

والزمنَ المدثر في حجارته

واقرأ موضع الصخر الذي

---

(١)نشرت في صحيفة الأنباء بتاريخ ١٩٨٥/١/١٤م.

Book14.indd 870 3/8/14 4:04 PM

نطقت ملامحه القديمة

والأزاميل التي تركت أصابعها

على وجه الحجارة كالأثر

اقرأ. فقلت قرأت

واستسقيت حبر النيل

والشطآن محبرتي

وأقلامي رياش الطير

لكني نضبت ولم تزلْ شتى الصور

من جانب الأحجار تخرج لي

وتاريخ يواصل نبضه

بين الحجارة واهتزاز الأرض

والبحر الذي ينشق ثانيةً ليعبرَ من عبر

وتعود ثانيةً قوافلهم

وأرجع في فمي مصر

وفي كفي حجر.

✶✶✶✶

Book14.indd 871 3/8/14 4:04 PM

أيها الصقر[1]

أيها الصقرُ الذي طار مع الريح
وقد دربه الرعد على خوض الغمام
أيها الصقر الذي يسهر في الليل..
وفي الصبح وما ذاق المنام
زحفوا من جانب الأرض التي اهتزّت
وجاؤوا في زيوت البحر
والبعض توارى
كسمومٍ في الطعام
خدعونا بالتقارير التي تكذب
والفسق الوظيفي
وبالنمل الذي صار حمام
ونساء تتقن الجنس..
وتدريب العصابات..
التي تدخل في شتى العصابات
وفي شتى اتجاهات الظلام
هم أحاطونا بغش الأرض
والفتوى التي تخرج من حقد الإمام

(١) نشرت في صحيفة الأنباء (تاريخ النشر غير موجود).

Book14.indd 872 3/8/14 4:04 PM

ها هم الآن على الأنهار..

والبحر الذي يخرج من زرقته الأولى..

لكي يدخل في الأسود..

والأحمر

كي يمسي ولا يصبح

أو يسري ولا يسري به الماء

وتأتيه طيور الأرض

والذئب واسراب النعام

واستمرت هذه الحرب..

وقد سلّحها الفكر السياسي

واشباه الرجالات وأبناء الحرام

ذاب من تحتهم الصخر وما ذابوا...

ومن خلفهم الرمل..

وبحار على الساحل..

يستوحي شراعًا من خيام

أيها الشعر الذي ينبع من تحت العظام

أيها النجم الذي يجنح للعشق

الذي يجنح للنطق

وبالفصل

وبالبحر الذي يحرق

والأرض التي تزهق

والصقر الذي ينهض من تحت الركام

Book14.indd 873 3/8/14 4:04 PM

هو ذا يستشرف الأرض التي نامت..

على أسطورة الأشباح..

والشيخ الذي عاد غلام..

✶✶✶✶

Book14.indd 874 3/8/14 4:04 PM

الحرب والصراعات الصغيرة[1]

حربانِ دائرتانْ

ظاهرةٌ وخافيةْ

مسلحةٌ وموعزةْ

فأيهما تواجه

إنه زمن الحروب بكل أنواع الدمار

وبكل أنواع الشياطين التي تطلي

وتدهن بالمساحيق القديمة والحديثة

بالسياسات التي صارت مخاض الفكر

صارت محور الأشياء والأحداث

أن تلوث الإنسان

والأفق المعلب

وأزورار البحر

والارض التي اهتزّت

كأذيال العصافير الصغيرة

كل هذا جاء منها

إنه زمن الرجوع إلى الحجار

حربان دائرتان

---

(١) نشرت في صحيفة الأنباء (تاريخ النشر غير موجود).

Book14.indd 875 3/8/14 4:04 PM

طاحنتان

واضحة مسلحة

وخافية ملبّدة

تسيح بكل ميناء

وتدخل كل عاصمة

وبينهما حوار

لابد من إحداهما

فانظر بأيهما تموت

إن لم تمت قتلاً تمت قهرًا

ومنسحقًا وملتويًا

ومطرودًا من الدنيا

ومرفوضًا من الأخرى

كأن الارضَ أنوال

تصممها نوازعُ عنكبوت

يتفرش الآفاق

يزحف تحت أنجمها

وينفث في مفاصلها

يمددها ويطويها

ويسمع نبضها

ويرى حباحبها الصغار

إنا هبطنا في زمان الحرب

صامتة وصاخبة

Book14.indd 876 3/8/14 4:04 PM

وساخنة وباردة

وواضحة وغامضة

وكل حوله حربٌ تدار

تتطور الأشياء والإنسان يسقط

او تجاور كونه وحشًا

ويخرج من ملامحه

ليدخل في أظافره

هنا زمن الخرافة حين تصبح كالحقيقة

والحقيقة حين تصبح كالخرافة

أو دخول الليل في رحم النهار

حربان قائمتانْ

واحدةٌ قد اندلعتْ

وفيهم من دوافعها

وفينا من وقائعها

ولا ندري متى

سيحينُ للأخرى هبوب

بجوارنا حرب وفحوانا النقائض والحروب

بجوارنا حرب وأسلحة

تزج بها السواحل والسهوب

بجوارنا بحر تفشاه حريق الماء

تمخره الزوارق مثل حيتان مدربة

على شطآنه أبدًا تجوب

Book14.indd 877 3/8/14 4:04 PM

بجوارنا شجر بلا ورق

وشطآن مهدمة

كما انشقّت جيوبٌ

وبلابل مكسورة الأعناق

امرأة بثدي واحد

ومنازل مخلوعة الأبواب

فوق سطوحها كلل ممزقة

وأعشاش مبعثرة

وفي جدرانها الدم والثقوب

وعويل عاشقة

كأن بصوتها صفصافة تبكي

وساقية تلوب

بجوارنا زجّوا حديد الأرض

زجوا الفتنة الكبرى

وشبوا نارها فلها وثوب

بجوارنا تمتد كفّ

من وراء البحر والصحراء

تومئ للعناكب والسلاحف

وهي تخرج من مخابئها

ووجهتها الجنوب

حربان تلتقيان

ظاهرة مسلحة

Book14.indd 878 3/8/14 4:04 PM

وباطنة ملبّدة سلاحهما معار

حربان يهلك فيهما الطرفان

يخسر فيهما الاثنان

تدخل من خلالهما الشياطين الكبار

حربان يبدو من خلالهما صراع آخر

ينمو ليشمل كل أرض.. إنه زمنُ الحصار.

✶✶✶✶

Book14.indd 879 3/8/14 4:04 PM

«العالم المثلث»

أو ثلاثية العصر الملتهب

نلتقي في قمة الرؤيا. فإن نحن هبطنا
حائط الماء افترقنا
نلتقي في الحلم النابضِ في عزلتنا
فإذا نحن انتشرنا
وسلكنا ذلك الدرب الذي كنا سلكنا
والذي للآن ما أدى إلى شيء رجعنا
مرة أخرى إلى حالتنا الأولى
ومن حيث بدأنا
لم نضفْ شيئًا إلى ما كان لكنا أخذنا
منه ما يطرح للبيع ولا نقوى على
استرجاعه حتى يئسنا وكأنا قد وقفنا
ليمرَ العالم الحوت.. ولكن ليس كالحيتان
بل فيه رسوم الحوت في الليل
وشكل الذئب في الحقل ولا يفزع منا
او كتنِّين خرافي
له في الأفق أعشاش ومسرى
وله ظفر يشل الجبل الراسخ

Book14.indd 880 3/8/14 4:04 PM

أو يحفر في الأحجار حفرًا

وله أجنحة تستبق الريح

وفي عينيه توقيت الرياح

هو ذا العالم يأتينا ومن كل النواحي

فيه من ذئب ومن حوت

ومن رخّ له ألف جناح وجناح.

✶✶✶✶

Book14.indd 881 3/8/14 4:04 PM

المتلفِّفون[1]

متهيئ أبدًا. ومنتظرٌ على الأسوارْ
إن نبوءة الأشعار صادقة وجامعةْ
تساقطت الحراشف والحواجز
لم يعد أحد
سوى المتسكعين...
ولم يعد احد
سوى المتلصصين من النوافذ والبراقع
لم يروا شيئًا.. وما عملوا بما أمروا
وما زالوا غزاة خلف أقنعة
وما زالوا جسورًا يعبر الطوفان منها
إنه زمن التقمص وارتداء الآخرين

☆☆☆☆

هو ذا يفاجئهم. كأن أنوفهم طمست
كأن عيونهم أنصاف محار
كأن وجوههم صحفٌ ملفقة
وأظلافٌ مشقّقة. وينتفخون كالجدران
ينحرفونَ مثل عظام أضلاع بها عوج
كناتئة الزعانف

(١) نشرت في صحيفة الأنباء (تاريخ النشر غير موجود).

Book14.indd 882 3/8/14 4:04 PM

جاءهم قوم أشد عداوة وأمض أسلحة

وكانوا يوعزون لهم وما عرفوا مكائدهم

وكانوا يسكنون بهم.. كأن جلودهم كانت أجنتهم

ومن أرحامهم خرجوا كما خرج الجنين

☆☆☆☆

والشرّ يشبه بعضه

يا ضيعةَ الأرحام.. يا زمن الخنازير

التي باضت

وما فقست.. لماذا تعلنون الحرب في صمت

علينا.. ثم لا تبغونها جهرًا عليهم..

مرت الأزمات

صامتة وخاوية.. وأنتم كالغزاة

ولم يكن غزوًا كهذا الغزو

أو خسفًا كهذا الخسف

أو رجمًا كهذا الرجم

بل كنتم دمًا مرًّا

وكنتم تسكنونَ الناسَ.. وانتفخوا بكم

وأصابهم ورم السلالات التي جهضت

أصابهم انشطار الصلب أو عفن الترائب

إنهم ملّوا حصارَ دمائهم

وضياعهم في الضائعين

☆☆☆☆

طير على الأسوار يهزج

Book14.indd 883 3/8/14 4:04 PM

نجمة في صدر رخٍّ.. آيةً أخرى
على أبواب تُدمَّرُ سوف تُتلى بعد حين

☆☆☆☆

وتوسوسونَ الناسَ.. تمتهنونَ قولَ الزور
والفتنَ القديمة والحديثة.. أو تدسّونَ اليقين

☆☆☆☆

هو ذا يعاوده التوهج والتوغل
يلمس الأشياء عاريةً وناصعة
جميع خطوطهم ضاعت.. وضيّعت القوافل
بعضُها نكصت.. وبعض طشرتها الريح
أو أكلته أسماك الشواطئ. والقليل نجا
وأكثرهم تلفّف في غطاء النائمين.

✶✶✶✶

Book14.indd 884 3/8/14 4:04 PM

المحتوى

المجلد الثاني

الديوان التاسع: ديوان تسقط الحرب

- القميص ودم الكذب ٤٦١
- الأشباح وأنوثة الأرض ٤٧١
- الفتنة والأسلحة المعارة ٤٨٠
- المصابيح وجسد النعناع ٤٨٦
- ويبقى القمر منعزلاً ٤٩٥

الديوان العاشر: ديوان خرائط البرق

- لبنان وهموم العاشق ٥١١
- سلمى والبيت القديم ٥١٥
- الجبل والتابوت ٥١٨
- الوحش الجديد ٥١٩
- النبض المختفي ٥٢٢
- الأنهار والمنابع ٥٢٦
- الذئاب ونوافذ القرميد ٥٢٨

Book15.indd 885 3/8/14 4:05 PM

- الأرض ذلك الجسد القديم ٥٣٠
- كأني أراهم ٥٣٢
- الحرب وحطام الأشجار ٥٣٥
- الحرب وحطام العواصم ٥٣٧
- الثياب الأخرى ٥٤٠
- الممهّد ٥٤٢
- عينان من دمشق ٥٤٣
- الرواسب ٥٤٥
- الحرب وزرقاء اليمامة ٥٤٧
- وللحجارة نبض ٥٤٩
- الوسائل الجديدة ٥٥١
- القدس وحطام الحجارة ٥٥٢
- المختفون ٥٥٥
- الأقمار ٥٥٨
- المقارنة ٥٦٠
- قصيدة النسق ٥٦٢
- القبس ٥٦٥
- القصيدة رقم (١) ٥٦٧

Book15.indd 886 3/8/14 4:05 PM

- القصيدة رقم (٢) ٥٦٩
- القصيدة رقم (٣) ٥٧١
- القصيدة رقم (٤) ٥٧٣
- القصيدة رقم (٥) ٥٧٥
- القصيدة رقم (٦) ٥٧٧
- القصيدة رقم (٧) ٥٨٠
- القصيدة رقم (٨) ٥٨٢
- القصيدة رقم (٩) ٥٨٤
- القصيدة رقم (١٠) ٥٨٥
- القصيدة رقم (١١) ٥٨٦
- القصيدة رقم (١٢) ٥٨٧
- القصيدة رقم (١٣) ٥٩٠
- القصيدة رقم (١٤) ٥٩١
- القصيدة رقم (١٥) ٥٩٢
- القصيدة رقم (١٦) ٥٩٣
- القصيدة رقم (١٧) ٥٩٥
- القصيدة رقم (١٨) ٥٩٧
- القصيدة رقم (١٩) ٥٩٩

Book15.indd 887 3/8/14 4:05 PM

- القصيدة رقم (٢٠) ٦٠٠
- القصيدة رقم (٢١) ٦٠٢
- القصيدة رقم (٢٢) ٦٠٤
- القصيدة رقم (٢٣) ٦٠٦
- القصيدة رقم (٢٤) ٦٠٨
- الأصوات والإشارات ٦١٠
- صارية ٦١٧
- وطن الصمود ٦٢١
- نحن الفداء ٦٢٢

الديوان الحادي عشر: كتابات فوق الأبواب القديمة

- الكتابة الأولى ٦٢٥
- الكتابة الثانية ٦٢٦
- الكتابة الثالثة ٦٢٧
- الكتابة الرابعة (إلى قطر) ٦٢٨
- الكتابة الخامسة ٦٢٩
- الكتابة السادسة ٦٣٠
- الكتابة السابعة ٦٣١

Book15.indd 888 3/8/14 4:05 PM

- الكتابة الثامنة ٦٣٢
- الكتابة التاسعة ٦٣٣
- الكتابة العاشرة ٦٣٥
- الكتابة الحادية عشرة ٦٣٧
- الكتابة الثانية عشرة ٦٣٨
- الكتابة الثالثة عشرة ٦٤٠
- الكتابة الرابعة عشرة ٦٤١
- الكتابة الخامسة عشرة ٦٤٢
- الكتابة السادسة عشرة ٦٤٣
- الكتابة السابعة عشرة ٦٤٤
- الكتابة الثامنة عشرة ٦٤٦
- الكتابة التاسعة عشرة ٦٤٧
- الكتابة العشرون ٦٤٩
- الكتابة الواحدة والعشرون ٦٥٠
- الكتابة الثانية والعشرون ٦٥٢
- الكتابة الثالثة والعشرون ٦٥٣
- الكتابة الرابعة والعشرون ٦٥٤

Book15.indd 889 3/8/14 4:05 PM

الديوان الثاني عشر: ديوان قباب الوادي الأخضر

- كنوز الساحل الأزرق ٦٥٩
- الرواسب ٦٦٠
- النخلة المحاربة ٦٦١
- النهر والحوت ٦٦٣
- رسومات الوتر الواحد ٦٦٥
- الهاربون ٦٦٧
- هتاف النخلة ٦٦٨
- وحي الظل ٦٦٩
- الأعداء الجدد ٦٧٠
- الصراع المختفي ٦٧١
- الخارطة ٦٧٢

ملحق

(قصائد نشرت في الصحف ولم تنشر في الدواوين السابقة)

- لا تقولي ٦٧٧
- ما تشائين فافعلي ٦٧٨
- لبنان والأزمان المنتهية ٦٧٩
- قف بالمناخ ٦٨١

Book15.indd 890 3/8/14 4:05 PM

- في مدائن عمر بن الفارض (تقول عيونها) ٦٨٣
- في مدائن عمر بن الفارض (كأن وجوههم) ٦٨٥
- من خرائط البرق ٦٨٧
- في مدائن عمر بن الفارض (عجبت لها) ٦٩٠
- الأصفار ٦٩٢
- الوجوه المختفية ٦٩٤
- يا مصر ٦٩٦
- الطلول والحراشف ٦٩٧
- من كتاب الأصوات والإيقاعات ٦٩٩
- الأخشاب الأولى ٧٠١
- سويعات مع دجلة ٧٠٣
- من أبناء الوادي القديم ٧٠٥
- مصر والحلم الكبير ٧٠٧
- لوحات على الطريق (تظل تحذفهم) ٧٠٨
- حوار بين شاعرين ٧١٠
- يا جارة البان ٧١٢
- قصائد للفاو ٧١٥
- أغنية إلى الرحاب الزرق ٧١٩

Book15.indd 891 3/8/14 4:05 PM

- لوحات على الطريق (وسوسة الشيطان) ٧٢٣
- لوحات على الطريق (عبيرُك الريحان) ٧٢٤
- لوحات على الطريق (عندي من الأحزان) ٧٢٥
- لوحات على الطريق (لكم أوطانكم..) ٧٢٦
- لوحات على الطريق (تعبت من الأمر) ٧٢٧
- لوحات على الطريق (ألغت خرائطها الصحراء) ٧٢٨
- لوحات على الطريق (ابكِ على ظلّ) ٧٢٩
- لوحات على الطريق (أُعاتب) ٧٣٠
- الحمامة الساهرة ٧٣٢
- يا نخلة الجرف ٧٣٤
- نهمة: (كوني على حذر) ٧٣٦
- نهمة: (لا تغضبوا البحر) ٧٣٧
- عُمان ٧٣٨
- في مدائن عمر بن الفارض (نخلة في النيل) ٧٤٠
- في مدائن عمر بن الفارض (لئن ذهبتِ بلا وعد) ٧٤٢
- من ظلال الألوان المختفية ٧٤٤
- كتابات فوق الأبواب القديمة (تشعُّ معاضدها) ٧٤٦
- كتابات فوق الأبواب القديمة (أطفأت ضوءها) ٧٤٨

Book15.indd 892 3/8/14 4:05 PM

- لبنان والنواحي الأخرى ٧٥٠
- قراءة الحجر ٧٥١
- من خرائط البرق (لم يعلموا العلم..) ٧٥٣
- حادث الغدر ٧٥٥
- وادي البلابل ٧٥٧
- بيني وبينكم فضاء واسع ٧٥٩
- صبرًا ٧٦٠
- العشق أبدًا ٧٦١
- في سواحل الريحان ٧٦٣
- خلق من ذهب ٧٦٩
- شيئًا فشيئًا تخرجين ٧٧٠
- العطش السريع ٧٧٢
- حواشي المخمل ٧٧٤
- من الرسوم الأخرى ٧٧٧
- حوار مع سلمى ٧٨٠
- هاجر كلُّ العالم كي يسكننا ٧٨٣
- وبعدما طحنوا لبنان ٧٨٥
- هنا أشياؤهم وهناك جندهم ٧٨٩

Book15.indd 893 3/8/14 4:05 PM

- الغضب سيد المواقف ٧٩٢
- من خرائط البرق (اختر موتًا من موتين) ٧٩٥
- لبنان وليالي الميلاد ٧٩٩
- من كتاب الأصوات والإيقاعات ٨٠١
- هل تذكرين الداليات الخضر ٨٠٦
- من كتاب الأصوات والإيقاعات (تطلّق العشق بها) ٨٠٩
- الطيور والزيوت العائمة ٨١٢
- من خرائط البرق ٨١٥
- زمن الحرب ٨١٧
- من كتاب الأصوات والإيقاعات ٨٢١
- ولكنهم لم يستطيعوا ٨٢٥
- تاريخ الماء والنار ٨٣١
- عودة الحلاج ٨٣٦
- الغرفة المغلقة ٨٣٩
- العصافير التي تغادر أعشاشها ٨٤٢
- الأسلحة التي لم تكتشف ٨٤٦
- الخطوط والملامح ٨٥٢
- ستعود الطيور مرة ثانية ٨٥٧

Book15.indd 894 3/8/14 4:05 PM

- الأرض المعبأة بالرموز ٨٦٣
- لا فرق ٨٦٧
- في فمي مصر.. وفي كفي حجر ٨٧٠
- أيها الصقر ٨٧٢
- الحرب والصراعات الصغيرة ٨٧٥
- العالم المثلث (أو ثلاثية العصر الملتهب) ٨٨٠
- المتلفِّفون ٨٨٢
- المحتوى ٨٨٥

****

Book15.indd 895 3/8/14 4:05 PM

Book15.indd 896 3/8/14 4:05 PM